

عالم الحروب الصليبية

بحوث و دراسات

د.محمد مؤنس عوض

عالم الحروب الصليبية

﴿ بحوث ودراسات ﴾

تأليف
أ.د. / محمد مؤنس عوض
أستاذ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى
٢٠٠٥م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د. احمد ابراهيم الهوارى

د. شوقى عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذى:

شريف قاسم

مدير النشر

محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف: عمرو قاسم

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

الإهداء

إلى واحتى الخضراء فى صحراء العمر المجدبة

إلى المرفأ الوحيد إذا ما عصفت بى الأمواج وما أكثرها

وإلى من كانت هدية السماء إلى قلبى وعقلى

إلى من صنعت معها تاريخنا المشترك

الحافل بالكفاح والآلام والآمال

إلى زوجتى مع وافر تقديرى واعتزازى لابنة مدينة رشيد ساحرة نهر النيل والبحر المتوسط.

أ.د. محمد مؤنس عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة بحوث ودراسات من عالم الحروب الصليبية، وهو عالم تأكد لكاتب هذه السطور غزارة موضوعاته وتعدد مصادره التاريخية إلى درجة كبيرة.

وقد احتوى الكتاب على عدة موضوعات ، فهناك الاضطهادات الصليبية لليهود فى حوض الراين بألمانيا عام ١٠٩٦م وذلك من خلال حولية يهودية كتبها الربى اليعازر بن ناثان ويهدف البحث إلى تناول ظاهرة المذابح التى حلت باليهود هناك من حيث الدوافع ، والأحداث وكذلك النتائج.

ثم هناك دراسة أخرى عن مستوطنة البيرة الصليبية خلال المرحلة من ١١١٥ إلى ١١٨٧م، وتهدف إلى تناول ظاهرة الاستيطان الصليبى فى فلسطين كذلك تعمل على التعرض لأوجه المقارنة بين ذلك الاستيطان فى القرن ١٢ م والاستيطان الاسرائيلى هناك فى القرن العشرين؛ من أجل إدراك عوامل التشابه بين المشروع الصليبى والصهيونى وهما مشروعان استعماريان فى العصور الوسطى والحديثة.

ويضاف إلى ذلك توجد دراسة عن الاتجاهين الآسيوى والأفريقي للتوسعات الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣م بهدف معرفة توجهات السياسة الخارجية الاستعمارية الصليبية ولتحليل أسباب نجاح الصليبيين آسيويًا على الرغم من أنهم فشلوا أفريقيًا ، إذ أن تلك الزاوية على نحو خاص كانت أحد محاور تاريخ الصليبيين فى المنطقة على مدى القرنين المذكورين.

كذلك يتجه بحث الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية إلى دراستها وتوزيعاتها الجغرافية سواء فى المياه العذبة أو المالحة ويتعرض إلى وسائل إعداد الأسماك للطعام وكذلك المتاجرة فيها إلى آخر تلك العناصر ، والبحث بالتالى يلقى الضوء على موضوع ندرت فيه جهود الباحثين.

وتحتوى دراسة أخرى عنوانها «دراسات التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية الصادرة فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة» على عرض ببليوغرافى ونقدى للتأليف عن الجانب الاجتماعى لتلك الحروب خلال المرحلة الزمنية المذكورة وهى مرحلة شهدت طفرة غير مسبوقة على المستوى الدولى وكذلك العربى فى مجال الحروب الصليبية.

أما الدراسة الخاصة بإغارات أسراب الجراد وآثارها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية وذلك من خلال كل من المصادر الإسلامية والصليبية فتناول الموضوع المذكور على الرغم من ندرة الاشارات الخاصة بإغارات الجراد وآثارها ، وتم التعرض للآثار المختلفة الناجمة عن تلك الاغارات سواء السياسية أو الاقتصادية .

وجاء البحث الأخير- وهو بالإنجليزية- عن الإسهام الطبى لموسى بن ميمون فى العصر الأيوبى، ويتعرض فيه لاسهام ذلك الطبيب والفيلسوف اليهودى الذى كان من الأطباء الشخصيين للسلطان صلاح الدين الأيوبى، وحقق مكانة سامية فى الدولة الأيوبية.

أ.د . محمد مؤنس عوض
أستاذ تاريخ العصور الوسطى

- ١ -

الاضطهادات الصليبية لليهود

في حوض الراين بألمانيا عام ١٠٩٦م/٤٩٠هـ

من خلال حولية الربي اليعازر بن ناثان

Rabbi Eliezer bar Nathan

يتناول هذا البحث بالدراسة؛ الاضطهادات التي قام بها الصليبيون ضد العناصر اليهودية القاطنة حوض الراين بألمانيا في عام ١٠٩٦م/٤٩٠هـ، وذلك من خلال الحولية التي كتبها الربي اليعازر بن ناثان، ويقوم بإلقاء الضوء علي صعوبات الدراسة ثم أسباب اتجاه الصلبيين إلي اضطهاد اليهود، ووقائع ذلك، والإشارات التي أوردها ذلك الربي في هذا الشأن، ثم تقويم عام لما احتوته تلك الحولية، وأوجه النقد التي توجه إليها .

وتواجه الباحث في هذا الموضوع عدة صعاب، فهناك تباين النصوص المصدرية بين ما ألفه المؤرخون الصليبيون، ومؤرخو الحوليات اليهودية،ثم لا نغفل طابع المبالغة في أرقام الضحايا من اليهود في عصر لم تكن تتوافر فيه البيانات الإحصائية الدقيقة بصفة عامة، وقد حرص مؤرخو الحوليات اليهودية علي المبالغة في أعداد القتلى علي أيدي الصليبيين؛ من أجل إظهار دموية الأخيرين، وقسوتهم الشديدة ولإشعار الأحفاد بهول ما لاقاه الأجداد من تنكيل، كذلك، نجد في عصر الحروب الصليبية أن الإشارات المصدرية التي تناولت الطرف الآخر اتسمت بالطابع العدائي، بالإضافة إلي أن من المصادر اللاتينية المعاصرة واللاحقة ما أغفل ذكر تلك الوقائع لأهتمام مؤرخيها بأحداث أكبر شأناً من وجهة نظرهم ولا ريب في أن ذلك أجمعه يلزم الباحث بالحيطة، والحذر عند التعامل مع نصوص المصادر التاريخية عن وقائع مذابح الصليبيين لليهود في حوض الراين بألمانيا ويعمل علي المقارنة بينها قدر الاستطاعة للاقتراب مما حدث فعلاً كواقع تاريخي مع عدم إغفال الدوافع المحركة ذاتها، والنتائج المترتبة عليها .

ويضاف إلي ذلك؛ نجد رؤية المؤرخين اليهود المحدثين وخاصة الإسرائيليين لتلك الأحداث قد خرجت من عباءة معاداة السامية، وشبهوها بالهولوكوست وبالتالي تم توظيفها سياسياً، وهكذا علي الباحث متابعة ما حدث خلال العصور الوسطي، وتطور علاقات اليهود مع خصومهم في العصور الحديثة خاصة أن التاريخ الإنساني ذاته كل لا يتجزأ .

وبداية؛ من الأهمية بمكان دراسة المصادر التاريخية الخاصة بالاقليات الدينية عصر الحروب الصليبية سواء علي الأرض الأوربية أو علي أرض بلاد الشام ومصر؛ إذ أن دراسة تاريخ تلك الأقليات من شأنه تسليط الأضواء الكاشفة علي موقف الحركة الصليبية منهم، وموقفهم تجاهها، وزوايا العداء بين الجانبين.

وبالنسبة للجماعات اليهودية، نجد هناك مصادر تاريخية خاصة بهم في الشرق، والغرب مثل وثائق الجنيزة Geniza Documents[١]، وكذلك الحوليات اليهودية Jewish Chronicles [٢] وهي أساسية في دراسة تاريخ تلك الجماعات مع عدم إغفال المصادر التاريخية الأخرى بطبيعة الحال.

ويضاف إلي ذلك؛ تقدم دراسة وقائع تاريخ الحروب الصليبية في بواكيرها الأولي في فرنسا وألمانيا– قبل انتقالها إلي الغرب الأسيوي كي تستقر هناك– تقدم لنا تعليلاً للعديد من الجوانب عن طبيعة تلك الحركة التاريخية المحورية في عالم العصور الوسطي علي اعتبار أن تلك هي البيئة التي ولدت ونشأت فيها .

ويتطلب البحث التعرض بإيجاز لزاويتين في صورة الموقع الجغرافي لألمانيا عامة وحوض الراين خاصة، ثم أوضاع ألمانيا السياسية في الثلث الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري.

وجدير بالذكر؛ أن ألمانيا وقعت في وسط أوربا فيما بين فرنسا، وإيطاليا، وبحر البلطيق. وعلي المستوي التضاريس؛ تكونت من قسمين؛ القسم الشمالي السهلي، والقسم الجنوبي المرتفع الذي يتألف من هضاب قديمة، وكذلك أحواض داخلية، وإذا رسم خط متعرج بين أخن Aachen في الغرب إلي هانوفر Hannover ولبزج Lubzeg فإنه بالتالي يفصل بين الإقليمين التضاريسيين[٣] لألمانيا .

ويعد نهر الراين Rhine ؛ من أهم المعالم الجغرافية الطبيعية هناك ويعتبر أكثر أنهار أوربا صلاحية للملاحة، وكذلك أكثرها استخداماً [٤] وعرف عنه ثراؤه بالحركة التجارية وهو الطريق المائى الأساسي في ألمانيا[٥] ويقرر البعض أنه لا يدانيه نهر آخر في أوربا علي الرغم من قصره عند مقارنته بنهر الفولجا Volga، والدانوب Danub [٦] مما عكس أهميته الاستراتيجية خاصة من خلال إدراكنا لوقوع عدد من المدن الألمانية البارزة عليه مثل ميتز Mainz [٧]، وكولونيا Cologne [٨]، وورمز Worms [٩] وغيرها وما ينطبق علي عصرنا الحالي ينطبق بالضرورة علي مرحلة العصور الوسطي مع عدم إغفال الفوارق المعرفية، والتكنولوجية بطبيعة الحال.

وفي عالم العصور الوسطي قامت ألمانيا بدور بارز في حركة التجارة بين شرقي أوربا، وغربيها بحكم موقعها المتوسط ونهضت مدن حوض الراين اقتصادياً لاسيما تجارياً .

أما أوضاع ألمانيا السياسية قبيل مرحلة الدراسة، فنعرف أن الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (١٠٥٦- ١١٠٦م/ ٤٤٨- ٤٩٩هـ) دخل في صراع مع البابوية في صورة البابا جريجورى السابع هلدبراند Gregory vll Hildebrand (١٠٧٣- ١٠٨٥م/ (٤٦٦- ٤٧٨هـ) حول قضية التقليد العلماني وفرض عليه البابا الحرمان الكنسي Excommunication، ووقعت حرب أهلية خلال الثلاثين عاماً التي امتدت من ١٠٧٦ إلي ١١٠٦م/ ٤٦٩- ٥٠٠هـ، وظهر خلالها دور سياسي لرودلف السوابي Rudolph of Swabia الذي اختير من جانب الأفراد ملكاً منافساً وأدى ذلك إلي تمزيق ألمانيا سياسياً مع استمرار ذلك الإمبراطور في السلطة، ولم يكن فيها من الناحية القانونية- كما يقرر البعض- ملك معترف به من الألمان جميعهم[١٠]، ولا ريب في ان ذلك الوضع؛ أدي بالضرورة إلي زيادة نفوذ عدد من الأمراء الأقوياء كان لهم دورهم فيما بعد في الأحداث السياسية التي جرت علي الأرض الألمانية.

علي أية حال؛ شهد أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ميلاد الحروب الصليبية من خلال جملة دوافع سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية؛ ففي يوم ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥م/ ٤٨٩هـ القي البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨- ١٠٩٩م/ ٤٨١- ٤٩٣هـ) خطاباً شهيراً في كليرمونت Clermont بجنوبي فرنسا قام خلاله بالدعوة لتلك الحروب[١١] وعلي أثر ذلك اندلعت نيرانها، وظهر إلي الوجود ما عرف بالحملة الصليبية الأولي التي انقسمت بدورها إلي حمله الفلاحين أو الحملة الشعبية، ثم حملة الأمراء .

ويعنينا هنا؛ الحملة الشعبية التي قادها بطرس الناسك Peter the Hermit [١٢]، وعاونه والتر المفلس Walter the Penniles [١٣] ، وإلي جانبهما وجد عدد من القادة الآخرين في صورة إميكو من ليننجن Emico of Leiningen [١٤]، وفولكمار Valkmar[١٥] ، وجوتشالك Gottschalk [١٦] ويلاحظ أن ما نعرفه عن القادة الثلاثة الأخيرين يعد محدوداً إذا ما قارناهم بالقادة الذين ظهروا فيما بعد خلال أحداث حملة الأمراء فيما بعد مثل جود فري دي بويون Godfrey de Bouillon [١٧]، وأخيه بولدوين دي بويون Baldwin de Bouillon [١٨]، وريموند كونت تولوز Raymond Count Tolouse [١٩]، وبوهيمند Bohemond[٢٠] ، وتانكرد Tancred [٢١]، وغيرهم، وتعليل ذلك أن القادة الذين ظهروا خلال حملة الأمراء تمكنوا

من هزيمة الأتراك السلاجقة والوصول إلي بلاد الشام، والجزيرة الفراتية وكونوا إمارات لهم هناك بينما أخفق قادة الحملة الشعبية في تحقيق أهدافهم، وقضي عليهم خلال أحداثها فتم تسليط الضوء من جانب المؤرخين علي الأولين، واغفلوا الأخيرين باستثناء أقل القليل من الإشارات.

ويلاحظ أن إميكو وصف بأنه الرجل القوي في منطقة رينلاند Rhineland [٢٢]، وكانت له أملاكه الإقطاعية فيما بين ميتر Mainz ، وورمز Worms ووصف بأنه الأمير الأكثر نفوذاً في تلك المنطقة[٢٣]، وقد اشتهر عنه قطع الطرق سلباً، ونهباً، واغتنم فرصة اندلاع الحروب الصليبية وأوهم معاصريه بأن له معجزة في صورة ظهور صليب نقش علي جسده[٢٤]، وتصور أنه سيقاتل المسيح الدجال Antichrist في بيت المقدس، وسيتم تتويجه هناك ليصبح إمبراطوراً ليعمر هناك أمداً طويلاً[٢٥] ، ومنطقي تصور تلك الأفكار من خلال الرؤية الألفية التي سادت أوربا حينذاك وشغلت عقول المعاصرين[٢٦] ، علي كافة مستوياتهم الطبقية، والعقلية .

وهكذا؛ استغل ذلك القائد المشروع الصليبي لتحقيق مكاسبه الشخصية، ويلاحظ أن مثل تلك النوعية من القيادات الصليبية، وجدت مطامعها في تلك الأحداث التي جذبت إليها الفلاحين البسطاء واللصوص، والدهماء[٢٧]، والهاربين من الأحكام إلي غيرهم، ولا نغفل أن ذلك العصر الذي اتسم بالتدين العاطفي، وارتفاع معدلات الأمية في صفوف الفلاحين الذين عاشوا في ظل النظام الإقطاعي Feudal System ؛ صدق فلاحوه البسطاء مثل تلك التصورات، وأندفعوا صوب الإسهام في تلبية دعوة البابا أوربان الثاني علي الرغم من انعدام أهليتهم الحربية لمواجهة أعدائهم من السلاجقة، وهذا ما ميز الحملة الشعبية .

وبصفة عامة؛ فبفضل تلك الشائعة، وكذلك كفاءته العسكرية انضمت إليه أعداد كبيرة فاقت ما أنضم إلي القادة الآخرين مثل جوتشالك، وفولكمار[٢٨]، وهكذا؛ صاحب إميكو عدد من العناصر البارزة في صورة وليم النجار William The Carpenter ، وهو فيزيكونت Viscount كل من منطقتي ميلين Melun ، وجاتينايس Gatinais ، وبعض اللوردات الفرنسيين مثل كلاربيولد أوف فينيديل Clarebold of Venedeuil ، وتوماس أوف لافير Thomas of La Fere ، ودروجو أوف نيسل Drogo of Nesle ، بالإضافة إلي جماعة من الحجاج والصليبيين (Cruce Signati) من إنجلترا، وفلاندرز، واللورين، وجنوبي ألمانيا بالإضافة إلي سكان من منطقة حوض الراين[٢٩] مما عكس أن قواته تشكلت من مناطق مختلفة من وسط وغربي أوربا لاسيما ألمانيا وفرنسا.

أما فولكمار Valkmar ، فلا نعرف شيئاً عن أصله[٣٠] ويرجع ذلك إلي صمت المصادر

التاريخية المعاصرة لتلك الأحداث، ويقرر البعض أن البرت دي اكس Albert d,Aix الذي يوصف بأنه أرخ للحملة الصليبية الأولي نجده لا يشير إليه ألبته في روايته عن قادة الحملة الشعبية إذ لم يذكر من هؤلاء القادة سوي أربعة هم؛ بطرس الناسك؛ ووالتر المفلس، وجوتشالك، واميكو، ولا يتحدث عن فولكمار، ولا عن حملته[٣١]، ولا تعليل لذلك إلا من خلال ما أسلفت ذكره من قبل.

أما جوتشالك؛ فنعرف أنه كان كاهناً ألمانياً من إقليم رينلاند،[٣٢]، ووفقاً لما قرره المؤرخ ايكهارد من أورا Ekkhard of Auro لم يكن خادماً حقيقياً للرب بل كان مجرد شخص مزيف[٣٣]، ويلاحظ؛ أن المصادر التاريخية المعاصرة وقفت من تلك القيادات مواقف عدائية من خلال دورها في المذابح التي حلت باليهود، وبالتالي لا نملك أية مصادر تعبر عن وجهة نظرهم، ومع ذلك؛ نعرف أنه جمع أتباعه من شرقي فرنسا، واللورين Lorraine، وجنوبي ألمانيا، وتبع طريق بطرس الناسك إلي هنغاريا Hungary، (المجر). [٣٤]

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن الحملة الشعبية اتجهت في عام ١٠٩٦م/ ٤٩٠هـ إلي مهاجمة اليهود في حوض الراين، وقاموا بالفتك بأعداد كبيرة منهم في مدن سباير Speyre، وورمز Worms، وميز Mainz، وكولونيا Cologne، وكوبلنتز Coblentz، وغيلدرز Ghelders، وترير Trier وسوابيا Suabia، وبافاريا Bavaria، وبوهيميا Bohemia، ونويس Neuss، واكسانتين Xanten [٣٥]، وغيرها .

ومن الأهمية بمكان؛ دراسة الأسباب التي دفعت بالصليبيين إلي مهاجمة اليهود في المدن السالفة الذكر لتعميق رؤيتنا لتلك الأحداث، ودلالاتها ثم من بعد ذلك نتائجها .

وفي مقدمة تلك الأسباب يظهر العامل الاقتصادي، وقد كان هناك ارتباط وثيق بين اليهود في الغرب الأوروبي وإخوانهم في الشرق إذ استقرت الجاليات اليهودية منذ عدة قرون في محطات طرق التجارة في الغرب الأوربي، وانتموا إلي اليهود السيفردي Sephardie الذين انتشر أسلافهم في حوض البحر المتوسط خلال القرون الوسطي وظلوا علي اتصال بإخوانهم في بيزنطه، والمناطق الإسلامية، ولذلك قاموا بدور بارز في التجارة الدولية خاصة بين البلاد الإسلامية وتلك المسيحية[٣٦]، وبصفة عامة؛ نجد أنهم لعبوا دوراً أساسياً في حركة التجارة في العصور الوسطي الباكرة كما يقرر البعض[٣٧] .

وكنتيجة لدور اليهود التجاري تمتعوا بثراء عريض، وعملوا بالربا، وإقراض المعاصرين الأموال بفوائد باهظة [٣٨]، قد ترتب علي تحريم الربا في البلاد المسيحية في الغرب الأوربي، وكذلك علي

تشديد بيزنطة الرقابة عليه– ترتب علي ذلك أن صار لليهود مجالاً متسعاً لإقامة بيوت مالية في مختلف أنحاء عالم المسيحية Christendom .[٣٩]

وهناك من يقرر؛ أن اليهود في كل زمان ومكان كانوا لا يرحمون من وقع في شباك التعامل المالي معهم، وقد تعامل معهم العديدون في الغرب الأوربي في العصور الوسطي؛ وعندما اشتعلت نيران الحروب الصليبية وجدنا من الفرسان من اضطر إلي الاقتراض من المرابين اليهود لتسليح أنفسهم للمشاركة في المشروع الصليبي[٤٠] ، ولا ريب في أن الأمراء، والفرسان الصليبيين قد شعروا بخطر مغادرة بلادهم والاتجاه إلي الشرق تاركين جماعات اليهود لتستغلهم دونما شفقة أو رحمة [٤١]، ولا يعد ذلك بمثل تبرير لسلوكياتهم الدموية بطبيعة الحال.

ويلاحظ؛ أن شعوراً جارفاً بالكراهية لليهود وسلوكهم [٤٢] في الإقراض عم وسط وغربي أوربا خاصة في ألمانيا، وأسبانيا، وفرنسا[٤٣] ، وهي دول شهدت تركزاً للوجود اليهودي منذ قرون عديدة وإذا نظرنا إلي عناصر الفلاحين– وهم الغالبية العظمي في ذلك العصر– نجد أن حاجتهم تزايدت إلي الأموال خاصة عندما بدأ الاقتصاد النقدي يحل محل الاقتصاد الطبيعي القديم، وأخذت عناصرها تتورط في الديون بفوائدها الربوية الباهظة من المرابين اليهود، وهناك من يقرر أن تلك الفوائد بلغت أحياناً خمسين في المائة[٤٤] ، مما عكس مدي الجشع الكبير لأولئك المرابين. والمؤكد أن ذلك أدي إلي زرع الكراهية الاجتماعية ضدهم في أوربا المسيحية[٤٥] ، علي نحو عمق جذور الصدام بين الجانبين وخلق أساساً نفسياً للصراع.

ويضاف إلي ذلك؛ موقف اليهود أنفسهم من المشروع الصليبي إذا أنهم وقفوا موقفاً عدائياً منه، فقد حدث في ديسمبر من عام ١٠٩٥م/٤٨٨هـ في الشهر التالي مباشرة لإلقاء أوربان الثاني خطابه ومن خلال حولية الاضطهاد القديم اليهودية The Chronicle of Old Persecution – حدث أن كتب بعض اليهود القاطنين في شمالي فرنسا إلي إخوانهم في ألمانيا يحذرونهم من أخطار الحروب الصليبية التي ستعود بالضرر عليهم[٤٦] ، ولذلك وقفت الجماعات اليهودية في أجزاء مختلفة من الغرب الأوربي في وجه الصليبيين، وقد اعتقدوا أن المشروع الصليبي من شأنه الإضرار بنشاطهم المالي ليس في الغرب الأوربي فقط ، بل وفي الشرق أيضاً من خلال الصلة الوثيقة لمشاريعهم التجارية في النطاقين المذكورين.

زد علي ذلك؛ ومن خلال مناخ التعصب الذي ولدت فيه الحروب الصليبية، ظهر شعور عدائي تجاه اليهود ورغبه سادية Sadism في الفتك بهم علي اعتبار أنهم أعداء للسيد المسيح عليه السلام،ولا نغفل أن دعاة المشروع الصليبي، ركزوا علي أهمية بيت المقدس، وأثاروا الناس ضد المسلمين الذين استولوا علي الضريح المقدس، كذلك حرضوهم علي اليهود الذين وقفوا موقفاً

عدائياً من السيد المسيح ومما يذكر أن البابا أوربان الثاني نفسه في خطابه السالف الذكر طلب من الصليبيين ذبح أعداء المسيحية[٤٧] ، كذلك يلاحظ أن التدين الشعبي العاطفي في الغرب الأوربي وجد ذاته في موجات العداء الشديد ضد اليهود خاصة الهم مثلوا لمعاهديهم أعداء داخل البيت المسيحي لاخارجه وبالتالي كانوا هدفاً سهلاً للقضاء عليهم ناهيك عن إشباع تعطش الجماهير للفتك بأعداء المشروع الوليد.

ومن المهم هنا؛ تناول الجوانب الدينية بين اليهودية والمسيحية بصورة موجزة من أجل معرفة عناصر الاتفاق، والاختلاف، وكيف أدت العناصر الأخيرة بالعلاقة بين معتنقي الديانتين إلي المذابح الدموية مع عدم إغفال فعاليات الظروف التاريخية الأخرى.

ولقد وجدت عناصر أصلية للاتفاق بين الديانتين، إذ يشترك اليهود والمسيحيون في نفس التراث الوافر من التوراة بما فيها من تشريعات لم يصبها التغيير عبر القرون[٤٨] فهم يتفقون في وجود إله، وكذلك في قدسية الوصايا العشر،[٤٩] ومن خلال العهد القديم تأثرت كثير من المبادئ المسيحية باليهودية، ودخلت ابتهالات اليهود، ومزاميرهم في صلوات المسيحيين في الكنائس[٥٠]

ولا نغفل كذلك أن كتب الأبوكريفا، وكتب الأدب الرؤوي؛ مهدت لظهور المسيحية.[٥١]

ومع ذلك؛ وجدت زوايا للاختلاف والافتراق بين الديانتين، إذ لا يؤمن اليهود بالوهية المسيح[٥٢] كذلك اختلفوا عن المسيحيين في زاوية الخطيئة، فاليهودية لا تفسر قصة آدم وحواء علي ألها مخالفة الإنسان لربه وخروجه من الجنة[٥٣] ، ثم أن اليهودية رفضت طقس الاعتراف [٥٤]الذي آمنت به المسيحية ولا نغفل؛ أن المجادلين اليهود تناولوا العديد من المعتقدات المسيحية بالتفنيد، والنقد بل والطعن، وأهم ما تناولوه ما اتصل بالسيد المسيح– عليه السلام– وولادته وصدق مسيحانيته، ومعجزاته، وكذلك زوايا تتصل بالسيدة مريم العذراء عليها السلام[٥٥] .

ولا ريب؛ في أن عوامل الاختلاف السابقة قامت بدورها في تعميق الفجوة بين الطرفين، والتي تأكدت من خلال أسلوب اليهود في التعامل بالربا، ناهيك عن تجمعهم في أحياء أطلق عليها الجيتو Ghitto[٥٦] ، وانعزالهم فيها. وهناك من يقرر أن الارتباط بالجيتو قلل من اختلاط اليهود بالمسيحيين يوماً بعد آخر وبالتالي زادت الشبهات والشكوك من حولهم، وفي نفس الحين؛ ارتبط الأمن لدي اليهود بوجودهم داخل الحي اليهودي الذي رأوه درع الأمان بالنسبة لهم،[٥٧] ونظر إليه معاصروهم علي أنه مجتمع منغلق يتآمر علي ما حوله من جماعات مخالفة له في الدين، والمصالح الحياتية، ولا نغفل ما أشار إليه البعض من وجود معتقدات بأن اليهودي يطلب دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية، ويسرق الأطفال المسيحيين، ويقتلهم لتلك الأغراض، كذلك وجدت

شائعات عن قيامهم بتسميم الآبار(٥٨) ، ولامراء في أن ذلك كله دعم وجود نفسية جماعية عدائية تجاه اليهود في منطقة حوض الراين بألمانيا حيث وجدوا هناك مع مطلع القرن الثامن الميلادي واستقروا في كولونيا وميتز وغيرها(٥٩) ، ومعنى ذلك أنهم استقروا في المانيا نحو أربعة قرون قبل التعرض لاجتياح صليبيي الحملة الشعبية.

وأمام ما سبق ذكره؛ من الممكن الاختلاف مع الاتجاه القائل ما نصه: "أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين، وكانوا من الأسباب الخفية التي دفعت بالصليبيين لغزو البلاد المقدسة، فقد رأي اليهود أنهم عجزوا عن العودة للبلاد المقدسة بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين، وقد اتخذ اليهود المال وسيلة لهم(٦٠) ".

ولا ريب أنَّ اختلاف المصالح، والأهداف، والصدام الدموي بين الجانبين ينفي ذلك التصور، وفيما بعد عندما أسس الصليبيون كياناتهم في بلاد الشام، والجزيرة كان وجود اليهود في المناطق الصليبية محدوداً بالمقارنة بالمناطق الإسلامية بشهادة الرحالة اليهود المعاصرين أنفسهم (٦١)، ناهيك أن وقائع التاريخ لا تتحرك من خلال دوافع خفية.

وواقع الأمر، من المهم الاتجاه صوب الكتابات اليهودية عن أحداث المذابح في حوض الراين، ويلاحظ هنا أن هناك فرعاً من فروع الأدب الديني اليهودي اهتم بتسجيل الكوارث التي حلت بالجماعات اليهودية علي مر العصور، وهو ما أطلق عليه أدب الشكوى الذي وصفه البعض بأنه شكل قسماً كبيراً من التراث الأدبي اليهودي بصفة عامة .(٦٢)

ويلاحظ أن لدينا عدداً من الحوليات اليهودية تناولت أحداث الاضطهادات الصليبية ضد اليهود خلال أحداث الحملة الصليبية الأولي، ونذكر منها :

- حولية سليمان بن شمشون :

Chronicle of Solomon bar Simson

- رواية الاضطهاد القديم أو ميتز :

.(٦٣) Narrative of the Old Persecution or Mainz.

- حولية الربي اليعازر بن ناثان :

Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan

وتتفق تلك الحوليات في أنها تناولت وقائع الأحداث في حوض الراين، وأن اختلفت في ذكر بعض التفاصيل أو أعداد القتلى من منطقة لأخري، كذلك فإذا كانت حولية سليمان بن شمشون،

والربي اليعاز بن ناثان معروفة المؤلف، فإن حولية الاضطهاد القديم أو ميتز مجهولة المؤلف كذلك توصف حولية اليعازر بأنها أقصر بالمقارنة بالحوليتين الأخريين..

وبصفة عامة؛ تتمثل قيمة تلك الحوليات في أنها تقدم لنا الأحداث من خلال وجهة نظر يهودية، وذلك بتفصيلات أكبر مما أعطي لها أهميتها.

وفيما يتصل بحولية الربي اليعازر بن ناثان؛ نجد أنها تعد متميزة بين الحوليات اليهودية التي عالجت أحداث الاضطهادات الصليبية، فإذا كانت حولية ميتز تعد مجهولة المؤلف، فإن حولية ذلك الربي لها مكانتها من خلال المعلومات الخاصة مؤلفها، فنظراً لكونه من كبار رجال الدين اليهود البارزين، فقد حققت تلك الحولية شهرة كبيرة ولذلك تعددت النسخ المخطوطة منها مقارنة بالحوليات اليهودية الأخرى[٦٤] ، ودل ذلك علي اتساع نطاق تداولها وتدارسها في صفوف المجتمعات اليهودية في ذلك العصر، وفيما بعده.

ونعرف عن مؤلف الحولية المذكورة أنه ولد حوالي عام ١٠٩٠ م/٤٨٣هـ وعاش حتى عام ١١٧٠م/ ٥٦٦هـ[٦٥] تقريباً وخلال أعوام شبابه درس علي أيدي العديد من العلماء التلموديين[٦٦] البارزين مما دل علي تعدد المناهل التي نهل منها ومنهم الربي إسحق بن اشير Issac bar Asher الذي يعد أول وأشهر عناصر التوسافستيس Tosaphists ؛ وهم كتاب يهود من الفرنسيين، والألمان قاموا بدور بارز في تأليف إضافات توضيحية ونقدية للتلمود خلال المرحلة الواقعة بين القرنين الثاني عشر، والرابع عشر الميلاديين/ السادس، والثامن الهجريين أي علي مدي قرني تاريخ الحروب الصليبية وكذلك القرن التالي لهما.

ويلاحظ أن ذلك الربي ارتبط بعائلة يهودية ظهر منها من ساهم بدوره في الدراسات الدينية اليهودية فنجد أن حفيده الربي اليعازر بن جويل هاليفي Rabbi Eliezer bar Joel أحد كبار التلموديين الألمان.

ويقرر شلومو أيدلبرج أن الأخير عاصر القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري[٦٧] غير أن ذلك التصور يحوي مغالطة لأنه عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر والربع الأول من القرن الثالث عشر وبالتحديد بين عامي (١١٤٠-١٢٢٥م/ ٥٣٥-٦٢٣هـ).

ولا نغفل؛ أنه في الأدب التوسافستي المتأخر يشار إلي الربي اليعازر بن ناثان علي أنه الربي اليعازر الشيخ أو الربي اليعازر من ما ينز Rabbi Eliezer of Mainz علي اعتبار قضائه قسماً من حياته في مدينة كولونيا Cologne [٦٨]وربما دل ذلك علي ارتباطه، واقامته الأطول في المدينة المذكورة، ويدل الأمر علي أنه لم يقصر وجوده علي مدينة واحدة من المدن الألمانية؛ بل انتقل من

مكان لأخر، ومن المتصور أن واجباته الدينية حتمت عليه ذلك الانتقال وراء التجمعات اليهودية أينما وجدت لاسيما أنها كانت في اقليم واحد.

ومن زاوية أخري؛ مالت نفسه صوب الرحلة والارتحال خارج ألمانيا، ولذلك عد رحالة يهودياً معروفاً في عصره، وقد زار فرنسا، بل هناك احتمال قيامه بالسفر إلي كييف Kiev (٦٩) في روسيا حيث وجدت هناك جماعات يهودية كبيرة علي مدي القرون الوسطي، ومـــع ذلك؛ لا يوصف ذلك الربي بأنه حقق شهرة طالت الرحالة اليهود المحترفين في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري مثل بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela (٧٠)، وبتاحيا الراتسبوني Petachia of Ratisbon (٧١)علي سبيل الأمثلة؛ إذ لم ترد إشارات عن تأليفه كتاباً خاصاً برحلاته علي عكس الرحالين اليهوديين المذكورين، وغيرهم ومع ذلك من الممكن القول أن أسفاره خارج ألمانيا أفادته في معرفة أوضاع اليهود في مناطق متعددة في أوربا، وكذلك آسيا، وزادت من نطاق شـهرته في المجتمعات اليهودية التي زارها كما هو متوقع.

وقد تعددت اهتمامات الربي اليعازر بن ناثان؛ إذ وجدت له آراء شرعية يهودية وهي الـتي سميت (Even Ha-Ezer (Sofnat Pa,aneah ولنجد فيها تناولاً للعادات والتقاليـد في المنـاطق النائية في الشرق، والتي من المرجح أنها، وصلت إلي مسامعه من خلال رحلاته الشخصية والتجار الذين قدموا إلى هناك (٧٢) وعادوا أدراجهم إليه، وحدثوه بما شاهدوا هناك ويعكس ذلك اتساع دائرة اهتماماته خارج البقاع الألمانية .

ولا نغفل كذلك؛ اتجاهه صوب الشعر الديني، ويلاحظ هنا أن أكثر من خمسة وعشرين مـن قصائده ظلت باقية بما في ذلك الصلوات الإضافية Rosrot لأيام السبت (٧٣) الاحتفالية المختلفة، والأشعار الدينية المسائية المتنوعة، وكذلك أشعار الرثاء المتعددة لمذابح اليهود خـلال أحـداث الحملة الصليبية الأولى، ومن المهم ملاحظة أن العديد من أعماله الشعرية دخلت كصلوات دينية لدي الجماعات اليهودية الألمانية،(٧٤) والبولندية، وذلك كله يدل علي أنه متعدد الأهتمامات بين الدين، والتاريخ، والشعر، ولا ريب في أن ذلك التنوع الديني، والمعرفي، والأدبي أفاده في كتابـة حوليته .

علي أيه حال؛ يقدم لنا الربي اليعازر بن ناثان تفصيلات مهمة عن تلك الأحداث التي حلـت باليهود في العديد من المدن، والقري الألمانية التي احتوت تجمعات يهودية، ومن أمثلتها مدن سباير Speyre ، وورمـز Worms ، ومـير Mainz، وكولونيـا Cologne، قـري فيفلنجـوفن Wevelinghofen، واللـر Eller، واكسـانتين Xanten، وكيربـن Kerpen، جيلـدرن

Geldern، وغيرها، ومعني ذلك انه لم يقتصر علي المدن بل امتد إلي القري علي نحو لا نجـده في المصادر اللاتينية التي تناولت تلك الوقائع الدامية.

ومن المهم أن نرصد هنا المصادر التي اعتمد عليها مؤلف تلك الحولية في إعـدادها، ومـن المتصور معاصرته لأحداث حوض الراين إذ كان طفلاً صغيراً لا يتجاوز السادسة من عمره، حيث ولد عام ١٠٩٠م/ ٤٨٣هـ ، ووقعت الأحداث عام ١٠٩٦م/٤٩٠ هـ، وبالتالي فهو شاهد عيان "صغير" لوقائعها واختزن في ذاكرته وقائعها الدامية، ثم هناك أيضاً الروايات الشخصية التي أفاد منها في أعدادها خاصة من أولئك الذين قدر لهم الفرار من وجه الصليبيين، وفي هذا الصدد أفادته رحلاته في مناطق متعددة داخل ألمانيا وخارجها في الحصول علي معلومات مفيـدة عـن أحداث حوض الراين من خلال فكرة "الـذاكرة الجماعيـة اليهوديـة" خاصـة أن الأجيـال اليهودية ظلت تروى تلك الوقائع جيلاً بعد آخر خاصة أن ضحاياها كانوا شهداء مـن وجهـة نظرهم.

ويضاف إلي ذلك؛ إمكانية أفادته من الحوليات اليهودية الأخرى علي اعتبار أن الصورة العامة للمذابح فيها متشابه مع وجود بعض الاختلافات كما أسلفت الذكر،غير أن هذه الزاوية ليس من السهل تأكيدها لأنها تحتاج إلي دراسة أدبية مقارنة في النصوص ليس هنا مجالها.

وقد قدم إشارات مهمة عن هجوم الصليبيين علي مدينة سباير، وفي هذا الشـان أشـار إلي احاسيس اليهود قبيل الهجوم وكيف أن الخوف، والرعشة، والآلام سيطرت عليهم، وأمام تلـك الضغوط النفسية اتجهوا صوب الدين كملاذ من خلال الصلاة، والإحسان، والندم ثم أقبلوا علي الصوم سواءً في صورة أيام منفصلة أو متتالية علي مدي ساعات الصباح والمساء كما عملوا علي التفرغ إلي الله تعالي لإنقاذهم من الخطر[٧٥] المحدق بهم، وهو تصرف جماعي طبيعي في مثل تلـك الظروف العصيبة.

وتعكس لنا تلك الرواية؛ أن اليهود في سباير كانوا يتوقعون الهجوم الصليبي عليهم، ولم يكن مفاجئاً لهم، ولذلك كان شعورهم علي هذا النحو، وكان اتجاههم صوب الناحية الدينية، ومنطقي أن مثل تلك الأحاسيس التي وردت في تلك الحولية اليهودية لانجدها لدي الكتابات اللاتينية التي عنيت بالأحداث بأبعادها الحربية والسياسية، وبصورة مقتضبة دون الاهتمام بالأبعـاد النفسـية الجماعية .

كذلك سعي إلي تقديم التحديد الزمني لأحداث سباير وأشار إلي وقوعها يوم السبت الموافقـة الثامن من مايو ١٠٩٦م/٤٩٠هـ[٧٦] وقد قرر البعض حدوث ذلك في الثالث من مـارس[٧٧]

١٠٩٦م/٤٩٠هـ وهو أمر عرضة للنقد من خلال التحديد الزمني الذي ورد في تلك الحولية اليهودية المتخصصة، خاصة من خلال ملاحظة أن تلك التحديدات الزمنية لم تكن مجرد تواريخ لوقائع عادية، بل آنها عدت ذكريات لأحداث مؤلمة في تاريخ اليهود، ولذلك حرص مؤرخو الحوليات اليهودية علي إيرادها علي نحو دقيق علي ما هو مرجح.

أما نتائج الهجوم الصليبي علي المدينة المذكورة؛ فقد سقط عشرة من اليهود[٧٨]، وهو عدد محدود إذا ما قورن بما حل بالمدن الألمانية الأخري، ويلاحظ أنه لم يذكر لنا أسماءهم علي الرغم من قلة عددهم، ويبدو أنهم لم يحتلوا مكانة دينية بارزة أو وصفوا بأنهم من الزعماء الدينيين كما ذهب إلي ذلك البعض[٧٩]؛ إذ في حالة حدوث ذلك لحرص علي إيراد الأسماء لكونها لشخصيات بارزة – كما حدثَ في حالات تالية مماثلة– كتعبير عن فداحة المصاب الذي حل باليهود هناك بفقد قيادات دينية .

وقد أوردَ إشارة مفادها أن الصليبيين حاولوا فرض المسيحية بصورة قسرية علي اليهود من خلال رغبتهم العارمة في التنصير إلا أنهم رفضوا ذلك وقد عبر عن الموقف قائلاً: "رفضوا تحقير أنفسهم باعتناق إيمان أعدائهم" [٨٠]، وتعد الحادثة المذكورة بمثابة أول حادثة عبرت عن محاولة الصليبيين تصدير ديانتهم بالقوة وسط العناصر اليهودية بصورة كشفت لنا عن أنهم حملوا معهم مشروعاً تنصيرياً[٨١] بدأت معالمه علي الأرض الأوربية خاصة حوض الراين بألمانيا، وامتد فيما بعد ليشمل بلاد الشام ومحاولتهم تنصير المسلمين هناك، ثم تطور ليمتد إلي مصر ثم تونس بصورة دلت علي أن ذلك الهدف تعددت مجالاته الجغرافية فكان أوربياً، ثم آسيوياً، ومن بعد ذلك افريقياً علي مدي المرحلة الزمنية الممتدة من أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري .

ويلاحظ هنا أن من المعاصرين من استنكر ذلك الأسلوب في فرض المسيحية علي اليهود واعتبر تلك السياسة التنصيرية أمراً غير مشروع ويقرر البعض أن كوسماس من براغ Cosmas of Prague وهو من كبار رجال الكنيسة عارض إجبار اليهود على اعتناق المسيحية[٨٢]، ولا نغفل أنه عقب انتهاء أحداث الصدام بين الصليبيين واليهود اتجه الإمبراطور هنري الرابع إلي إصدار مرسوم إمبراطوري يقرر إمكانية عودة اليهود الذين أجبرهم الصليبيون علي اعتناق المسيحية– إمكانية عودتهم إلي ديانتهم الأصلية[٨٣]، وذلك لكسب ودهم وليعودوا للمشاركة في النشاط الاقتصادي لاسيما التجاري في ألمانيا لازدهارها. علي أية حال؛ يري البعض أنه علي مدي العصور الوسطي حدثت حالات متعدد لإجبار اليهود علي الارتداد عن اليهودية، واعتناق المسيحية[٨٤]،

علي نحو صار سمة مميزة في العلاقات المسيحية– اليهودية في الغرب الأوربي حينذاك.

ومن الزوايا المهمة التي تعرض لها الربي اليعازر بن ناثان في حوليته إشارته إلي إقدام إمرأة يهودية علي الانتحار[٨٥] حتى لا تقع في قبضة أعدائها، ويبدو أنها خشيت التعرض للاغتصاب[٨٦]، الذي أشارت إليه المصادر الصليبية بصورة عكست حدوث عمليات للاغتصاب من جانب الصليبيين ضد النساء اليهوديات، ومن المهم ملاحظة أن الجانب الجنسي صاحب تاريخ الصليبيين علي مدي طريقهم من الغرب الأوربي إلي بيت المقدس وطوال تاريخهم فيما بعد في بلاد الشام[٨٧]، ولذلك أشارت بعض المصادر المعاصرة الصليبية، والعربية، وكذلك المراجع الحديثة إلي تلك الناحية بجلاء.

لقد تمثلت قيمة الإشارة المذكورة في أنها عكست حدوث حالة للإنتحار الفردي، وسرعان ما تطورت لدي اليهود في المدن الألمانية المنكوبة الأخرى لتكون حالات انتحار جماعي خلال أحداث الحملة الصليبية الشعبية، ولا نغفل أن قيمة تلك الإشارة جاءت من خلال كونها خاصة بإمرأة يهودية؛ إذ تذكر إحدى الباحثات أن قراءة التاريخ اليهودي تكشف لنا عن أن المرأة وكان لا وجود لها إذ نادراً ما حظيت المرأة بذات المكانة التي كانت للرجل[٨٨]، وهكذا جاءت تلك الإشارة وسط غزارة الروايات التاريخية اليهودية عن الرجال لا النساء، وبالتالي توحد العنصران معاً في مواجهة الخطر الداهم.

وجدير بالذكر؛ أن العناصر الصليبية التي هاجمت المناطق اليهودية كما في حالة سباير لم تلق أي مقاومة تذكر؛ مما عكس أن ذلك الهجوم كان من خلال أعداد غفيرة من الأفراد، وكان كاسحاً، وشاملاً، وأن اليهود كانت أعدادهم قليلة بالمقارنة بأعدائهم كذلك لم يكونوا مسلحين كي يدافعوا عن أنفسهم؛ مما عكس أنهم كانوا عنصراً مفعولا فيه لا فاعلاً في تلك الأحداث كما قرر البعض[٨٩].

ويظهر خلال تلك الأحداث تساؤل مهم عن موقف الكنيسة من رغبة جماعات الحملة الصليبية الشعبية للفتك باليهود، وواقع الأمر؛ أن الأخيرين بما عرف عنهم من حب جارف للمال واستخدامه في سبيل تحقيق أهدافهم؛ قدموا رشوة من المال لأسقف مدينة سباير لحمايتهم، وبالفعل عمل علي توفير الحماية لهم، وأن لم يكن ذلك كاملاً إذ أن هناك من وقع في قبضة الجماهير المتعطشة للفتك باليهود وهؤلاء لم يستطع الأسقف أن يفعل لهم شيئاً نافعاً ففتك بهم الصليبيون[٩٠]، ولا نغفل هنا سيكولوجية الحشود الغاضبة وسلوكها.

ويعكس ذلك الموقف؛ اتجاه اليهود إلي استغلال المال لتحقيق أهدافهم، وهم الذين اشتدوا من

قبل في جمعه بالفوائد الربوية الباهظة، ومع ذلك فالمنطق يدعو إلي تصور أن اليهود لم يكن جميعهم قادراً علي الإقراض بل وجد في صفوفهم قطاعات فقيرة؛ غير أنه أمام الغضب الجماهيري لتلك الحملة تساوي الجميع أمام المهاجمين وبالتالي كان مصيرهم دموياً، ولا نغفل أن سلوك الصليبيين تجاوز القتل إلي السلب، والنهب[٩١]؛ مما عكس أن ممتلكات اليهود وثرواتهم كانت هدفاً من أهداف أعدائهم حينذاك .

مهما يكن من أمر؛ لم يكن الهجوم الصليبي علي سباير شديد الأثر، ومع ذلك كانت وقائع تلك المدينة مقدمة للأحداث التالية في حوض الراين وبالتالي فتحت سباير الطريق لحو تنفيذ الأحداث الدامية التي قام بها الصليبيون. والزاوية المهمة هنا تقدير موقع تلك المدينة في سياق الأحداث ذاتها، ولا تكشف المصادر عن طبيعة الهجوم الصليبي هل كان عشوائياً أم من خلال تخطيط منظم معد لذلك، والتصور المنطقي هو الاحتمال الثاني من خلال وجود قادة للجموع الشعبية، وتعدد المدن والقري التي شملتها وقائع الهجوم الصليبي، ثم إذا ما أدركنا أن من أولئك القادة من كان أميراً إقطاعياً علي بعض المناطق التي شهدت تلك المذابح؛ أدركنا إمكانية التخطيط المسبق إذ من المستبعد تماماً حدوث كافة تلك الوقائع بصورة عشوائية.

ومن بعد ذلك؛ اتجه الصليبيون صوب مدينة ألمانية أخري وهي مدينة ورمز Worms، ووفق ما يقرره الربي اليعازر بن ناثان فإن الهجوم الصليبي عليها حدث في يوم[٩٢]، ٢٣ مايو أي بعد ما يزيد علي الأسبوعين فقط من الهجوم علي سباير مما عكس أن مهاجمة الأحياء اليهودية في المدن المذكورة لم يحدث في وقت واحد وأنما المفترض حدوث المذابح ى أوقات زمنية متقاربة.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن صاحب الحولية المذكورة في تناوله لتلك المدينة وما حل بها نجده يقدم تفصيلات تفوق تلك التي أوردها عن سباير من قبل، وتعليل ذلك يتأتي من خلال تعرضه لمدينته الأصلية التي عاش فيها قسماً من حياته، وقد انعكس شعوره بالمرارة لما قام به الصليبيون من خلال وصفه لهم علي أنهم "ذئاب البراري"[٩٣]، مما كشف مدي كراهيته وعدائه تجاه مرتكبي الأحداث الدموية ضد بني ديانته وقد ذكر أن هجوم الصليبيين علي الحي اليهودي فيها حدث وقت أن كان اليهود في منازلهم، والبعض الأخر في باحة القس المحلي لورمز الذي لجا إليه البعض مثلما حدث من قبل في سباير.

وأوضح قيام الغزاة بالقتل والنهب للرجال، والنساء، والأطفال وعملوا علي تهديم المنازل[٩٤] ؛ مما عكس أن الصليبيين لم ينتقوا قتلاهم وأن الضحايا شملوا كافة الأعمار، وبالتالي تم الفتك بالعديد من الأسر اليهودية، ويتضح لنا من خلال تلك الأوصاف أن مذبحة ورمز فاقت

سباير خاصة من زاوية هدم المنازل ومن المفترض أنها هدمت بعد إخراج اليهود منها، ونهب، وسلب محتوياتها.

زد علي ذلك؛ أشار إلي أن الصليبيين عملوا علي تدنيس التوراة في أوحال الشوارع، وذكر أنهم أقدموا علي ذلك وهم يسخرون،[٩٥] ويتضاحكون؛ مما عكس إستخفافهم، واحتقارهم للعقائد اليهودية .

وواقع الأمر؛ ليس في الإمكان تعليل ذلك المسلك من جانبهم دون إدراك الاختلافات العقائدية التي بين اليهودية، والمسيحية السالفة الذكر، وتكشف لنا تلك الأحداث حرص صاحب الحولية علي الإشارة إلي أن البشر، والأبنية، والتوراة ذاتها لم تسلم من الصليبيين بصورة أوضحت روح التعصب ضد كل ما هو غير مسيحي كاثوليكي التي تجلت في سلوكياتهم.

ولا نغفل؛ أن الربي اليعازر بن ناثان أشار إلي دور أسقف المدينة الذي لجأ إليه قسم من اليهود في ورمز وقد تعاطف معهم وفتح لهم أبواب قصره غير أن حشود الصليبيين الغاضبة اتجهت إلي اقتحامه وقاموا بذبح كافة الذين لجأوا إليه وقدر صاحب، الحولية أعداد القتلي من اليهود بثمانمائة شخص[٩٦].

وفي حقيقة الأمر؛ أن الأرقام التي بلغتنا من مصادر ذلك العصر ينبغي الحيطة في التعامل معها نظراً لطابع العداء الديني والسياسي القائم وانعكاسه علي الكتابة التاريخية ذاتها، وعلي الرغم من ذلك؛ فإن تلك الأرقام يستفاد منها في عدة دلالات فهي تكشف لنا عن أن مذبحة ورمز فاقت مذبحة سباير بمراحل، ومن المفترض أن الكثافة السكانية اليهودية في ورمز كانت أكبر من تلك التي كانت في سباير بحكم تفوق النشاط الاقتصادي خاصة التجاري للأولي مقارنة بالثانية، وهناك تعليل لتزايد أعداد القتلي من اليهود في ورمز؛ إذ أن عنصر الشائعات قام بدوره في إذكاء نيران العداء بين الطرفين؛ الصليبي واليهودي، إذ انتشرت إشاعة تفيد بأن اليهود قاموا بتسميم آبار المدينة[٩٧]، وكان لانتشار تلك الشائعة أثره الكبير في اشتراك العديد من الفلاحين في الفتك باليهود، ولا ريب في أن استعار العداء تجاه اليهود بصفة عامة قد ساعد علي أيجاد تلك الشائعة وتصديقها.

والزاوية الجديرة بالدراسة في مذبحة ورمز؛ حدوث حالة انتحار جماعي يهودي، وقد قرر مؤلف الحولية أن كلاً منهم ذبح الآخر، الرجل ذبح صديقه، وقريبه، وزوجته، وأطفاله، والنساء قمن بذبح أولادهن[٩٨].

ولامراء؛ في وجود عدة دوافع دفعت باليهود إلي ذلك الموقف فقد أرادوا عدم الوقوع في

قبضة الأعداء، وتجنبوا فرض المسيحية عليهم بصورة قسرية، ويقرر البعض اعتقادهم بأنهم إذا ما تركوا ديانتهم تصبح حياتهم لا تساوي شيئاً[٩٩]، ففضلوا الموت عليها، ولا نغفل أن الشعور باليأس[١٠٠] أثر بدوره في مسلكهم ثم هناك الخوف من الاغتصاب بالنسبة للنساء، وهو امر اتضح لنا في حالة الانتحار الفردية التي وقعت في سباير من قبل .

وتعد هذه الحادثة؛ بمثابة أول إشارة إلي انتحار جماعي يهودي في بدايات أحداث الحروب الصليبية، وعند البحث عن تأصيل تاريخي لها نجد أن هناك حادثة محورية في تاريخ اليهود قديماً تلقي الأضواء الكاشفة علي تلك الواقعة في صورة قلعة المسادة Masada بفلسطين، ويلاحظ أنه عندما ما سقطت القدس علي يدي الإمبراطور الروماني تيتوس Titus عام ٧٠م؛ كانت هناك قلعة المسادة عند البحر الميت علي بعد ٢ ك م غربي البحر علي طريق سدوم –عين الجدي ، ووقعت علي صخرة ضخمة الرأس علي ارتفاع ١٧٠٠ قدم عن مستوي الأرض ومثلت معقلاً طبيعياً لعب دوراً مهماً في أحداث الصراع اليهودي– الروماني، وقد فر إليها عدد كبير من اليهود بلغوا حوالي الألف بقيادة اليعازر بن يائير وهاجمتهم قوة رومانية بقيادة لافيوس سيلفا، وعندما اشتد الحصار الروماني لهم لجأوا إلي الانتحار الجماعي، ويقال أنه لم يبق منهم سوي امرأتان، وخمسة أطفال[١٠١].

ولامراء؛ في أن حادثة قلعة المسادة بدمويتها، وطابعها الانتحاري الجماعي ظلت مترسخه في العقل الجمعي اليهودي، وعملوا علي تكرارها بعد ذلك بما يزيد علي عشرة قرون، ويقرر براور أن الحملة الصليبية الثانية شهدت ما أسماه بطقس الاستشهاد– من وجهة النظر اليهودية بالطبع– ويذكر أنه بدلاً من قبول التعميد الإجباري من جانب الصليبيين لليهود كان الرجال يقطعون رقاب زوجاهم، وأطفالهم وهم يتلون الصلوات الخاصة بذبح الحيوانات[١٠٢]، وحقيقة الأمر أن ذلك الطقس وجد قبل ذلك بما يزيد علي نصف قرن من الزمان خلال أحداث الحملة الشعبية ومهاجمتها لليهود في ورمز.

ولا نزاع في أن تلك الواقعة كشفت لنا عن ميل غريزي للعنف والدموية في الشخصية اليهودية[١٠٣]، خاصة أن ذلك الجانب صاحب تاريخ اليهود قديماً، ووسيطاً، وحديثاً، ونجد جذوره في التوراة، والتلمود علي نحو يخالف الفطرة الإنسانية السوية خاصة فيما يتصل بإقدام الوالد علي ذبح أبنائه والأم علي الفتك بفلذة أكبادها، والمفترض حدوث العكس بمعني أن يفتدي الأب والأم روحيهما من أجل أبنائهما.

وفي تقديري؛ أن أشهر حادثتين للانتحار الجماعي اليهودي قديماً نجدها في حادثة المسادة

السالفة الذكر، ووسيطاً خلال أحداث مذابح حوض الراين، وأن كان الفـــارق الرئيســـي بـــين الحادثين أن الأولي واجه اليهود خلالها قوات عسكرية رومانية نظامية كاملة التســـليح بينمـــا في الحادثة الثانية واجهوا قوات ذات طابع شعبي أبعد ما تكون عن التنظيم العسكري كما أنها كانت خفيفة بل بدائية التسليح ولا نغفل أن الأولى وقعت في غربي آسيا بفلسطين، والثانية في وســـط أوربا بالمانيا.

هكذا حملت أحداث ورمز في طياتها طابعاً دموياً كبيراً في المواجهة الصليبية- اليهودية علـــي نحو جعلها ذات سمه خاصة بين وقائع الاضطهادات الصليبية لليهود في أخريات القـــرن الحـــادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري .

ومن بعد أحداث سبا ير،وورمز كان المصير الدموي ينتظر مدينة ثالثة من مدن حوض الـــراين في صورة ميتر Mainz والتي حددها الربي اليعازر بن ناثان زمنياً باليوم الثالث من الأسبوع – في الشهر الثالث لسيفان Sivan يوم التطهير والصوم لإسرائيل (١٠٤)

ويلاحظ انه خلال أحداثها اتجه اليهود إلي استعمال المال كسلاح مثلما حدث في الســـابق – فارسلوا إلي رئيس الأساقفة مبلغ مائتي مارك ، أما اميكو فقدموا له سبعة أرطال ذهبية ومعني ذلك أن المبلغ ازداد وفق المكانة السياسية، والقدرة العسكرية علي حمايتهم ، وكان لذلك أثـــره في أن وعدهم بالأمان ، غير انه نكث بوعوده، وذبح أهلها علي مدي يومين، وجاء تقدير البعض لأعداد القتلى علي أنهم ألفين من الأشخاص (١٠٥) .

ونقدم الحولية اليهودية المذكورة تفصيلات مشابهة لما ورد بشأن مدينة ورمز حيث أشار ذلك الربي إلي أن الصليبيين قتلوا الأطفال ، والشباب ، والشيوخ ، والنساء ، وزاد بأن من الأطفال من كان من الرضع ، ومن النساء من كن مشرفات علي الولادة (١٠٦) ، وقد ذكر تلك الوقائع كي يقدم للقارئ الأدلة علي أن الغزاة لم تأخذهم بهم رحمة بصورة دلت علي أن الفتك باليهود كـــان شاملاً لكافة الأعمار دونما استثناء مما دل علي وجود أسرات كاملـــة انقرضـــت خـــلال تلـــك الأحداث، مع ملاحظة أنه في حالة النساء الحوامل كان القتل ثنائياً ولم يكن فردياً .

وتجدر الإشارة؛ إلي أنه في ميتر كما حدث في ورمز من قبل وجدت حادثة للانتحار الجمـــاعي ويؤكد مؤلف الحولية أن النساء اليهوديات شعرن بالخوف الشديد من التعرض للاغتصاب إذ ذكر أنهن قمن بشد الأحزمة علي عوراتهن بقوة ، وذبحن أولادهن ، وبناتهن ثم أنفسهن، وكذلك فعـــل الرجال (١٠٧) ، ذكر أن القتلى من اليهود سواء بالقتل علي أيدي الصليبيين أو بالانتحار بلغوا ألفاً وثلاثمائة شخص (١٠٨) وفق تقديره الشخصي بالطبع .

ومن الجلي البين؛ أن السلوك الدموي الاختياري الذي أقدم عليه اليهود في ورمز من قبل كان في مخيلة إخوانهم في ميز من خلال ذات الدوافع السالفة الذكر علي الأرجح .

وواقع الأمر، تأكدت واقعة الانتحار الجماعي في ميز من خلال المصادر الصليبية ذاتها ، فالمؤرخ الألماني البرت دي اكس Albert Von Achen, Albert D,Aix أشار إليها وذكر أن الأمهات اليهوديات ذبحن أطفالهن الرضع بالسكاكين (١٠٩) وفضلن الموت علي القتل بأيدي أعدائهن علي نحو أكد الواقعة .

زد علي ذلك من خلال إشارات ذلك المؤرخ نعرف أن عدد الناجين من اليهود كان قليلاً علي نحو كشف عن كثرة أعداد القتلى ، ومن المفترض أن الناجين لم يتمكنوا من النجاة بأنفسهم إلا بفضل اعتناقهم المسيحية ، والتي أشار ذلك المؤرخ علي أنهم فعلوا ذلك خوفاً من بطش الغزاة(١١٠) علي نحو اثبت أنه أمام سلوك الصليبيين لم يكن امام اليهود سوي اختيارين لا ثالث لهم، وهو أما القتل علي أيدي الصليبين أو أنفسهم أو اعتناق المسيحية بصورة قسرية ، وأوضح احد كبار المؤرخين المحدثين في تعليق علي تلك الواقعة أن من السخرية أن الديانة المسيحية التي تدعو إلي المحبة والتسامح يسعي أصحابها إلي فرضها علي أسنة الرماح (١١١) . مما عكس التناقض الصارخ بين المثال والواقع المسيحيين في ذلك الحين علي أيدي أبناء المسيحية وهي منهم بريئة .

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن الصليبيين كرروا أحداث مهاجمة سبير ، وورمز ، وميز بصورة متعددة مع وجود اختلاف في تفاصيل الهجوم الصليبي ذاته و في أعداد القتلى أو في رد فعل اليهود بين الانتحار الجماعي أو الاضطرار إلي اعتناقه .

مهما يكن من أمر ؛ تواصلت المذابح الصليبية فامتدت إلي مدينة كولونيا ،و أورد السربي اليعازر بن ناثان أن الشعور بالرعب ساور قلوب اليهود بها (١١٢) خاصة بعد أن وصلت إلي مسامعهم أخبار مذابح المدن المنكوبة السابقة ، وقد أشار إلي اقتحام الصليبيين للمنازل ، وهدمهم الكنيس اليهودي أو السيناجوج Synagogue وإلقائهم للتوراة في الطريق حتى تداس بالأقدام(١١٣) ، ويلاحظ أن ذلك العداء تجاه التوراة سبق حدوثه في سبا ير من قبل .

وقد تميزت أحداث كولونيا بموقفين لا يخلوان من دلالات مهمة؛ فقد اتجه قسم من اليهود إلي طلب العون من القري المجاورة للاختفاء عند من يتصورون أن يعطفوا عليهم (١١٤)، وهي إشارة تفيد أن لهم أقارب في المناطق الريفية أو أن هناك قطاعاً من اليهود الفقراء علي ما هو محتمل لم يتعاملوا بالربا كانت علاقتهم طيبة بجيرانهم من المسيحيين ولذلك فكروا في اللجوء إليهم عند اشتداد الخطر ، ومن المستبعد تماماً أن يلجأوا إليهم في حالة وجود علاقات عدائية ضدهم ، كذلك

يمكن استنتاج أن موقف صليبيي الحملة الشعبية العدائي لليهود لم يكن معبراً عن موقف جماعي لكافة المسيحيين الألمان الذين وقف بعضهم بجوار جيرانهم من اليهود خلال تلك الأحداث العصيبة .

أما الحادثة الثانية فتتمثل في محاولة بعض اليهود للفرار جماعياً من المدينة تحت جنح الظلام باستخدام القوارب المتجهة إلي مدينة نويس ، غير أن الصليبيين اكتشفوا الأمر ، وتمكنوا من إلقاء القبض عليهم وبعد تجريدهم من متعلقاتهم أو ممتلكاتهم اعملوا فيهم الذبح كما قرر ألبرت دي اكس في حوليته (١١٥) .

وتدل الحادثة المذكورة علي أن اليهود التمسوا الفرار أحياناً من المصير الدموي الذي انتظرهم، ويبدو أن الربي اليعاذر بن ناثان حرص علي عدم إيراد تلك الواقعة حتى لا يظهر بني ديانته بمظهر الخائفين الفارين بل أظهرهم دوماً بالمقتولين من جانب أعدائهم أو المنتحرين جماعياً حتى لا يقعوا في قبضتهم ، وبالتالي يرفعهم إلي مرتبة الشهداء من خلال التصورات اليهودية .

ومن بعد أحداث كولونيا اتجه الصليبيون إلي مهاجمة القري التي احتوت عناصر يهودية ، وهو أمر لا يخلو من دلالة إذ يعكس حرصهم علي تعقبهم أينما وجدوا سواء في المدن أو خارجها ولا ريب في أنهم أدركوا فرارهم إلي تلك القري ولذلك حرصوا علي تعقبهم أينما وجدوا حتى لا يعودوا مرة أخري إلي كولونيا ليشكلوا مجتمعاً يهودياً هناك من جديد .

وقد اتجه الصليبيون إلي تتبع اليهود في القري التي لجأوا إليها، ومطاردهم لهم حتى في صورة الأعداد الصغيرة لا التجمعات الكبيرة التي تركزت في الجيتو المخصص لهم في تلك المدن الألمانية ، ودل ذلك علي حرص صليبيي الحملة الشعبية علي إكمال عملهم في الإجهاز علي اليهود ، وقطع الطريق عليهم ، وتقديم رسالة إلي عناصرهم في المناطق الأخرى بأن اليد الصليبية ستطولهم أينما وجدوا ، وإذا كان اليهود في المدن السابقة كانوا هدفاً سهلاً لأعدائهم علي الرغم عن تركزهم العددى فإنهم بلا ريب كانوا هدفاً أيسر في تلك القري التي فروا إليها .

مهما يكن من أمر ؛ أشار مؤلف الحولية اليهودية إلي مهاجمة الصليبيين لقرية فيفيلنجوفن Wevelinghofen حيث قاموا بذبح اليهود فيها ويقدم لنا بعض أسماء من فتك بهم ، ومن أمثلتهم سيدة أسماها راشيل العجوز (١١٦) ، وهي زوجة سليمان هاكوهين وإيراد الاسم علي هذا النحو – علي الرغم عن أنه لم يورد أسماء أشخاص في الأحداث السابقة – يدل علي أن السيدة المذكورة كانت شخصية يهودية لها مكانة ما لم يفصح عنها، وهو أمر لا يمكن تأكيده أمام الصمت المصدري .

وقد ذكر اليعازر بن ناثان حدوث حالة للانتحار الجماعي في تلك القرية علي منوال حـــالات الانتحار السابقة، وأن كان من المفترض أنها كانت أقل عدداً بطبيعة الحال ، وفي هذا المقام؛ أشار إلي أن الربي صموئيل بن يحييل قام بذبح ابنه ومن بعد ذلك طلب من شاب يهودي اسمه منـــاحم القيام بذبحه شخصياً بالسيف . (١١٧)

ويلاحظ أنه نظراً لوجود برك مائية في القرية المذكورة لذلك اســتغل اليهــود الــذين أرادوا التخلص جماعياً عن حياتهم بأن أغرقوا أنفسهم عمداً فيها (١١٨) وتعد هذه بمثابة الحالة الأولي التي يتم الانتحار فيها عن خلال الأغراق واستعمال سلاح المياه وليس السيوف ، ويدل ذلك علـــي حقيقة أن المظاهر الطبيعية الجغرافية في المدينة أو القرية التي تعرضت للهجوم الصليبي كـــان لهـــا دورها في تطوّر الأحداث التاريخية بها ؛ مما عكس بدوره تعـــدد وســـائل الانتحـــار اليهـــودي حينذاك .

وقد امتد مسلسل العنف الصليبي إلي قرية أخري وهي قرية اللير Eller ووفق الحولية التي بصدد دراستها قرر مؤلفها حدوث مذبحة بها ، ولم يتبق من اليهود إلا القليل ، كذلك حدث بها انتحار جماعي آخر عشية يوم السبت المقدس لدي اليهود ، وقد أشار إلي أسماء الذين فتكوا ببني ديانتهم من اليهود مثل جير شوم يهوداً ، وابن إبراهيم ، وأخوه يوسف ، ويهودي اللاوي ابن الربي صموئيل (١١٩) ، وتدل تلك الأسماء علي أن من بين القائمين بذلك العمل الدموي من كان يمت بصلة القرابة للأخر مثل الآخرين اللذين ذكرهما ، كذلك هناك من كان ابناً لأحد زعامات اليهود الدينية مثل يهودي اللاوي ابن الربي صموئيل .

ولا تفعل هنا ؛ أن مؤلف تلك الحولية ذكر عدد القتلى علي أنهم ثلاثمائة (١٢٠) وهو رقم تظهر فيه المبالغة لأن مثل تلك الأرقام قد تقبل في مدن كبيرة – بمقاييس العصور الوسطي– بـــالطبع – مثل ميتز ، وكولونيا ، وغيرها غير أنها تستبعد في القري خاصة أننا لا نعلم وجود تركز ســـكاني يهودي كبير في مثل تلك المناطق الريفية .

ويلاحظ انه حرص علي إيراد حادثة انتحار فردي قام بها رجل يدعي اسحق اللاوي وقد عذبه الصليبيون وفيما بعد عاد إلي بيته في كولونيا ثم أنتحر بإغراق نفسه في نهر الراين (١٢١) ، وكأنـــه بذلك أعاد إلي الأذهان حادثة قرية فيفيلنجهوفن عندما أغرق اليهود أنفسهم في البرك الموجـــودة فيها.

ولا نفعل هنا ؛ أن الربي اليعازر بن ناثان عمل علي تقديم إشارات خاصة بامتـــداد المـــذابح الصليبية لليهود في قرية تسمي اكسانتن Xanten التي حدثت فيها مذبحـــة لهـــم في أحـــد أيـــام

السبت[١٢٢] ويلاحظ هنا أنه في أكثر من واقعة ، أكد علي أن يوم السبت وقعت فيه مثل تلـــك الأحداث علي نحو يؤكد أن الصليبيين قاموا بتلك الأعمال في اليوم المقدس لليهود ، ومن وجهـــة نظر الأخيرين فإن الذين قتلوا خلال ذلك اليوم كانت لذكراهم مكانة دينية خاصة مـــن خـــلال خصوصيه ذلك اليوم .

علي أية حال ؛ لم يغفل ذلك الربي ذكر أحد النماذج اليهودية التي انتحرت في صـــورة مـــن وصفه بأنه الربي القادم من فرنسا ـــ والذي لم يذكر اسمه صراحة ـــ وقد قام بحفر قبره وصـــلي صلاة الذبح ثم ذبح نفسه منتحراً [١٢٣]، ولا نفعل ؛ أن إشارته الخاصة بقدومه من فرنسا ـــ وهي الدولة المجاورة مباشرة لألمانيا ـــ لا تخلو من دلالة وهو هنا يهدف إلي التقرير بأن قدره في ألمانيـــا حيث قدم إليها لتعميق الجانب القدري وأنه قدم إلى حتفه ، ومن المهم إدراك ذلك التوجه في مثل تلك القيادة الدينية اليهودية في صورة الربي اليعازر بن ناثان ، كذلك تعكس انتقال اليهود مـــن دولة لأخري في ذلك العصر خاصة في حالة تجاورها الجغرافي ووجود مجتمعات يهودية كبيرة هـــا كما الحال في فرنسا وألمانيا حيث توزعت عائلات يهودية بين الدولتين .

كذلك ألقي الضوء من خلال حوليته علي امتداد الأحداث إلي ميهرMeher وهي التي وصفت بأنها علي المستوي العمراني ليست بالقرية بل مدينة ، وقد ذهب رئيس المدينة المذكورة إلي الصليبيين الذين هاجموها ليطلب منهم عدم اقتحامها تجنباً لسلوكهم التدميري، وليتمكن من القيام بدور الوساطة الدبلوماسية بين الجانبين ، وقد وعد اليهود بحمايتهم ، وهو موقف يذكرنا من قبل برجال الكنيسة الذين وفروا لهم الحماية الجزئية في بعض الحالات السابقة ، غير أنه فيما بعد تنصل من وعوده [١٢٤] نظراً لاختلاف المصالح بين الجانبين وأوضح لهم تفضيله تسليمهم لهم علي محاصرة المدينة ، وتخريب القلعة علي أيدي الصليبين [١٢٥] وكان موقف اليهود من جراء ذلك قبول فكرة الانتحار ، وبالفعل حدثت حالات للانتحار وهي التي عندما شاهدها الصليبيون سارعوا بإعمال الذبح في باقي اليهود، وأبقوا فقط علي من ارتد عن يهوديته واعتنق المسيحية كما حدث في حالات مماثلة سابقة.

وأورد ذلك الربي في حوليته إشارات تفيد بأن المذابح الصليبية لم تحدث في كافة المناطق التي استقر فيها اليهود في حوض الراين عام ١٠٩٦م /٤٩٠هـ بل أن هناك مناطق لم تتعرض لذلك المصير الدموى ، بل لسوء المعاملة فقط ، إذ يذكر عن منطقة كيربن Kerpen أن الصليبيين أهانوا اليهود فيها بمياهم الدنسة وأساءوا إليهم [١٢٦] وتكرر نفس الموقف في منطقة جلدرن Geldern التي ذكر تعرضها للنهب، والإساءة [١٢٧] فقط ، ولم يقدم تعليلاً لذلك الاستثناء ، ومن المحتمل أن

اليهود هناك لم يمارسوا الإقراض بفوائد ربوية ، ويبقي احتمال آخر وهو قلة أعداد العناصر اليهودية فيها علي نحو لم يشجع أعداءهم علي القيام بأعمال دموية ضدهم نظراً لضعف دورهم في تلك المناطق ، ومع ذلك ، فأمام صمت المصادر لا يستطيع الباحث تأكيد التصورات الاحتمالية السابقة .

وتوجد زاوية علي جانب كبير من الأهمية في دراسة الاضطهادات الصليبية لليهود في حوض الراين عام ١٠٩٦م / ٤٩٠هـ في صورة النتائج التي ترتبت علي تلك الأحداث الدموية التي حلت بهم .

وواقع الأمر ؛ أن تلك الوقائع كانت بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الجماعات اليهودية هناك وعدت المرة الأولي التي تحل بهم في أوروبا[١٢٨] مما عكس أهميتها ونلاحظ أنها أثرت في كثافتهم السكانية في تلك المنطقة إذ يقدر البعض عدد القتلى منهم بعشرة آلاف[١٢٩] ، وهي أرقام وإن غلب عليها طابع المبالغة إلا إنها عكست كبر حجم القتلى من اليهود خاصة أن الهجوم للصليبي كان شاملاً وكاسحاً ، وامتد لعدد من المدن والقري التي استقروا بها .

ويقرر البعض ما نصه : "...بيد أن العصور الوسطي لم تلبث أن أتت بحروبها الصليبية التي أشعلت نار الاضطهاد الديني ضد اليهود في جميع أنحاء أوروبا مثلما أثارتها ضد العرب خارجها ، وعلي أطرافها ومشارفها ، هنالك بدأت عمليات الطرد بالجملة والإبادة التي ستؤدي في النهاية إلي تغيير جذري في توزيع اليهود في أوروبا[١٣٠] " ، مما عكس أهمية تأثير تلك الأحداث ، بل أن هناك من يقرر أنه نتج عن تلك الوقائع الدامية هجرة آلاف الأسر اليهودية من الغرب الأوروبي إلي شرق القارة الأوروبية خشية تكرار تلك المذابح [١٣١] ، وبالتالي صارت ألمانيا منطقة طرد لليهود بعد أن كانت من قبل ولعدة قرون خلت منطقة جذب لهم؛ غير أنه مع المتغيرات السياسية والعسكرية التي حدثت في الغرب الأوروبي بظهور مشروع الحروب الصليبية تأثر ذلك الوضع تأثراً كبيراً وحدث نزوح جماعي يهودي بحثاً عن الأمن الذي افتقدوه هناك. وبصفة عامة؛ فإن اليهود بعد تلك الأحداث لم يعودوا في أمان تام في أوروبا مرة أخري[١٣٢] .

وهكذا ؛ أدت مذابح حوض الراين إلي تغيير التوزيع الديموغرافي اليهودي في ألمانيا ، وكذلك في المناطق الأخرى المجاورة بطبيعة الحال مثل فرنسا بالاتجاه صوب منطقة جذب أخري في صورة شرقي أوروبا وهم بذلك حاولوا أن يكونوا قريبين–علي الأرجح – من الكثافة السكانية اليهودية التقليدية هناك؛ حيث وجدت أعداد كبيرة منهم في روسيا ودل ذلك بدوره علي حجم تأثير الحروب الصليبية خلال تلك المرحلة المبكرة علي البنية السكانية في الغرب الأوروبي بحيث شهدت

تلك القارة موجات الهجرة والنزوح من جانب الصليبيين الكاثوليك إلي الشرق سواء شرق البحر المتوسط لحرب المسلمين والسيطرة علي مراكز حركة التجارة والأماكن المقدسة المسيحية وأيضاً إلي الشرق الأوروبي من خلال هجرة العديد من الأسرات اليهودية إلي هناك خشية تعرضهم لذات المصير السالف الذكر •

مهما يكن من أمر؛ توجد ناحية يفرضها الموضوع علي الباحث، تتصل بالمسئولية التاريخية عن تلك الأحداث ، وواقع الأمر أنها مسئولية مزدوجة فالصليبيون وقع علي عاتقهم تلك الأحداث الدموية البالغة العنف ، غير أن اليهود يتحملون قسماً منها من خلال سياستهم الربوبية وتقوقعهم في الجيتو الذي أثار حولهم الشكوك العديدة ، بالإضافة إلي أن إقدامهم علي الانتحار الجماعي بما فيه من قسوة بالغة زاد من عدد القتلى في صفوفهم ، ومن الخطأ البين جعل المسئولية قاصرة علي أحد الطرفين المتصارعين دون الآخر •

ولكن ماذا عن منهجية الربي اليعازر بن ناثان في كتابة حوليته عن أحداث حوض الراين الدامية عام ١٠٩٦م / ٤٩٠هـ وواقع الأمر أننا نجد عدة زوايا في هذا الشأن •

فالملاحظ أن طبيعة تكوينه الديني وعمله فرضت نفسها علي أسلوبه في الكتابة التاريخية ولذلك وجدناه يكثر الاستشهاد من عبارات وردت في العهد القديم Old Testament وقد استخدمها لدعم عرضه لوقائع الاضطهاد الصليبي لليهود ، كذلك من أجل تعميق الشعور الديني لدي من يقرأ حوليته بحكم تدعيمها بتلك النصوص الدينية ، ومن أمثلة ذلك : عبارة " اسمعي

يا إسرائيل الرب هو ألهنا والرب هو واحد(١٣٣) " كذلك أورد عبارة " أولئك الذين أحبوه سيكونون كالشمس عندما تتقدم في أوجها"(١٣٤) وغيرها من العبارات •

كذلك هناك حرصه علي ذكر التحديد الزمني لتلك الوقائع خاصة في حالة ارتباطها بمعاني دينية كوقوعها في يوم السبت وذلك دعماً للذاكرة الجماعية اليهودية عندما تحتفل بمن قتل على أيدي الصليبيين بتحديد زمني دقيق •

ويضاف إلي ذلك ؛ حرص صاحب الحولية علي إظهار اليهود في مظهر المضطهدين الذين يقبلون علي الموت اختياراً وبالتالي اغفل زوايا أخري في صورة محاولة عناصر منهم الفرار حتى لا يتعرضوا للقتل علي أيدي الصليبيين ، ولا تعليل لذلك سوي رغبته في إظهار اليهود بمظهر الصامدين الذين لا يستسلمون لأعدائهم البتة ، ولا يخشون الموت •

كذلك نلاحظ أن تعبيراته كمؤرخ ارتبطت بالموقف ذاته الذي يتعرض له بالكتابة التاريخية ، إذ تخير ألفاظاً موحية وقوية الدلالة علي العنف ، والقسوة ، والحزن الشديد ، وكذلك التضرع ،

والابتهال الديني ، وساعدته حصيلته اللغوية الثرية علي تنويع عباراته ودلالاتها علي نحو افصحت عنه مرثياته للقتلي من اليهود .

وجدير بالذكر ؛ أنه حرص علي ذكر بعض الأماكن في فلسطين المتصلة بـذكريات الديانـة اليهودية ، من ذلك إشارته إلي جبل صهيون[١٣٥] وهو أحد الجبال المطلة علي بيت المقدس من أجل تدعيم ارتباط اليهود بفلسطين عامة، وبيت المقدس خاصة، لما لها من مكانة في التـراث الـديني اليهودي .

ولا نغفل كذلك؛ توظيفه للشعر في خدمة كتابته التاريخية وفي هذا الشأن نجده يقدم رثاء أدبياً يفيض بالألم، والحسرة، ومغلف بالكآبه السوداء حزناً علي القتلى من بني ديانته سـواء بأيـدي الصليبين أو بأيديهم شخصياً وأن زادت مرثياته قوة عندما تعرض لأولئك الذين فضلوا الانتحار الجماعي علي ترك ديانتهم[١٣٦] ، وبصفة عامة ؛ اعتبر الرثاء من مجالات التعبير الشعري في كافة الأدبيات العالمية في القرون الوسطي ، وقد شهد عصر الحروب الصليبية بما احتواه من أحـداث التدمير ، والتخريب ، والقتل مجالاً خصباً له ومن أمثلته الأخرى نذكر مرثية الشـاعر نرسـيس Narses في رثائه للرها Edessa [١٣٧] ؛عندما سقطت علي يدي الأتابك عماد الدين زنكي عام ١١٤٤م/ ٥٣٩هـ [١٣٨] .

ومن المهم الآن؛ التعرض لأوجه النقد التي تؤخذ علي الربي اليعازر بن ناثان في حوليته ، ومن اهمها التعاطف الشديد مع العناصر اليهودية ، ولذلك ظهر في حوليته طابع الدعايـة الدينيـة ، السياسية لهم ، وهو أمر نجده دون كبير عناء من خلال أسلوبه في الكتابة التاريخية حيـث صـور القتلى من اليهود علي أنهم شهداء وأبطال ونماذج دينية يحتذي بهم خاصة من خـلال تفضـيلهم الموت علي الحياة بصورة اختيارية بل انطلق من تلك الزاوية ليدعوا اليهود الأحياء إلي الانتقام من الصليبيين الذين فتكوا بأقاربهم علي النحو الذي أوضحه في حوليته ، ومن أمثلة تعاطفه الشديد مع بني ديانته قوله : في أي مكان يهرب إليه اليهودي لإنقاذ روحه كانت هناك صخرة تئن وتصـرخ من الحائط [١٣٩] ، وهو يعني هنا حائط البراق [١٤٠] الذي يسميه اليهود حـائط المبكـي [١٤١] ، والذي يعد السور الغربي من المسجد الأقصى ، وهو مقدس لليهود كما هو معروف ولا ريب أن يهوديته كانت أحياناً بمثابة حجاب أعاقته عن عرض الحقائق التاريخية ذاتها التي تعارضت مع مصالح بني ديانته .

ونجده لا يقدم تعليلاً لأسباب الصدام بين اليهود ، والصليبيين ، وأنما أظهر اليهود بمظهر الضحية فقط ، ولذلك تصدق عليه عبارة انه كتب حوليته بمداد يهوديته، كذلك يلاحظ أن التفسير الديني يغلب علي كتابته التاريخية ، إذ فسر ما حل باليهود من مذابح علي أنه من جراء الآثام والخطايا ولم يقدم تناولاً واعياً لسلوك اليهود أنفسهم ، ومع ذلك يلاحظ أن التفسير الديني

أمر متوقع من جانب رجل دين يهودي علي شاكلته بل لجده بصفة عامة في كتابات المؤرخين الصليبيين، والمسلمين بصور متفاوتة من مؤرخ لآخر بحكم تعاظم الظاهرة الدينية ذاتها في عالم العصور الوسطي ٠

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه أن الجانب الرقمي في حوليته يظهر فيه طابع المبالغة بشان أحداث المذابح الصليبية مع ملاحظة ان ذلك الطابع يعد طابعاً عاماً لدي المصادر التاريخية التي وصلت إلينا من ذلك العصر ، وبصفة عامة ، لجد أن الأقليات الدينية كاليهود وغيرهم حرص مؤرخوهم علي زيادة أرقام ضحاياهم في حالات تعرضهم للاضطهاد لتقديم انطباع عام يكبر حجمهم عددياً، وكذلك دورهم التاريخي ٠

مهما يكن من أمر ؛ اتجه عدد من الباحثين اليهود المحدثين – ومنهم الإسرائيليين بطبيعة الحال – إلي اعتبار الأحداث الدموية التي وقعت لليهود في حوض الراين علي اعتبار أنها جزء من معاداة السامية Anti Semitism(١٤٢) غير أن ذلك التصور يحوي مغالطة واضحة ، فالملاحظ ان التعبير ذاته المقصود به " معاداة اليهود " أو" نبذ اليهود من الجميع "علي اعتبار أنهم الذين يمثلون وحدهم الجنس السامي في المجتمع الأوروبي (١٤٣) وفق الدعوى العنصرية التي أشاعوها عن انفسهم ، ويقرر أحد الباحثين المتخصصين في الدراسات اليهودية أن المنطق الطبيعي يقول عكس ما يدعيه اليهود لأن العداء للسامية هو رد فعل لعداء اليهود لغير اليهود أو عداء السامية لغير الساميين (١٤٤) ٠

ومن الممكن تصور الوقائع التي أوردها الربي اليعازر بن ناثان في حوليته من خلال السياق العام لأحداث تاريخ الحروب الصليبية؛ فالملاحظ أن تلك الحركة التاريخية البارزة خلال العصور الوسطي اتسمت بالطابع الدموي والتخريبي منذ بواكيرها الأولي علي الأرض الأوربية ثم في بلاد الشام بعد ذلك حتى خروج الصليبيين مطرودين من عكا عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ والطابع المذكور لم يكن قاصراً علي اليهود فقط ، بل امتد ليشمل المسلمين وحتى المسيحيين الارثوذكس أنفسهم ، ففي أحداث الحملة الصليبية الأولي ارتكب الصليبيون المذابح علي مدي طريقهم من أنطاكية إلي بيت المقدس ، وقد أحدثوا في مدينة معرة النعمان مذبحة عام ١٠٩٧م/٤٩١هـ راح ضحيتها الآلاف (١٤٥) ، وفيما بعد؛ أحدثوا مذبحة كبري مروعة في مدينة بيت المقدس خلال المرحلة من ١٥ إلي ٢٥ يوليو ١٠٩٩م / ٤٩٣هـ (١٤٦) وقدر البعض عدد ضحاياها بما يزيد علي السبعين ألفا (١٤٧) وعلي الرغم من طابع المبالغة الرقمية المعتادة حينذاك إلا أن عدد الضحايا كان كبيراً بكافة المقاييس من خلال الطبيعة الدينية لتلك المدينة لدي المسلمين وتجمع أعداد غفيرة منهم لزيارة المسجد الأقصى، والصلاة فيه، ولتلقي العلم هناك ٠

وفيما بعد أرتكب الصليبيون مذبحة في مدينة بلبيس بمصر خلال حملات الملك عموري الأول Amalricus1 (١١٦٢ ــ ١١٧٤م/٥٥٨ ــ ٥٧٠هــ) وهي التي أشار أليها وليم الصوري William Of Tyre نفسه [١٤٨] وخلال أحداث ما عرف بالصليبية الثالثة قام الملك الإنجليزي ريتشارد الأول قلب الأسد Richard 1 Heart Of Lion (١١٨٩ ــ ١١٩٩م / ٥٨٥ ــ ٥٩٦ هــ) بمذبحة لحامية مدينة عكا عقب سقوطها وذلك عند تل العياطنية وبلغ عدد ضحاياها نحو ألفين وخمسمائة رجل وذلك عام ١١٩١م / ٥٨٧ هــ [١٤٩] ٠

أما إذا انتقلنا إلي أحداث الصليبية الرابعة ؛ لجد أن الصليبيين عملوا علي إسقاط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية عام ١٢٠٤م / ٦٠١ هــ من خلال جملة دوافع اقتصادية ، وسياسية ، و دينية وارتكبوا فيها مذبحة مروعة وخربوا وسلبوا ونهبوا كل ما أمكنهم نهبه علي نحو لم يحدث[١٥٠]لتلك المدينة الإمبراطورية منذ تأسيسها في القرن الرابع الميلادي ٠

ونخلص من ذلك كله؛ أن المذابح الدموية، والسلب ، والنهب لم يكن قاصراً علي اليهــود في حوض الراين ، بل كان بمثابة جزء أصيل من طبيعة الحركة الصليبية ، وبالتالي لم يكن الأمر "معاداة سامية " كما توهم البعض ، ويكفي التقرير بأن المسلمين عانوا من مذابح اشد قسوة وأكثــر في عدد الضحايا وهم من الساميين ولم يرفعوا شعار " معاداة السامية " ولم يحاولوا ابتزاز غيرهم بــه سياسياً كما فعل اليهود المحدثون ٠

واتجه أحد المؤرخين الإسرائيليين إلي القول ما نصه " في أثناء الزحف أرتكب الصليبيون أبشع أنواع الجرائم والاضطهادات ضد اليهود من مذابح مروعة لم يشهدها التاريخ الأوروبي من قبــل وليس لها نظير في وقتنا الحاضر،[١٥١] وشبهها بالهولوكوست[١٥٢] ، والواقع أن ذلك المؤرخ نسي أو تناسي ما يزيد علي الأربعمائة قرية فلسطينية التي دمرها الإسرائيليون عند قيام دولة إســرائيل وتهجير سكانها الأصليين والمذابح العديدة التي أقاموها للعرب علي مدي نصف قرن من الزمــان ومازالت مستمرة !!!٠

علي أية حال ؛ فعند مقارنة أوضاع العناصر اليهودية في حوض الراين بمنطقة أخري من مناطق الغرب الأوروبي كانت تحت حكم الإسلام ونعني بها بلاد الأندلس ، نجد أن اليهود فيها لم يتعرضوا للمذابح الدموية ، بل وصلوا إلي أعلي الدرجات علي المســتويات السياســية ، والاقتصــادية ، والدينية ، واستمر ذلك الوضع حتى عصر المرابطين وأن تراجع جزئياً مع العصر الموحدي ، غــير أنه بصفة عامة؛ نعم اليهود هناك بتسامح ديني[١٥٣] وحققوا تفوقاً لم يحصل عليه إخوانهم في ألمانيا

الذين نكبوا بالتعصب الصليبي المقيت ، ولم يكن ذلك بالاستثناء الوحيد بــل مــن الملاحــظ أن العناصر اليهودية بصفة عامة نعمت بذلك الوضع من خلال طابع التسامح الإسلامي لدي العديد من الأسرات الإسلامية الحاكمة (١٥٤) في العصور الوسطي .

مهما يكن من أمر ، خلص البحث إلى عدة نتائج يمكن إيرادها علي النحو التالي :

أولاً : كشفت لنا تلك الحولية التي أعدها الربي اليعازر بن ناثان عن قيمة المؤلفات التاريخية التي آلفها أصحاب الأقليات الدينية في عصر الحروب الصليبية سواء في أوروبا أو خارج نطاقها، وبالتالي اتضح من التراث التأليفي التاريخي الذي وصل إلينا عن ذلك العصر ، فهناك مؤلفات تاريخية سنية ، وأخري شيعية ثم مؤلفات تاريخية لمؤرخين كاثوليك ، وآخرين أرثوذكس ، ثم يهود وكل عبر عن توجهاته الدينية من خلال كتاباته عن أحداث الحروب الصليبية مما عكس ثراء التجربة ذاتها علي مستوي التأليف التاريخي .

ومع ذلك؛ من المهم ملاحظة أن الكتابات اليهودية التي تناولت مرحلة الحروب الصــليبية لم تكن بمثابة نوع من المؤلفات التاريخية الشاملة بحيث تقارن بالكتابات التي قدمها المؤرخون المسلمون أو اللاتيني المعاصرين لها ، إذ أنها تناولت جانباً محدوداً وهو ما اتصل بهجمات الصــليبيين علــي الأقليات اليهودية في مدن الراين سواء في الحملة الصليبية الأولي أو الثانية (١٥٥) ، وبالتالي فهي في حقيقتها نوع من المذكرات التي حرص اليهود في الغرب الأوربي علي تدوينها لتقرأ في صلواتهم ، ويتم إيراد أسماء القتلى من بني ديانتهم ، وهكذا ؛ فقد ظلت جزءاً رئيسياً في كتب الصلوات لدي الطائفة اليهودية في ألمانيا حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (١٥٦)الثالث عشر الهجري ممــا عكس تعمقها في العقل الجمعي لليهود هناك .

ثا نياً : وقعت الاضطهادات الصليبية ليهود حوض نهر الراين عام ١٠٩٦م / ٤٩٠هـــ من خلال عدة أسباب مجتمعة ، أوجدت الظروف التاريخية الملائمة للصدام بين الطرفين ، وتحتل العوامل الاقتصادية القدح المعلي من خلال اشتغال اليهود بالإقراض بالفوائد الربوية الباهظة بالإضافة إلي الاختلافات الدينية بين الجانبين كذلك هناك الرغبة المحمومة للفتك بكل ما هو غير مسيحي كاثوليكي التي تولدت في نفوس عناصر الحملة الشعبية بفعل التدين العاطفي وتأثير الدعوة للحروب الصليبية علي يدي البابا أوربان الثاني وغيره ، ومعنى ذلك؛ أننا أمام الروح الصليبية في ذروة انتعاشها ، واندفاعها الذي أوصلها إلي مأزق التعصب علي نحو جعلها تسطر تاريخاً دموياً علي حساب اليهود في حوض الراين بألمانيا وفيما بعد المسلمين خلال أخريات القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري؛ والقرنيين التاليين له .

ثالثاً : كشفت تلك الحولية عن إقدام اليهود علي الانتحار الجماعي حتى لا يقعوا في أيدي الصليبيين فيقتلوهم ولمنع إرغامهم علي الارتداد عن اليهودية واعتناق المسيحية علي نحو أدي إلي زيادة القتلى من اليهود خلال أحداث حوض الراين الدامية عام ١٠٩٦م / ٤٩٠هـ ، وتكشف لنا تلك الوقائع التي أوردها ذلك المؤرخ اليهودي وأكدها المؤرخ الألماني البرت دي اكس عن جوانب العنف والدموية المتأصلة في الشخصية اليهودية ، إذ لا يتصور الباحث إقدام الآباء والأمهات علي قتل فلذات أكبادهم ما لم يكن ذلك تعبيراً عن نفسية عامة غير سوية وأن حرصت الحولية اليهودية المذكورة علي تصويرهم بمظهر الشهداء الذين استشهدوا من أجل الدفاع ـ حتى الموت ـ عن عقيدتهم في مواجهه الصليبيين ٠

لقد تكررت حوادث الانتحار اليهودي بين الشكل الفردي والجماعي ٠ ووجدت في أكثر من مدينة وقرية ألمانية علي نحو عكس أنها لم تكن حادثة فريدة بل تكررت فإذا لاحظنا أن في تـاريخ اليهود القديم حادثة محورية للانتحار الجماعي في صورة حادثة المسادة عند البحر الميت عام ٧٠م ، أدركنا أن الجذور التاريخية لما حدث في حوض الراين لجده هناك عند البحر الميت في فلسطين حيث تعرض اليهود لظروف تاريخية مشابهة فكان رد فعلهم علي النحو الذي أوضحه البحث ٠

رابعاً: حاول الباحثون اليهود المحدثون وفي مقدمتهم الإسرائيليون بطبيعة الحال إظهار ما فعله الصليبيون عام ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ علي أنه نوع من معاداة السامية Anti-Semitism وجعلوها تشبه أحداث المحرقة او الهولوكوست Holocaust التي قيل أن الألمان النازيين اقاموها لليهود في القرن العشرين خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥ م/١٣٥٨-١٣٦٥هـ) ، وواقع الأمر أن ذلك التصور مغلوط إذ أن الحركة الصليبية سفكت دماء نحو عشرات الآلاف من المسلمين بعد ثلاثة أعوام فقط من أحداث حوض الراين ، وفاقت أعدادهم أعداد الضحايا اليهود ، وعلي الرغم من أن المسلمين أنفسهم ساميين فإن مؤرخيهم المحدثين لم يتناولوا تلك الأحداث من زاوية معاداة السامية مما يدل علي أن المصطلح الأخير تم صنعه وتسببه للابتزاز السياسي من جانب السياسيين اليهود حديثاً ويعكس ذلك خطورة كتابة الدراسات التاريخية من خلال أهداف سياسية كما نجد ذلك في كتابات المؤرخين الإسرائيليين عن مرحلة الحروب الصليبية كما الحال في كتابات مؤرخهم البارز يوشع براور Joshua Prawer [١٥٧] وبالتالي من الأهمية بمكان التصدي لتلك التصورات وتفنيدها لتجنيب الكتابة التاريخية – قدر الإمكان– الوقوع في مزلق القولبة وأعتساف الأحكام ، والأفكار المسبقة بل الدعاية السياسية أحياناً ٠

خامساً: أوضح البحث التباين الشديد بين وضع اليهود تحت السيادة المسـيحية في ألمانيـا في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري ـ بل وفيما يعد من خلال المذابح الـتي وقعت لهم خلال الصليبية الثانية [١٥٨]، وبين وضعهم تحت السيادة الإسلامية في بقعة أخري مـن

البقاع الأوربية والتي بها الأندلس حيث حققوا مكانة سياسية واقتصادية كبيرة وتحققوا بالحرية الدينية بصفة عامة، وذات الأمر ينطبق علي أوضاعهم بصفة عامة لدي العديد من الأسرات الإسلامية الحاكمة في مصر وبلاد الشام والعراق وشمالي أفريقيا في العصور الوسطي؛ علي نحو كشف عن أن لغة المذابح لم توجه في مناطق المسلمين السياسية نظراً لتسامح المسلمين تجاه رعاياهم اليهود وليس في ذلك أية منطلقات شيفونية بل أن سير أعلام اليهود حينذاك تفصح عن تلك الحقيقة بجلاء .

سادساً : كشفت الصفحات السابقة عن أن الحركة الصليبية التي كانت بمثابة فعلة كنسية Action D,Eglise من جانب كنيسة روما عجزت عن التحاور مع الأديان الأخرى كاليهودية ومن بعد الإسلام ، وما مذابح حوض الراين إلا تعبيراً عن مأزق التعصب الذي وجدت فيه تلك الحركة نفسها في الأعوام الأولي من عمرها ولأن التاريخ الإنساني ما هو إلا حوار الحضارات لذلك أدي ذلك الوضع إلي أن عجزت تلك الحركة عن أن تقدم نموذجاً إنسانياً حقيقياً وظلت الدماء و الدمار تلاحقهم حتى تم طردهم من بلاد الشام أواخر القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري و حقيقة أن اليهود يتحملون جانباً من مسئولية ما حدث ، إلا أن ذلك لا يقدم تبريراً للمذابح البشعة التي حدثت في حوض الراين ، ومن بعدها المذابح التي حدثت في بلاد الشام عندما وصلت إليها جحافل الصليبيين .

وبعد؛ فذلك عرض عن الاضطهادات الصليبية لليهود في حوض الراين عام ١٠٩٦م / ٤٩٠هـ من خلال حولية الربي اليعازر بن ناثان .

الهوامش

(١) من أمثلة وثائق الجنيزة الخاصة بعصر الحروب الصليبية أنظر :

Goitein (S.), "Geniza Sources For The Crusader Period: Asurvey" , In Outremer Studies in The History of The Crusading Kingdom of Jerusalem, Presented to Joshua Prawer, ed.by B.Z. Kedar, H.E. Mayer, R.c. Smail, Jerusalem 1982, PP. 306-322.

(٢) عن الحوليات اليهودية الخاصة بالحملة الأولى أنظر:

Ephraim bar Jacob, Relation (ed. With German Trans.) Neubauer and Stern, Quellen Zur Geschichte der Juden, Vol.II

Martyrology of Nuremberg Das Martyrologium des Numberger Memorbuch (ed. With German Trans.) in Safeld,Quellen Zur Geschichte des Juden , Vol.III, Berlin 1898.

- عنْ ذلك أنظرْ :

Runciman , (S.) A History of The Crusades, Penguin Books Vol I , London 1978, P. 350.

The Chronicle of Solomon bar Simson, in Eidelberg (S.) , The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusades, Wisconson 1977, PP. 15-72.

The Narrative of The Old persecution or Mainz Anonymous, in Eidelberg (S.), The Jews and The Crusaders, PP. 95-115.

(٣) دولت صادق، جغرافية العالم دراسة إقليمية، جـ١، ط. القاهرة ١٩٥٩م، صـ٤٧٣-٤٨٥.

(٤) باوندز وكينجزبري، أطلس أوربا ، ت. محمد فاتح عقيل، ط. الإسكندرية ١٩٧٦م. صـ٢٣.

(٥) محمد سامي عسل ، أوربا دراسة في جغرافية القارة الطبيعية والبشرية، ط. الإسكندرية ١٩٧٥م، صـ٤٥١.

(٦) جودة حسنين جودة ، جغرافية أوربا الأقليمية، ط. الإسكندرية ١٩٧٧م، صـ٤٣١.

(٧) ميتز Mainz مدينة في أقليم رينلاند بالاتينات Rhineland Palatinate في غربي ألمانيا وهي بالفرنسية Mayence ،ويلاحظ أنها وقعت على الضفة الغربية لنهر الراين ، وفي المرحلة الرومانية أعتبرت عاصمة مقاطعة ألمانيا العليا وأقام بها الرومان معسكراً لغرب الراين، واحتلت مكانتها الدينية فيما بعد حيث صارت مقراً لرئيس أساقفة في القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري، وقد شيدت بها كاتدرائية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم.

عن ميتز أنظر: -E.A., "Mainz", Vol. XVIII, U.S.A. 1985, P. 144

(٨) كولونيا Cologne ، وبالإلمانية KÖLN ، وقعت كولونيا على نهر الراين على بعد ٢٥ ميل (حوالي ٤٠ك.م) من مدينة دسلدورف Dusseldorf، ونعرف أن الإمبراطور كلوديوس Claudius (١٠ق م-٥٤م) قد حصن موقع كولونيا في عام ٥٠م ، وأسماه Agrippinensis علي شرف زوجته أجريبينا Agrippina التي يقال أنها ولدت في المنطقة وصارت كولونيا مفتاحاً للتحصينات الرومانية على الراين، وظلت كذلك فيما بعد أحتلال الفرنج Franks لها، وأوجد بها منصب رئيس أساقفة وجعلها شارلمان فيما بعد مركزاً لمنطقة وستفاليا Westphalia وفي أواخر العصور الوسطي اضمحلت أهميتها.

عنها أنظر:

-E.A., " Cologne" , Vol. VII, U.S.A 1985, P. 264-265.

(٩) ورمز Worms ، أو Vorms ، أو Wurmz مدينة وقعت في أقليم رينالاند بالاتينات Rhineland Palatinate على الضفة الغربية لنهر الراين على بعد ٩ أميال إلى الشمال من مانهايم Mannheim، وقد شيد فيها الرومان قلعة حصينة وجعل الأمبراطور هونوريوس Honorius (٣١٥-٤٢٣م) منها مركزاً مهماً في ألمانيا، وفي العصر الكارولنجي صارت لها اهمية كبيرة، وقد تم تشييد كنيس لليهود بها على الطراز الرومانسكي عام ١٠٣٦م عن ورمز أنظر:

-E.A., " Worms", Vol. XXIX, U.S.A 1985 P. 534.

يواكيم برنز، بابوات من الحي اليهودي، ت.خالد أسعد عيسى، ط. دمشق ١٩٨٣م،صـ٣٤٦.

(١٠) رأفت عبدالحميد ، " الملكية الألمانية بين الوراثة والإنتخاب في العصور الوسطى"، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، م(٢)، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبدالحميد، ط. القاهرة ١٩٨٣، صـ١١٨.

وعن تفاصيل تلك الحرب الأهلية أنظر:

Brooke (Z.N.), A History of Europe From 911 to 1198, London 1938, P. 188-189.

– رأفت عبدالحميد، " السمو البابوي بين النظرية والتطبيق"، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، م(٣)، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبدالحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م، صـ١٨٨-١٩٠

(١١) عن خطاب البابا أوربان الثاني أنظر:

Robert The Monk, In Peters, The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and OThers Source materials, Philadelphia 1971, PP. 1-4.

Baldric of Dol, in Peters, PP. 6-10.

Guilbert of Nogent ,PP.10-13.

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennesse, 1967, PP. 62-65.

Munro (D.) , The Speech of pope Urban II at Clermont ", A.H. R.Vol. XI, Jannary 1905, PP. 231-242.

جوزيف نسيم يوسف، " الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية م(٢٦)، عام ١٩٦٣م، صـ١٩٨-٢٠٥.

محمد صالح منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ، ط. بني غازي ١٩٩٦م،صـ١٨٥-١٩٤.

وعن البابا أوربان الثاني أنظر:

- Fulcher of Chartres, p. 62-63 .

Becher (A.), Papst Urban II . (1088-1099) , 2 Vols, Stuttgart 1964-1988.

Kelly(J.N.) Oxford dictionary of Popes, Oxford 1996, PP. 158-160.

Munro (D.), "The Speech of pope urban II at Clermont" , A. H.R., vol . II, 1905, pp. 231-242 .

محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٦٢- ٧٠ .

(١٢)عن بطرس الناسك أنظر:

Raymond d' Aguilers, Historia Francourm qui Ceperunt Iherusalem, Trans. By John Hugh Hill and Laurita L. Hill, The American Philosophical Society 1968, P. 60-60.

Anna Comnena, in Peters, The First Crusade, P. 112-114.

Louise and Jonathan Riley- Smith , The Crusades Idea and Reality, 1095-11274 , London 1981, P.10.

عبدالمنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، ط. بيروت ١٩٦٦م، صـــ١٤١.

(١٣) عن والتر المفلس أنظر:

عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب تجارية ، ثقافية، صليبية، ت. فيليب صابر سيف، ط. القاهرة ١٩٧٢م، صـــ٤٦.

(١٤) عن اميكو أنظر : Albert d'Aix , in Peters, The First Crusade, P. 102.

The Narrative of The Old Persecution or Mainz Anonymous, P. 107.

The Chronicle of Solomon bar Simson, P. 30.

"Duncalf", The First Crusade : Clermont to Constantinople", In Setton, -A History of The Crusades, Vol.I, Wisconson 1969, P. 264.

Oldenbourg (z.), The Crusades, Trans. By Anne Cordern, New York 1960, P. 82.

Pernoud(R.), The Crusades, Trans.by Enid Mcleod, London 1960, p.27.

ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق ، ت إلياس شاهين، ط. موســـكو ١٩٨٦م،صـــ٥٥.

السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحــــروب الصليبية، ط. القـــاهرة ١٩٦٣م، صـــ١٧٣.

(١٥) عن فولكمار أنظر : -Mayer, P. 43.

سعيد عاشور ،ا لحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، جـــ١، ط. القاهرة ١٩٦٣م،صـــ١٤٣، قاسم عبده قاسم ، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، مركـــز بحـــوث الشرق الأوسط ، سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، (١٠)، ط. القـــاهرة ١٩٨٣م، صـــــ٦٢-٦٣،حاشية (١).

(١٦) عن جوتشالك أنظر : -Ekkhard of Aura, in Peters, The First Crusade, P. 100.

جمال محمد الزنكي، " مؤيد الدين ياغي سيان صـــاحب انطاكيـــة والحملـــة الصـــليبية الأولى ٤٧٧-٤٩١هـــ/ ١٠٨٥-١٠٩٨م " حوليات كلية الآداب-جامعة الكويـــت، الحوليـــة (١٨)، الرســـالة (١٢٦) ، ١٩٩٧/١٩٩٨م، صـــ٨٢، التوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية ، ت. أحمـــد غســـان سبانو، ونبيل الجيرودي، ط. دمشق ١٩٨٥م،صـــ٤٢.

عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، صـــ٤٦.

(١٧) عن جودفري دي بويون أنظر:

-Fulcher of Chartres , p. 72, p. 80, P. 85, William of tyre, History of deeds done

beyond The Sea, Trans. By Babcock and krey, Vol II, New york 1943, P. 43, P. 57.

-Parisse( ) , " Godfrey de Bouillon, le Croisade examplaire " L, H., T. XL VII , Annee 1982, PP.

Hagenmeyer ," Etudes sur La Chronique de Zimmern renseignements Qu' elle Fournit Sur La Premiere Croisade" , A. O.L.,T.II , PP. 21-22.

ـ سرور عبد المنعم ، "جودفرى دى بويون حاكمًا لبيت المقدس ١٠٩٩-١١٠٠م" ، مركز بحوث الشرق الأوسط – جامعة عين شمس ، ٢٠٠٤م .

– سعيد برجاوي ، الحروب الصليبية في الشرق ، ط. بيروت ١٩٨٤م، صـ١٧٦-صـ١٩٠، عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الإسكندرية ١٩٥٨م، صـ١٦-١٩، عبدالغني عبدالعاطي ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م)، ط. القاهرة ١٩٨٣م، صـ٢٨٥-٢٨٧.

(١٨) عن بلدوين دي بويون أنظر:

-William of Tyre, Vol. I , PP. 454-456.

-The Saga of Sigurd The Crusader (1107-1110) , in Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, PP. 50-57.

– أسامة زكي زيد، " حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل "(١١٠١-١١٠٥م/ ٤٩٥-٤٩٩هـ)"، مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية ، العدد (٢٩) ، عام ١٩٨١م ،صـ٣٨-٤٨.

(١٩) عن ريموند كونت تولوز أنظر:

-William of Tyre Vol.II , P. 139.

-Hill (J.), Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1962.

(٢٠) عن بوهيمند أنظر:

-Fulcher of Chartres ,P. 28, P. 29.

-Yewdale (R.), Bohemond I Prince of Antioch, Amsterdam 1970, P. 9-51.

(٢١) عن تانكرد أنظر:

-Nicholson(R.), Tancred : A Study of his Career and Work and Their Relation to The First Crusade and The establishment of The latin States in Syria and Palestine, Chicago 1940, PP. 20-102.

(٢٢) Lamb(H.) The Crusades, Iron men and Saints, London 1930, P. 72.

(٢٣) Duncalf, p. 264.

(٢٤) Armstrong (K.) Holy war, The Crusades and Their impact on Today's world, New York 1992, p. 73.

(٢٥) Ibid , P. 73.

(٢٦) عنها أنظر:

-Ralph Glaber, in Lyon (B.) The High Middle Ages 1000–1300, U.S.A. 1964, PP. 34-39.

ونجد الترجمة العربية لدي: قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية نصوص ووثائق، ط. القـــاهرة ١٩٨٥م ، صـــ ٤٣-٤٨.

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٩٠م ، صـــــ١٧-١٩.

(٢٧) Anna Comnena , The Alexiad, Trans. By E.R.A. Sewter, London 1969,p. 309-310.

سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطي ، جـــ١، ط. القاهرة ١٩٨١م، صـــ٤٤٢،

قاسم عبده قاسم ، " الدوافع الإجتماعية في الحركة الصليبية"، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط م(٢)، ط. القاهرة ١٩٨٣م، صـــ١٩١.

حسن عبدالوهاب ، " الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٧م/ ٤٨٨-٥٨٣هـــ)"، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطي (المجتمع الصليبي في بلاد الشام) ، ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م،صـــ٨.

(٢٨) قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، صـــ١٦٤.

(٢٩) Duncalf, P. 264.

- وعن عناصر الحملة الشعبية أنظر أيضاً:

-LLoyd (S.) " The Crusading Movement 1095-1264 ",in Oxford Illustrated History of The Crusades, ed. By Jonathan Riley, Smith, Oxford 1995 , P. 34.

(٣٠) Mayer, P. 43

Runciman, Vol. I, P. 136.

(٣١) ليلي عبدالجواد ، " بلاد المجر في الحملة الصليبية الأولى"، ضمن كتاب سعيد عاشور إليه في عيـــد مـــيلاده السبعين ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، صـــ٢٤٨.

(٣٢) Duncalf, P. 264.

(٣٣) Ekkhard of Aura, in peters, The First Crusade, p.100

(٣٤) Duncalf, P. 262.

(٣٥) Mayer, P. 44

(٣٦) Runciman, Vol. I, P. 134.

(٣٧) -Cohen (J.) , " The Decline of European Jewry", in The Middle Ages, Vol. II, Readings in Medieval History , ed. By Brian Tierney, New York 1962, P. 277.

(٣٨) عن الربا بصفة عامة أنظر: حسين مؤنس ، الربا وخراب الدنيا، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

وعن دور اليهود في الإقراض بالربا أنظر : -Duncalf, P. 263.

-Ziegler (p.) , " The Black death and The Jews " , in The Middle Ages , Vol. II , Readings in Medieval History, ed. By Brian Tierney, New yourk 1962 , p. 371.

-Painter (S.) , A History of The Middle Ages 284-1500, New York 1954, P. 202.

محمود الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، صـــ٩٨ روبرت لوبيز ، ثورة العصور الوسطي التجارية ٩٥٠–١٣٥٠، ت. محمود أبو صوه، ط. ڤاليتا – إيطاليا ١٩٩٧م، صـــ٨٤

(٣٩) Runciman, Vol.I, p. 134.

(٤٠) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـــ١،صـــ١٤١.

(٤١) سعيد عاشور ، اليهود في العصور الوسطي (دراسة مقارنة بين الشرق والغرب)، ضـــمن كتـــاب بحـــوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي، ط. بيروت ١٩٧٧م،صـــ٨٩.

(٤٢) وفي ذلك يقرر دنكولف أنهم كانوا غرباء (exsules)، وتعيسين ،ومكروهين، عن ذلك أنظر:

Duncalf, P. 263.

(٤٣) Ziegler, P. 371.

(٤٤) قاسم عبده قاسم ، " الإضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها "نـــدوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، تحرير د. قاسم عبده قاسم ، د. رأفت عبدالحميد،م(١).جـــــ١. القـــاهرة ١٩٨٢م، صـــ١٦٠.

(٤٥) سعيد عاشور ، اليهود في العصور الوسطي، صـــ ٨٩.

(٤٦) عن ذلك أنظر:

The Narrative of The Old Persecution, or Mainz Anonymous, Trans. and ed. By Shlomo Eidelberg in The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusades, Wisconson 1977, p. 99.

(٤٧) إسحق عبيد ، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ط. القـــاهرة١٩٧٠م، صـــ٧٧.

أيضاً :

-Brooke (C.) Europe in The Central Middle Ages 462- 1154, London 1964, p. 364.

(٤٨) رشاد الشامي ، جولة في الدين والتقاليد اليهودية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، صـــ٥٤.

(٤٩) نفسه ، نفس المرجع والصفحة.

(٥٠) محمد بحر عبدالمجيد ، اليهودية ، ط. القاهرة ١٩٧٨م، صـــ١٨٣.

(٥١) نفسه، نفس المرجع، والصفحة.

والأبوكريفا Apocrypha كلمة يونانية مخفي أو مخبأ أو سري ويلاحظ أنها وردت في سفر دانيـــال في الترجمة السبعينية كي تعبر عن الكنوز المخبأة، وقد أطلق على أسفار الأبوكريفا في المرحلة المبكـــرةمن تاريخ المسيحية اسم الأسفار غير القانونية وهي تلك التي لم يكن لها وجود الكتاب المقدس العبري، ومن تلك الأسفار نذكر : عزرا الأول، عزرا الثاني، تتمة سفر استير، باروخ النبي ، رســالة أرميـــا، ســفر المكابيين الأول ، سفر المكابيين الثاني عن ذلك أنظر: ألفت جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٨م، صـــ٥٥، صـــ٥٦

O.D.B., Vol.I, Oxford 1991, PP. 132-133.

(٥٢) رشاد الشامي ، المرجع السابق، صـــ٥٤.

(٥٣) نفسه، نفس المرجع والصفحة.

(٥٤) نفسه ، نفس المرجع والصفحة.

(٥٥) محمد الهواري، الجدل اليهودي ضد المسيحية في ضوء الجنيزة القاهرية مخطوطة بودليان أكسفورد MS. رقم Heb. E32 (Fols 18-25) ط. القاهرة ١٩٩٤م ، صـــ١٧ ، وبالتفصيل أنظر ١٧-٣٩.

(٥٦) روجيه جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ت. محمـــد هشـــام ، ط. القـــاهرة ٢٠٠٢م، صـــ٩٧.

عن الجيتو أنظرهذه الدراسة المتخصصة:

سعاد عبدالمطلب حسين صبري، الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفســية للمجتمـــع الإسرائيلي ، ط. دمشق ١٩٩٩م خاصة صـــ٢٠-٢١.

سعيد عبدالسلام ، مفاهيم عنصرية في الأدب العبري الحديث، ط.القاهرة ١٩٩٨صـــ٦-٧.

(٥٧) رشاد الشامي ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ط. القاهرة ١٩٩١م، صـــ٤٨.

ولا نغفل كذلك أن اليهود ميزوا أنفسهم عن سائر بني البشر واعتبروا الشخص غير اليهودي جوي goi ولها دلالة عنصرية مما عمق إنفصالهم عن الآخرين : أنظر : دافيد سوفير، جغرافية الأديـــان ، ت. أحمـــد غسان سبانو ،ط. دمشق ١٩٩٩م، صـــ١٤-١٥.

(٥٨) أحمد شلبي، اليهودية ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، صـــ٩٥.

(٥٩) رشاد الشامي ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية، صـــ٣٨.

(٦٠) أحمد شلبي، المرجع السابق، صـــ٩٠-٩١.

(٦١) Benjamin of Tudela, in Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, P. 80, p. 83.

Petachia of Ratisbon, Tour du Monde Ou Voyage de Rabbi Petachia, J.A.,T.vm, Paris 1881 P. 399.

- محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧ ميلادية، ط. القاهرة ١٩٩٢م، صـــ٢٠٤.

(٦٢) قاسم عبده قاسم، الإضطهادات الصليبية، صـــ١٣٧.

(٦٣) تجدر الإشارة إلى أن أ.د.قاسم عبده قاسم قام بدراسة هذه الحولية دراسة أكاديمية رائدة وهي بعنـــوان : " الإضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية، الظاهرة ومغزاها" ، ندوة التاريخ الإســـلامي والوسيط ، تحرير د. قاسم عبده قاسم ود. رأفت عبدالحميد، م(١)، ط. القاهرة ١٩٨٢، صـــــ١٣٧-١٦٦.

(٦٤) Eidelberg, P. 73

(٦٥) Ibid, P. 73

أنظر أيضاً :

E.J., " Eliezer ben Nathan of Mainz", Vol.VI, Jerusalem 1971, P. 626-627

(٦٦) التلموديين نسبة إلى التلمود، وهو الشرح الحقيقي للشريعة الموسوية، ويصفه البعض بأنه الكتاب القـــومي لليهود ، ونجد أن البعض يرى في التلمود الوطن القومي لليهود، وأصبح للتلمود قداسة كبيرة لديهم فاقت أحياناً توراة موسى ، والتلمود موسوعة تتضمن الدين، والشريعة، والتاريخ، والأدب ، وهو عبارة عـــن روايات شفهية تناقلها الحاخامات اليهود حتى قام بجمعها حاخام هو يوجناس عام ١٥٠م في كتاب اسمـــاه المشنا، وأتم الربي يهوذا عام ٢١٦م تدوين روايات شفهية وسمي هذا الكتاب جمارا، ويتكون التلمود مـــن المشنا والجمارا ، وهناك نوعان من التلمود، التلمود الفلسطيني وينسبه اليهود خطأ إلى القدس ، ثم التلمود البابلي وهو نتاج الحلقات التلمودية في العراق.

عن التلمود أنظر:

-E.J., " Talmud", Vol. Xvv, Jerusalem 1971, PP. 750-779.

ظهر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه ، ط. بيروت ١٩٧١م، عبدالمنعم شميس، التلمـــود كتـــاب إسرائيل المقدس ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، إبراهيم خليل أحمد، إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، ط. عمان ١٩٦٧م، صـــ٩-٣٣، الموسوعة الميسرة في الأديـــان والمـــذاهب المعاصـــرة، ط. الريـــاض١٩٨٩م، صـــ٥٦٩-٥٧٠، مصطفى كمال عبدالعليم وسيد فرج راشد ، اليهود في العالم القـــديم، ط. دمشـــق ١٩٩٥م، صـــ٢٠-٢١، عبدالوهاب المسيري، اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط. القاهرة ١٩٩٨م. صـــ٢٢، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى دراسة وثائقيـــة، ط. القاهرة١٩٧٩م، صـــ١٠٩، حاشية (٤)، وعلى عبدالواحد وافي، اليهود واليهودية بحث في ديانـــة اليهود وتاريخهم ونظامهم الإجتماعي والإقتصادي ، ط. القاهرة ب- ت، صـــ٢٣-٢٥ كيت وايـــتلام، اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ت. سحر الهنيدي، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٩٩م ، صـــ٤٩.

(٦٧) Eidelberg, P. 73.

عنه أنظر :

E.J., " Eliezer Ben Joel Ha-levi of Bonn", Vol. VI, Jerusalem 1971, P. 625.

(٦٨) Ibid, p. 73.

(٦٩) Ibid, p. 73.

(٧٠) بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela رحالة يهودي زار مملكة بيت المقدس الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، والده يدعى يونا Jonah وينتسب إلى طليطلة Tudela، وقام بـالتجوال في مناطق جنوب فرنسا، وأيطاليا، واليونان، وغيرها من الدول، ثم عاد أدراجه إلى أسـبانيا حـوالي عـام ١١٧٣م/ ٥٧٠ هـ، ويقال أنه خلال خمس عشرة سنة قام بزيارة العديد من المواضع في مختلـف الحـاء المعمورة في أوربا، وآسيا، وأفريقيا ، وبالفعل يعد أشهر رحالة يهودي في العصور الوسطى.

- عن بنيامين التطيلي ورحلته أنظر:

Wright (W.) , Early Travels in Palestine, London 1848 ,PP. 63-126.

Sharf(A.), Byzantine Jewry From Justinian to The Fourth Crusade, London 1971, PP. 132-136 حيث يفصل رحلته في القسطنطينية

Mayer (H.E.), Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1965, P. 65

Wright (J.), The Geographical Lore of The Time of The Crusades, A Study in The History of Medieval Science and Tradition in Wesern Europe, New York 1965, P. 112.

بنيامين التطيلي، الرحلة ، ت. عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٩م، مقدمة المترجم وهي وافية في العديد من الجوانب.

(٧١) بتاحيا الراتسبوني Petachia of Ratisbon رحالة يهودي زار مملكة بيت المقدس الصليبية في القرن الثـاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، ونعرف إنه ابن الربي يعقوب Jacob ، وأخ الربي إسـحاق هـالفن Issac Halven والربي نكمان الراتسبوني Nechman of Ratisbon ، وقد ولد في راتسبون بألمانيـا في النصف الأول من القرن المذكور ، وأقام عدة أعوام في براغ Prague ومنها بدأ رحلته إلى بولندا Poland وأرمينية Armenia ، وكييف Kiev ، ثم منها إلى فارس، وبلاد الشام، واليونان.

عن بتاحيا الراتسبوني أنظر:

-Adler (E), Jewish Travelles in The Middle Ages, London 1930, P. 64.

Beazly(C.), The Dawn of Modern Geography, Vol, II, London 1901, P. 264.

علي أحمد محمد السيد،أدب الرحلة مصدراً لتاريخ الحـروب الصـليبية ٤٨٨-٦٩٠هـ/ ١٠٩٥-١٢٩١م، ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م. ص٨٨-٩٢.

محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون ، ص٢٠٢-٢١٢.

(٧٢) Eidelberg, P. 73.

(٧٣) Ibid, p. 73

يعد يوم السبت بمثابة العيد الأسبوعي عند اليهود ، ويقرر اليهود أنه أمتد من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وأهم شعائره التوقف على العمل وفق ما ورد في سفر الخروج من أسفار العهد القديم ،واتجه اليهود إلى الكف عن العمل بزوايا متعددة ، ومنهم من حرم الإشتغال بأي عمل أو حرفة أو سعي للرزق.

– عن يوم السبت وأهميته في الفكر الديني اليهودي أنظر: سفر الخروج ، ٣١: ١٧-١٧.

حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، ط. القاهرة ١٩٧٥، صـ١٩٩-٢٠٠.

أحمد شلبي، المرجع السابق، صـ٣٠٤، رشاد الشامي، الرموز الدينية في اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية– جامعة القاهرة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، صـ١٥٨، حاشية (٥٨).

(٧٤) Eidelberg, P. 73.

(٧٥) Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan , P.80.

(٧٦) Ibid, p. 80

ويجعل رنسيمان ذلك في يوم ٣ مايو ١٠٩٦م ، ومن الواضح أن الفارق الزمني يعد محدوداً بين التصورين.

-Runciman, Vol. I, p. 137.

(٧٧) عبدالقادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ط. صيدا ١٩٦٩م، صـ٥٠.

(٧٨) Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, P. 80

(٧٩) عبدالقادر اليوسف، المرجع السابق، صـ٥٠.

(٨٠) Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, P. 80

(٨١) عن الجانب التنصيري في تاريخ الحروب الصليبية أنظر:

أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتي، ط. بيروت ١٩٨١م، صـ١٦٨، ابن جبير، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م، صـ٢٨١.

Baldwin (M.) , " Missron to The East in The Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, Philadelphia 1985, pp. 452-518.

Kedar (B.) , Crusade and Misson, European approaches to The Muslems,Princeton 1988.

وتعد أفضل دراسة في موضوعها ، حسن عبدالوهاب، المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط. الإسكندرية ب-ت.

أنظر أيضاً:

– محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية ، السياسة ، المياه، العقيدة ، ط. القاهرة٢٠٠١م، صـ٩١-١١٧.

(٨٢) Duncalf, P. 263.

(٨٣) Ibid, p. 263.

(٨٤) عن ذلك أنظر:

-Shatzmiller (J.) , " Jewish Converts to Christianity in Medieval Europe 1200-1500" , in Cross Cultural Convergences in The Crusader Period Essays Presented to Aryeh Grabois on his Sixty Fifth Birthday , ed. By Michael Goodich , Sophia Menachie & Sylvia Schein, New York 1995. PP. 296-318.

(٨٥) Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 80.

(٨٦) ذكر رنسيمان أنها انتحرت من أجل الدفاع عن عفافها وحتى لا تغتصب على نحو يلقي الضوء على مسلك الصليبيين حينذاك في منطقة حوض الراين ، أنظر:

-Runciman, Vol. I, p. 137.

وعن الإشارات المصدرية أنظر :

Albert d'Aix, P. 104

(٨٧) عن الجانب الجنسي في تاريخ الصليبيين أنظر:

Jacques de Vitry, p. 64

Brundage (J.), " Prostitution, Miscegenation and Sexual Purity in The First Crusade ", in Crusade and Settlement ed.by peter W. Edbury, Cardiff 1985, PP. 57-72.

العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي، ط. القاهرة ب-ت. صـ١٧٠، جمعة الجندي، حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه -غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م ،صـ٢٩٩-٣٠٠، زكي نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والإقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية، ط. بيروت ١٩٥٨م ، صـ١٥٢، قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة، ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ، ط. القاهرة ١٩٨٨م، صـ٣٣.

(٨٨) ناتالي رين، المرأة اليهودية الماضي الحاضر والمستقبل ت. سهام منصور، ط. القاهرة ١٩٨٧. صـ٩.

(٨٩) يوشع براور، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن، ط.القاهرة ١٩٩٩، صـ٧(من المقدمة)

(٩٠) عن دور أسقف سباير أنظر:

-Duncalf, P. 264

-Runciman, Vol. I, P. 187.

يواكيم برلز، المرجع السابق، صـ٢٤٥.

(٩١) France(J.) , Victory in The East, A military History of The First Crusade, Cambridge 1990, p. 14.

(٩٢) Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 81.

Runciman, Vol. I, p. 137.

(٩٣) Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 81.

(٩٤) Ibid, P. 81.

(٩٥) Ibid, P. 81.

(٩٦) Ibid, P. 82.

(٩٧) يواكيم برنز، المرجع السابق، صـ٢٤٦

(٩٨) Ibid, P. 82.

(٩٩) Armstrong, P. 72.

(١٠٠) Abulafia (A.S.), " Invectives against Christianity in The Hebrew Chronicles of The First Crusade", in Crusade and Settlement, ed.by peter W. Edbury, Cardiff 1985, P.66.

(١٠١) المسادة وحادثتها أنظر:

-Alon(G.), Jews, Judaism and The Classical World, Studies in Jewish, P.254, History in The times of The Second Temple and Talmud, Trans. By Israel Abrabam, Jerusalem1977. ,P. 254, P. 268, 292.

أنيس صايغ ، بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٧، ط. بيروت ١٩٦٨، صـ٢٨٦.

رشاد الشامي، لمحات من الأدب العبري الحديث مع نماذج مترجمة،ط. القاهرة ١٩٧٩م، صـ٢٤

عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، سلسلة تاريخ المصريين ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، صـ١٤٥.

رشاد الشامي، لمحات من الأدب العبري الحديث مع نماذج مترجمة،ط. القاهرة ١٩٧٩م، صـ٢٤ ويقرر رشاد الشامي أن المسادة صارت " رمزاً للحصن الأخير، والملجأ الأخير، والمعركة الأخيرة، والبطولة اليائسة" عن ذلك أنظر:

رشاد الشامي ، نفس المرجع والصفحة.

جوان كوماي، دليل أسرائيل ، ت. هيئة الإستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، ط. القاهرة ب-ت.صـ١٥٧.

وعن اليهود في فلسطين والصراع مع الرومان حينذاك أنظر هذه الدراسة القيمة:

محمد خليفة حسن، " عروبة فلسطين في التاريخ القديم" أعمال ندوة فلسطين عبرعصور التاريخ ، إشراف أ.د. حامد زيان غانم، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، بجامعة القاهرة، ط. القاهرة ١٩٩٦م، صـ٧٢-٧٣.

(١٠٢) Prawer (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in The Middle Ages, London 1973, P. 12.

ويلاحظ هنا أن طقس الإستشهاد والذي يطلق عليه في الإنجليزية:

The Tradition of Sacrifice

يقابله بالعبرية Kiddush ha- Shem

-E.J., " Anti-Semitism", Vol. III, Jerusalem 1971, p. 101.

و على سبيل المثال لدينا سجل للشهداء من مدينة نورمبرج خلال أحداث الصليبية الأولى، عن ذلك أنظر

هامش (١).

(١٠٣) عن ذلك بالتفصيل أنظر:

رشاد الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ط. القاهرة١٩٩١م.

(١٠٤) The Chronicle of Rabbi Eliezer Bar Nathan, p. 82.

وشهر سيفان Sivan هو الشهر التاسع في التقويم اليهودي، عن ذلك أنظر :

Chronicle of Soloman bar Simson ,P. 33, P. 145, note(9).

(١٠٥) حسن حبشي، المرجع السابق، صـــ٥٧.

(١٠٦) The Chronicle of Rabbi Elizer bar Nathan, p. 83.

(١٠٧) Ibid, P. 83.

أيضاً :

Chronicle of Solomon bar Simson ,P. 32.

(١٠٨) The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 83.

(١٠٩) Abert d'Aix , in peters, p. 103.

(١١٠) Ibid,- p. 103

(١١١) قاسم عبده قاسم، الإضطهادات الصليبية، صـــ١٥٣.

(١١٢) The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 85.

(١١٣) Ibid, p. 85.

ويلاحظ أن البرت دي اكس إشار إلى مهاجمتهم لمنازل اليهود عن ذلك أنظر:

-Albert d'Aix , in peters, p. 103

(١١٤) حسن حبشي ، المرجع السابق، صـــ٥٧.

(١١٥) Albert d'Aix , in peters, p. 104

(١١٦) The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 86.

(١١٧) Ibid, p. 86.

(١١٨) Ibid, p. 86.

(١١٩) Ibid, p. 87.

(١٢٠) Ibid, p. 87.

(١٢١) Ibid, p. 87.

(١٢٢) Ibid, p. 88.

(١٢٣) Ibid, p. 88.

(١٢٤) Ibid, p. 88.

(١٢٥) Ibid, p. 88.

(١٢٦) Ibid, p. 90.

(١٢٧) Ibid, p. 90.

(١٢٨) Brooke, Europe in The Central Middle Ages, p. 364.

(١٢٩) Barker (E.) , The Crusades, London 1949, P. 15.

(١٣٠) جمال حمدان ، اليهود ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، صـ٧٩.

(١٣١) رشاد الشامي ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية، صـ٣٨-٣٩

(١٣٢) Brooke, p. 364.

(١٣٣) The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 86.

العهد القديم ،سفر التثنية ٤:٦.

(١٣٤) The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p.82

العهد القديم ، سفر القضاه ، ٥: ٣١.

(١٣٥) Ibid, P.85

وجبل صهيون Mount of Sion، يعرف بجبل داود، ومعناه الجبل المشمس الجاف ، وشكل الجزء الجنوبي الغربي من جبال بيت المقدس الأربعة ويلاحظ أنه يرتفع حوالي (٧٧٠) متراً عن مستوى سطح البحر، عن ذلك أنظر:

عبدالحميد زايد، المرجع السابق، صـ١٣.

سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ط. الرياض ١٩٨٦م، صـ٣١.

(١٣٦) عن ذلك أنظر الملاحق : محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون فى العصور الوسطى ، ط . القاهرة ٢٠٠٤م .

(١٣٧) عن تلك القصيدة أنظر ترجمتها العربية الراقية لدى:

عليه الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م.صـ٣٨٦-٣٩٥.

(١٣٨) عن سقوط الرها أنظر:

William of Tyre, Vol.II ,PP. 140-143

- العماد الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق، ط. بيروت ب-ت، ١٣١٨هـ، صـ١٨٦، ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ط. القاهرة ١٩٣٥م، صـ١٩ ، علية الجنزوري، المرجع السابق،

صـ٢٩٥-٣١٢.

Alpetikn(C.), The Reign of Zengi (52)-541/1127-1146), ATaturk University , Erzurum 1918, PP. 64-65.

Gibb(H.), " Zengi and The Fall of Edessa", in Setton, A History of The Crusades, Vol. I, Wisconson 1969 P. 461.

(١٣٩) The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan, p. 84.

(١٤٠) حائط البراق ؛ هو حائط بني من حجارة كبيرة الحجم ويبلغ طوله ١٥٦ قدماً وإرتفاعه ٥٦ قدماً ويتوهم اليهود أنه جزء من سور مدينة أورشليم القديمة على الرغم من أن الرومان في عهد الإمبراطور تيتوس قد دمروها عام ٧٠م وإستمات الأثريون الإسرائيليون على مدى خمسة وثلاثين عاماً في البحث عن أية بقايا تدعم الحقوق اليهودية في المدينة المقدسة دون جدوى وكأنهم يجنون السراب. عن حائط البراق أنظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، صـ٢٥٦ عادل غنيم ، حائط البراق أم المبكى، ط.مركز بحوث الشرق الأوسط ؛ ط. القاهرة ٢٠٠١م.

(١٤١) عن ذلك الحائط في كتابات الرحالة اليهود أنظر على سبيل المثال :

- بنيامين التطيلي ، الرحلة، صـ١٠١.

E.J., " Anti-Semitism", Vol. III , Jerusalem 1971, PP. 87-160.)

(١٤٢) Poliakove (L.) , The History of Anti-Semitism From Mohammed to The Maranos, Vol. II , Trans . From The French by Natalie Gerardi, London 1974.

- ومن المهم ملاحظة أن من اليهود المتدينين من يوجه الإتهام للحركة الصهيونية ذاتها على إعتبار أنها معادية للسامية إذ ترى الدولة الصهيونية أنها دولة كل اليهود، ولذلك تطلب من اليهودي أن يوجه ولاءه لتلك الدولة، وليس للدولة التي يحيا فيها وبالتالي توجد مشكلة إزدواج الولاء ، كذلك تسعى الصهيونية إلى تهجير اليهود من المناطق المتعددة للقدوم إلى إسرائيل، وخير مثال دال على ذلك عندما أقدمت على حرق معابد يهودية في العراق أوائل الخمسينيات، وقد تأكد أن الذي أقدم على ذلك لم يكن " أعداء اليهود" بل مبعوثون صهاينة نجحوا بالفعل في إجتثاث اليهود من العراق حيث وجدوا هناك منذ زمن بعيد، عن ذلك أنظر:

- هدي عبدالسميع حجازي، " بعض كلاسيكيات الرفض اليهودي للصهيونية"، عالم الفكر، م (١٤)، العدد (١) أبريل -مايو- يونيو ١٩٨٣م، صـ١٤٩.

(١٤٣) رشاد الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية، ٩٨، صـ ٦٦، هامش (٢٧).

(١٤٤) نفسه، نفس المرجع والصفحة.

(١٤٥) عن مذبحة معرة النعمان أنظر:

ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جـ١، تحقيق محمد ميحيي الدين عبدالحميد، ط. القاهرة ١٩٤٨، صـ١٧٩، أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، صـ٢٩، عبدالنعيم حسنين، دولة السلاجقة، ط. القاهرة ١٩٧٥م، صـ٩١.

(١٤٦) عن مذبحة بيت المقدس أنظر:

Anonymous, The deeds of The Franks and oTher Pilgrims, Trans. By R.Hill, New York 1962, p. 51.

Raymond d' Aguilers, in Peters , P. 209.

– ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق اميدروز ، ط.بيروت ١٩٠٨م، صـ١٣٧.

Hagenmeyer (H.), " Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L., T. VII, Annèe 1899, P. 477-478.

Goitein (S.), " Contemperory Letters on The Capture of Jerusalem ", J.J.S.,Vol.x, 1952, PP.162-177.

(١٤٧) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت ب–ت، صـ١٩٧.

William of Tyre, Vol. II, P. 351.

(١٤٨)

(١٤٩) عن مذبحة تل العياضية أنظر:

– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٢، ط. بيروت١٩٧٩م، صـ٦٧، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م، صـ٥٧٨، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، م ١٤ جـ١، تحقيق حسن الشماع، ط. بغداد ١٩٦٩م، صـ٢٧.

-Jacques Vitry,History of Jerusalem, Trans. By Aubrey Stewart, London, P.P.T.S. Vol., XI, London 1896, P. 113.

أحمد عبدالجواد الدومي ، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله، ط. صيدا ب–ت، صـ١٢٤، جنفياف شوفيل، صلاح الدين بطل الإسلام، ت. جورج أبي صالح، ط.بيروت ١٩٩٢م، صـ٢٠٣،قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر م، ط. بيروت ١٩٧٩م ، صـ٣٩٥، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩–٢٠٠٠م ، صـ٢٣٦.

(١٥٠) عن ذلك أنظر:

Nicetas Choniates, O City of Byzantium, Annales of Nicetas Choniates, Trans. By Harry Magoulieas, Wayne State University, Detriot 1984, p. 314.

حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٨٧م ، صـ ٢٥٦، اسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ن ٣٢٤–١٤٥٣م ، ط. الإسكندرية ١٩٨٧م، صـ١٥٨.

-Mcneal (E.H.) , " The Fourth Crusade " , in Setton, A History of The Crusades, Vol. II, Madison 1969, P. 185.

Prawer, P. 12

(١٥١)

Ibid, P. 12

(١٥٢)

والهولوكوست Holocaust يعادل المحرقة ويقصد به ما حل باليهود في القرن العشرين من مذابح أو أفران الغاز على أيدي النازيين في ألمانيا ، وقدروا عدد قتلاهم بـ ٦ مليون شخص غير أننا نجد أن الدراسات التاريخية الحديثة أثبتت زيف هذا التعداد الذي بولغ فيه كثيراً. وأحيل القارئ إلى دراستين

مهمتين في هذا المجال هما: عبد الوهاب المسيرى ، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١١٣-١١٤ .

روجيه جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ت. محمد هشام، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، صـ ٢٠٠-٢٢٢.

(١٥٣) عن اليهود في الأندلس وتفوق مكانتهم بصفة عامة خاصة خلال القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري وهو القرن الذي حدثت في أواخره الإضطهادات الصليبية لليهود في ألمانيا أنظر:

– محمد بحر عبدالمجيد ، اليهود في الأندلس، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ريموند شايندلين، " اليهود في أسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب بحوث ندوة الأندلس، تاريخ وحضارة مركز دراسات الوحدة العربية ، تحرير سلمي الجيوشي، ط. بيروت ١٩٩٧م، صـ٣٠١-٣١٦.

(١٥٤) عن دور اليهود في تاريخ الدول الإسلامية في العصور الوسطي أنظر:

-Fischel (W.), Jews in The Ecnomic and Politcal Life of Medieval. Islam, London 1937, PP. 1-136.

-Goitein (S.) , " Saladin and The Jews ", H.U.C. A. , Vol. XXVII, 1956, PP. 305-326.

عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ط. القاهرة ٢٠٠١م، صـ١١-١٧٧.

محمد بحر عبدالمجيد، اليهود في الأندلس ، صـ٣٣-٦٤.

محاسن الوقاد، اليهود في مصر المملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م،

(١٥٥) قاسم عبده قاسم، " الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والأوربية واليهودية " ، مجلة المستقبل العربي عدد أغسطس ١٩٨٧م، صـ٢٠.

(١٥٦) نفسه ، نفس المرجع ، صـ٢١.

(١٥٧) يوشع براور Jeshua Prawer ؛ أبرز مؤرخ إسرائيلي معاصر في مجال تاريخ الحروب الصليبية ، وعمل إستاذا لتاريخ العصور الوسطي بالجامعة العبرية بالقدس، وقد أسس مركز دراسات تاريخ الحروب الصليبية بها، وله العديد من المؤلفات سواء الكتب أو المقالات وتوفي في ١٥ أبريل ١٩٩٥م، عنه وعن مؤلفاته أنظر:

قاسم عبده قاسم ، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية ، صـ٤٤-٥٦.

محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، صـ٢٦٣-٢٨٠.

(١٥٨) عن ذلك بالتفصيل من خلال وجهة نظر يهودية أنظر:

Sefer Zekhirah or The Book of Remembrance of Rabbi Euphraim of Bonn, in Eidelberg, The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles , P. 121-144.

- ٢ -

أضـــواء

على مستوطنة البيرة الصليبية

Magna Mahumeria

(١١١٥-١١٨٧م/٥٠٩-٥٨٣هـ)

يتناول هذا البحث بالدراسة، مستوطنة البيرة التي أسسها الصليبيون في الضفة الغربية لنـــهر الأردن شمالي بيت المقدس، وحملت اسم ماجنا ماهومريــا Magna Mahumeria ، وتعـــد أول مستوطنة اقامها القائمون على كنيسة الضريح المقدس في بيت المقدس، ويتعرض للمشكلات التي واجهت الصليبيين، والتي دفعت هم إلى تأسيس مثل تلك المستوطنات، ثم الموقع الجغرافي للـــبيرة، وعناصر المستوطنين الأوربيين فيها وأعمالهم، وتطور مستوطنة البيرة حتى حدوث معركة حطـــين عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ، ثم المقارنة بين حركة الإستيطان الصليبي والصهيوني.

جدير بالملاحظة؛ ضرورة دراسة الوجود الصليبي من داخله كمشروع إستيطاني، وعدم إقتصار دراسة تاريخ الحروب الصليبية على الصراع الحربي، والسياسي بين الصليبيين والمسلمين، لأن ذلك من شأنه كشف النقاب عن العديد من الزوايا الخاصة بأسلوب الغزاة في مواجهة الصعاب الـــتي قابلتهم على أرض فلسطين.

وتواجه الباحث في موضوع الدراسة عدة صعاب تتمثل في قلة الإشارات المصدرية عن تلـــك المستوطنة الصليبية، كذلك صعوبة رصد وتتبع حركة الهجرة السكانية مـــن الغـــرب الأوربي إلى فلسطين من أجل إستعمارها؛ إذ أن تلك الهجرة تعرضت للزيادة والنقصان مـــن خـــلال تبـــدل الظروف السياسية، والإقتصادية في الغرب الأوربي، وكذلك الشرق اللاتيني.

وقد وجدت عدة مصادر أمكن من خلالها تناول تلك المستوطنة وفي مقدمتها؛ وثائق كنيســـة الضريح المقدس التي تتضمن مادة تاريخية على جانب كبير مـــن الأهميـــة فيمـــا يتصـــل بأسمـــاء المستوطنين، وأعمالهم، وجنسياتهم.

كذلك نذكر المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري في كتابه تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، وقد قدم إشارات مهمة عن الحملة التي قامت بها حامية عسقلان الفاطمية ضـــد مســـتوطنة الـــبيرة عـــام

١١٢٤م/ ٥١٩هـ،ثم هناك المؤرخ وليم الصوري في كتابه تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر، وقد تناول الحملة السابقة، كذلك دور حامية البيرة في مواجهة الهجوم عليها من جانب قوات صلاح الدين الأيوبي عام ١١٧٠م/ ٥٦٦هـ .

ولانغفل مصادر الرحلة الأوربية إلى فلسطين، ونذكر منها رحلة الرحالة الألماني ثيودريش الذي زار البيرة وشاهد كنيستها.

وواقع الأمر؛ أن دراسة بعض المشكلات الملحة التي واجهت الصليبيين بعد تأسيسهم كياناقم في منطقة الجزيرة الفرانية وبلاد الشام مثل الرها، وأنطاكية، وبيت المقدس، وطرابلس؛ يفيدنا في معرفة الدوافع التي دفعت بالغزاة لحو تكوين عدد من المستعرات على الأرض العربية.

وقد عاني الصليبيون من مشكلة رئيسية منذ مقدمهم إلى المنطقة تمثلت في نقص العنصر البشري، وظلت تصاحبهم على مدى تاريخهم هناك، ونعرف أنهم فقدوا أعداداً كبيرة من رجالهم على مدى الطريق الطويل الشاق، والحافل بالعمليات العسكرية من الغرب الأوربي مروراً بآسيا الصغرى، وصولاً إلى أنطاكية ومنها جنوباً إلى بيت المقدس،ومن المقرر أنه في أعقاب سقوط المدينة الأخيرة في قبضتهم يوم الجمعة ١٥ يوليو ١٠٩٩م/ ٢٣ شعبان٤٩٢هـ[١]، عاد الكثيرون منهم أدراجهم إلى بلادهم الأصلية؛ ولم يتبق في بلاد الشام منهم إلا أعداداً أقل كثيراً من تلك التي قدمت مع بداية المشروع الصليبي [٢] ، على اعتبار إنتهاء رحلة الحج بالوصول إلى بيت المقدس إلى الدرجة التي جعلت البعض يقدر الجيش الصليبي الذي وصل إلى تلك المدينة بأنه لم يتجاوز ١٥٠٠ فارس وعشرة أمثالهم من الجنود المشاه[٣].

ولا نغفل؛ أن الجيش الصليبي الذي هاجم بلاد الشام؛ انفصل عدد من قادته من أجل تكوين إمارات لهم في المنطقة، ومعهم قواقم؛ على نحو أدى إلى قلة عدد من القوات المحاربة التي وصلت إلى المدينة المقدسة في نهاية المطاف[٤].

وبصفة عامة؛ واجه الصليبيون مشكلة إقناع الرجال بالبقاء في المنطقة[٥] بعد أن فضّل الكثيرون منهم العودة إلى أوطانهم، لينعموا بالأمن هناك، مما يكشف لنا عن تفاقم مشكلة نقص العنصر البشري لديهم[٦] خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم في بلاد الشام.

ومما زاد من تفاقم ذلك الوضع؛ أن عناصرالحجاج الأوربيين الذي كانوا يفدون إلى المملكة الصليبية، لم يمثلوا دعماً بشرياً منتظماً أو مستمراً، إذ أن منهم من قدم للرحلة الدينية ثم عاد إلى الغرب الأوربي على اعتبار مقدمه للهدف الديني لا للإستقرار في المملكة الصليبية، ناهيك عن أن من أولئك الحجاج من تعرض للفتك على أيدي حركة المقاومة الشعبية الإسلامية داخل مناطق

النفوذ الصليبي مثلما وجدنا ذلك في طريق يافا – بيت المقدس كما أقرت بذلك مؤلفات الرحالة الأوربيين [٧] الذين زاروا تلك المنطقة حينذاك.

كما أن طبيعة الأحوال المناخية في بلاد الشام لم يألفها الغزاة في بلادهم الأصلية خاصة في فصل الصيف وارتفاع درجة الحرارة خلاله، ثم انتشار بعض الأمراض الوبائية والحميات، كل ذلك كان من عوامل تناقص أعداد الصليبيين، وتزايد نسبة الوفيات في صفوفهم ، أما نسبة المواليد فكانت محدودة، وأقل من نسبة الوفيات بصورة كبيرة، وغالبية أولئك المواليد جاءوا من نتاج زواج الصليبيين الغربيين من عناصر المسيحيين الشرقيين مثل الأرمن، والسريان[٨].

وهناك من يقرر؛ أن ملوك بيت المقدس لم يتمكنوا من تجميع أكثر من عدد يتراواح بين ٦٠٠، ٧٠٠ فارس، أما في المعتاد فكان عددهم أقل من ذلك إلى حد كبير، وإذا نظرنا إلى قوات الملك بلدوين الأول Baldwin(١١٠٠-١١١٨م/ ٤٩٣-٥١١هـ) سندرك أنها لم تكن لتزيد على ٢٠٠ أو ٢٥٠ فرداً، وكانت حامية مدينة متوسطة تضم مابين ٣٠، ٨٠ فارساً، أما في حالة التعبئة العامة للصليبيين الذين كان بإمكانهم حمل السلاح فلم يكن بوسع المملكة تجنيد أكثر من ٢٠٠٠ فارس ثقيل السلاح، بالإضافة إلى ٢٠,٠٠٠من الرماة الخفيفي السلاح[٩]، وذلك يعني عجز قدرات مملكة الصليبيين عن تجاوز تلك الحدود العسكرية التعبوية.

وقد تزايد خطر تلك المشكلة الكبيرة التي واجهت الصليبيين لأن المسلمين امتلكوا مميزات الكثافة السكانية النسبية من خلال سيطرتهم على سهول الوديان الفيضية كما في حالة أنهار العاصي، ودجلة، والفرات والنيل. عندما دخلت مصر في دائرة الجهاد بصورة فعّالة لا سيما بعد إسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م /٥٦٧هـ- وهكذا ؛ وجدت عدة مدن تابعة للسيادة الإسلامية حملت ثقلاً سكانياً لا ينكر مثل دمشق ، وحمص، وحماه، وحلب، والموصل، والقاهرة بنسب متفاوتة؛وهو أمر يمكن إدراكه من خلال إشارات بعض المؤرخين والرحالة المعاصرين لتلك المرحلة فيما يتصل بخطط تلك المدن، والمنشآت العامة فيها[١٠].

ولا نغفل ؛ أن المخزون البشري للمسلمين وجد في المنطقة ذاتهاعلى اعتبار أن المسلمين كانوا أبناء البلاد الأصليين، أما بالنسبة للصليبيين فكان مخزونهم البشري في الغرب الاوربي، بعيداًعن أماكن استقرارهم في بلاد الشام مما جعل الجانب الإسلامي يتفوق على خصمه الصليبي في هذه الناحية على نحو خاص ناهيك عن أن فلسطين ذاتها احتوت خلخلة سكانية طبيعية من خلال وجود صحراءالنقب التي مثلت ٤٧% من مساحتها[١١] وهو أمر لم يكن في صالح الصليبيين بطبيعة الحال.

ومن بين المشكلات التي واجهت الغزاة؛ مأ تصل بالأمن ؛ إذ لم ينعم الصليبيون بالأمن بسبب حركة الجهاد الإسلامي، وكذلك فعاليات أتابكية دمشق من ناحية، ومصر من ناحية أخرى، وهكذا؛ أحاط المسلمون بالمملكة الصليبية من اتجاهات متعددة، ومثلت زاوية الأمن حساسية خاصة لدى الصليبيين على اعتبار أن المركز الدولي لمملكة بيت المقدس اللاتينية[١٢] اعتمد أساساً على رعاية الأماكن المسيحية المقدسة، وتأمين حركة الحجاج الأوربيين التي في حالة تعرضها لضربات القوى الإسلامية سيتعرض ذلك الوضع الدولي للأهتزاز ، وقد صار الصليبيون بالفعل في حالة استنزاف مستمرة من جانب المسلمين الذين لم يتركوهم ينعمون بخيرات المنطقة دون دفع الثمن من أرواحهم، وظل افتقادهم للأمن أمراً واقعاً على الرغم من فترات قصيرة من الهدن كان يتم خرقها من جانب الصليبيين – في الغالب– من خلال مطامعهم المتزايدة في أملاك المسلمين، وبصفة عامة؛ احتاج الصليبيون إلى دعم أمنهم في مواجهة الاخطار المحدقة بهم.

وقد التجأ الصليبيون إلى مواجهة مشكلتي لنقص العنصر البشري والأمن من خلال تشييد العديد من القلاع الحصينة على مدى طول المملكة وعرضها بصورة جعلتها توصف– وبحق– بأنها مملكةالقلاع[١٣]ـ وذلك لتثبيت أقدامهم في بلاد الشام ومعاونتهم هجوماً ودفاعاً، ولتكون بمثابة مستودعات بشرية احتياطية في مواجهة المسلمين، ولإعاقة وحدة الأخيرين السياسية قدر الإمكان، ومنعهم من القيام بعمل عسكري مشترك بدون مواجهة تلك القلاع الصليبية، كذلك لعبت قلاع الصليبيين دوراً مهماً في تأمين طرق الحجاج الأوربيين، وخطوط التجارة المارة بمناطق الغزاة، بالإضافة إلى تأمين سيطرتهم– قدر الإمكان– على مناطق المنابع، والمسارات، والمصبات للإزدهار في مناطق متعددة من بلاد الشام إلى آخر تلك المهام التي قامت بها القلاع إلى جانب دورها الأصلي في مواجهة نقص العنصر البشري لدى الغزاة.

وقد اتجهت العقلية الصليبية إلى مواجهة ذات المشكلة من خلال تشييد عدد من المستوطنات في مناطق مأهولة بالسكان المسلمين الأصليين في الريف الفلسطيني من أجل إستقرار المستوطنين الاوربيين بها، وقيامهم بأعمال تخدم الكيان الصليبي، وكذلك من أجل ايجاد نوع من التوازن حتى في حالة محدودة مع الوجود السكاني الإسلامي المحلي في فلسطين على نحو خاص، وكذلك من أجل حماية مدينة بيت المقدس العاصمة الدينية والسياسية للصليبيين خلال المرحلة موضوع البحث، خاصة في مواجهة حامية عسقلان الفاطمية التي كانت بمثابة غُصةً في حلق الصليبيين على مدى ما يزيد على نصف القرن من الزمان [١٤](١٠٩٩-١١٥٣م/ ٤٩٢-٥٤٨هـ).

يضاف إلى ذلك؛ قيام تلك المستوطنات بإنتاج المحاصيل الغذائية المتعددة التي تحقق للصليبيين

جانباً مهماً من أمنهم الغذائي، وبذلك تقوم بدورين مزدوجين حربي دفاعي ، واقتصادي زراعي في آن واحد؛وهو ما يخدم أهداف الوجود الصليبي الأساسية بصورة توفر الوقت، والعمالة البشرية.

وجدير بالملاحظة؛ أن تلك المستوطنات الصليبية تم توزيعها على العديد من أنحاء فلسطين، وأهمها ما كان حول بيت المقدس بحكم وضعها الخاص ولا نغفل الصلة الوثيقة بين القلاع، والمستوطنات الصليبية فالأولى كان تشييدها يعاون على بسط السيطرة الصليبية على المنطقة المشيدة فيها، وتوفير الأمن للغزاة كان يعني إمكانية زرع مستوطنات صليبية في المنطقة.

مهما يكن من أمر ؛ اتجه الصليبيون إلى إقامة عدد من المستوطنات في الضفة الغربية لنهر الأردن ، ومن أمثلتها كفر مالك[١٥] والقبيبة[١٦]، وغيرها ؛ على نحو يكشف لنا عن أن الغزو الصليبي لبلاد الشام كان استعماراً إستيطانياً قائماً على الأرض العربية، وظلت زاوية الأرض قلب الصراع، وهدفه المنشود بين الطرفين الصليبي والإسلامي.

ومن المستوطنات الصليبية مستوطنة البيرة، ومن المهم الإشارة إلى وجود عدة مواقع جغرافية حملت اسم البيرة [١٧] غير أن ما يعنينا هنا البيرة الواقعة على بعد ستة عشر كيلو متراً شمالي بيت المقدس[١٨]، ويلاحظ وقوعها في منطقة عرفت باسم بيلين Bilin على بعد خمسة أو ستة أميال إلى الشمال من بيت المقدس كما قرر وليم الصوري[١٩] ، ولذلك ليس من الممكن قبول ما ذهب إليه البعض من اعتبارها من ضواحي تلك المدينة[٢٠]، إذ من المستبعد تماماً أن تُعد من ضواحيها، وهي على هذا البعد منها.

جدير بالإشارة؛ أن البيرة قديمة الذكر في التاريخ، وهي ترجع إلى عهد الكنعانيين، واستمر وجودها في العصر الروماني، وفي الآرامية سميت برثا Birtha[٢١] ، وفي العصر العربي عرفت باسم البيرة، وفي عصر الحروب الصليبية تغيرت أسماء المواقع الجغرافية الفلسطينية وتحولت إلىأسماء باللغة اللاتينية كجزء من التغييرالذي حدث من جراء الاحتلال الصليبي للمنطقة، وقد عرفت المستوطنة الصليبية التي أقيمت فيها باسم La Mahomerie [٢٢]، أو Mahumeria [٢٣] أو La Grande Mahumerie ، أو Mahumeria The Great أو Magna Mahumeria [٢٤] وهكذا عرفت باسم ماهومريا ويلاحظ أن الصليبيين أيضاً سموا المساجد باسم ماهومري [٢٥] مما عكس وجود مسجد في المنطقة [٢٦]، وعلى هذا الأساس أعتبر أحد المؤرخين التسمية بأنها منطقة التعبد الكبرى [٢٧]

ومع ذلك؛ بالنسبة للصليبيين وجدت منطقة أخرى عرفت بإسم المهومريا، نجد أنها وصفت بالصغرى Parva Mahumeria [٢٨] أو little Mahumeria، والمقصود بها القبيبة، وتصور أحد المؤرخين أن مستوطنة القبيبة هي الماهومريا الكبري[٢٩]، وجعل اسمها الصليبي هو Parva

Mahumeria ، وبالتالي خلط بين مستوطنة البيرة والقبيبة لأن الأخـــيرة : الصـــغرى، والأولى الكبرى.

وواقع الأمر؛ أن مميزات الموقع الجغرافي لمستوطنة البيرة يكشف لناعن عوامل اختيار الصليبين لتلك المنطقة على نحو خاص؛ من أجل تأسيس كيان لهم فيها، فقد وقعت بين بيت المقـــدس مـــن ناحية، ونابلس من ناحية أخرى وهي كبرى مدن الضفة الغربية لنهر الأردن، وبالتالي احتلت موقعاً استراتيجياً مهماً، وشكلت عنصرًا دفاعياً عن المدينة المقدسة، كذلك عرفت البيرة بخصوبة تربتها، ووفرة مصادر المياه فيها لا سيما العيون، والينابيع، والآبار [٣٠]، ولا نغفل أن ذلك العنصر علـــى نحو خاص أحتل أهمية كبيرة من أجل إيجاد مراكز للإستقرار الصليبي في المنطقة فالضفة الغربية بما احتوته من لمصادر مائية ثرية اعتبرت من ضمن المناطق الرئيسية الذهبية بالنســـبة للأمـــن المـــائي الصليبي وأضيفت إليها منطقة الأنهار اللبنانية، وكذلك مرتفعات الجولان التي وجد فيهـــا جبـــل الشيخ، أبو الأنهار الفلسطينية[٣١].

من زاوية أخري؛ كانت البيرة قريبة من بيت المقدس، على ارتفاع ثمانمائة وستين قدما فـــوق سطح البحر[٣٢]، ومن ثم كانت منطقة جذب للحجاج المسيحيين الذي يقصدون زيارة الأمـــاكن المقدسة في مدينة بيت المقدس [٣٣].

وواقع الأمر ؛ أن موقع البيرة بميزاته يكشف لناعن حقيقة مهمة مفادها أن الصليبيين الـــذين احتاجوا في أول مقدمهم للمنطقة إلى المرشدين والأدلاء نظرًا لضعف خبرتهم بالطبيعة الجغرافيـــة لبلاد الشام، صاروا بعد عدة أعوام قليلة خبراء فيها على نحو مكنهم من اختيار أفضـــل المنـــاطق بدقةمن أجل تحقيق أهدافهم العليا في استعمار المنطقة، ولا ريب في أن الشعور بالخطر من جانـــب المسلمين جعلهم يبحثون عن أفضل المناطق للإستعمار في أقرب وقت ممكن.

مهما يكن من أمر ؛ عقب شهور قليلة من سقوط بيت المقدس في قبضـــة الصـــليبيين عـــام ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـــ؛ اتجه جودفري دي بويون[٣٤] أول حاكم صليبي لبيت المقدس إلى منح البيرة إلى الأكليروس التابع لكنيسة الضريح المقدس مع عدد من القري المجاورة التي يقال أنهـــا بلغـــت إحدى وعشرين قرية Casalia [٣٥] ، ومن أمثلتها، قـــري الـــبيرة ، وقلنديـــة، وبيـــت لحـــم، والقبيبة[٣٦]، وغيرها، في وقت كانت فيه المساحة المملوكة للصليبيين محدودة للغاية[٣٧] ولا ريب في أنه بتلك المنحة السخية لكنيسة الضريح المقدس دَلّ على رغبته في كسب ود الكنيسة المـــذكورة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الغزاة في فلسطين، ونلاحظ هنا أن تلك الكنيســـة بـــذلت مجهودات كبيرة لإستعمار المنطقة المجاورة لبيت المقدس[٣٨].

على أية حال؛ نلاحظ أن ذلك الموقف المدعم لكنيسة الضريح المقدس لم يكن موقفاً منفرداً من جانب ذلك الأمير الصليبي، بل مَثّل سياسة صليبية عامة مهما تغير حكام الكيان الصليبي تأكدت خلال الأعوام التالية؛ إذ أننا وجدنا الملك بلدوين الأول قام عام ١١١٤م/٥٠٨هـ، وبعد أربعة أعوام فقط من توليه منصبه كملك لمملكة بيت المقدس قام بتأكيد ما فعله أخوه من قبل في صورة منحة ملكية صليبية احتوت على البيرة [٣٩] ، وذلك بناء على طلب بطريرك بيت المقدس أرنولف أوف شوك Arnolf of Chocques الذي تولى منصبه خلال المرحلة من ١١١٢-١١١٨م/ ٥٠٦-٥١٢هـ، ويلاحظ أن مستوطنة البيرة الصليبية كانت أولى المستوطنات التي أقامتها الكنيسة المذكورة في مملكة بيت المقدس منذ بداية الحكم الصليبي لفلسطين[٤٠]، وهي في نفس الحين المستوطنة الأكثر توثيقًا بصورة أفضل من كافة المستوطنات الآخرى التي اسستها كنيسة الضريح المقدس[٤١] خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري على أرض فلسطين.

ويلاحظ أن مستوطنة البيرة الصليبية كانت بصفة مستمرة يتأكد منحها لكنيسة الضريح المقدس فيما بعد من جانب كبار أعلام الكنيسة في بيت المقدس، ومن أمثلة ذلك؛ أنه في عام ١١٦٩م/ ٥٦٥هـ في عهد الملك الصليبي عموري الأول Amalricus I (١١٦٣-١١٧٤م/ ٥٥٩-٥٧٠هـ) ثبت البطريرك عموري أوف نيسل Amalric of Nesle (١١٥٧-١١٨٠م/ ٥٥٢-٥٧٦هـ) المنحة المذكورة لكنيسة الضريح المقدس، وهي الخاصة بمناطق البيرة، والقبيبة[٤٢].

مهما يكن من أمر ؛ هناك من يقرر أنه في عهد بلدوين الأول، وبالتحديد في عام ١١١٥م/ ٥٠٩هـ، وخلال عهد البطريرك أرنولف أوف شوك صارت البيرة تعرف باسم ماهومريا Mahumeria [٤٣]، وهو الأسم الذي شاع عنها طوال عصر الحروب الصليبية ، وهكذا ؛ فمن الممكن الإفتراض بأن ذلك العام يعد عام التأسيس لتلك المستوطنة الصليبية على أرض فلسطين من خلال تسمية لاتينية محددة خاصة بها.

وجدير بالإشارة؛ أن مستوطنة البيرة الصليبية كانت بمثابة عملية إستقرار أخذتها على عاتقها الكنيسة، وانتشرت في المناطق المجاورة. ووضع ممثلوها كافة ما توافر لديهم من خبرة فيها، وكذلك في المناطق الأخري[٤٤] ، ومعنى ذلك ؛ أننا أمام " المستوطنة الصليبية الأنموذج" التي احتذي بها الصليبيون ، وعبر أحد المؤرخين عن الموقف قائلاً : " أقام الصليبيون مستوطنات زراعية في بعض المناطق التي احتلوها، وأجلوا عنها سكانها من أهل البلاد، ومثال ذلك البيرة كإحدى المستوطنات التي تم تأسيسها بالقرب من بيت المقدس في القرن ١٢م، وهي التي أقامها جماعة من الرهبان كنموذج يحتذى به في بناء مستوطنات إستيطانية على النحو نفسه في كل مكان وعلى سبيل المثال في الرملة، والقبيبة"[٤٥] .

وواقع الأمر ؛ أن هناك عدداً من المستوطنات الصليبية التي أقيمت على شاكلة البيرة، من ذلك ما نعرفة من أن الملك الصليبي فولك الأنجـــوى Fulk of Angou (١١٣١-١١٤٣م/٥٢٦-٥٣٨هـــ) عمل على إقامة مستوطنة في بيت جبرين Beit Jibrin, Beth Giblin استقرت بهـــا حوالي ٣٢ عائلة صليبية (٤٦)، كذلك أقيمت مستوطنة أخرى في غزة Gaza على حدود المملكة الصليبية مع مصر الفاطمية، وجاء ذلك في وقت قلق قبل خضوع عسقلان للسيادة الصليبية عام ١١٥٣م/ ٥٤٨هـــ.

كذلك هناك من يقرر؛ أن نموذج البيرة تم تقليده فيما بعد من جانب التاج الصليبي، ففي عام ١١٥٣م/ ٥٤٨هـــ أتجه الملك بلـــدوين الثالـــث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣م/٥٣٨-٥٥٨هـــ) إلى إقامة مستوطنة كاستل إمبرت أو أخزيف Akhziv إلى الشمال من عكا، وشـــيد هناك قلعة من أجل حمايتها(٤٧) في تلك المنطقة المهمة من حدود المملكة الصليبية الشـــمالية ودل ذلك على الارتباط الوثيق بين إقامة تلك المستوطنات والقلاع الصليبية حيث صارت القلاع عمقاً دفاعياً وأمنياً للمستوطنات، وحرص المملكة الصليبية على الإتجاه إلى تعمـــير المنـــاطق الشـــمالية وتأمينها بالوجود السكاني الصليبي بعد الإنتهاء من تأمين الحدود الصليبية الجنوبية تجاه مصرباسقاط عسقلان.

ومن ناحية أخرى؛ قام الملك الصليبي عموري بإقامة مستوطنة في الداروم إلى الجنـــوب مـــن غزة(٤٨)، وبذلك يتضح لنا أن تشييد مثل تلك المستوطنات لم يكن قاصراً على الضفة الغربية لنهر الأردن حيث وحدت مستوطنة البيرة، بل تعدى الأمر ذلك إلى مناطق أخرى من أرض فلسطين ؛ مما عكس إتساع النطاق الجغرافي لحركة الإستيطان الصليبي هناك.

ويلاحظ أن البعض قدر عدد المستوطنات الصليبية بأنه بلغ١٣مستوطنة (٤٩)، إلا أن هناك من قدره بـــ ٨٠ مستوطنة(٥٠)، وواقع الأمر ؛ أن التقدير الأخير يعد على جانب كبيرمن المبالغة نظراً لأن صاحبه أدخل فيه الكنائس ، والأديرة، والقلاع، وهو أمر غير منطقي لإن المستوطنة الصليبية يقصد بها تجمع حضري صليبي من الأوربيين المستوطنين ويحتوي على المرافـــق الحضـــرية العامـــة الأساسية مثل الكنيسة، والطاحونة، والمقر الإداري والقلعة، ومساحات من الأراضـــي الزراعيـــة بالإضافة إلى الأماكن التي يمارس فيها السكان أعمالهم الحرفية، والتجارية، وبصفة عامة؛ فإن المنطق يدعو إلى تأييد تقدير عدد المستوطنات الصليبية بالرقم الأول لا الثاني.

أما تخطيط مستوطنة البيرة الصليبية، فكان أوربياً أكثر منه شرقياً، وهي في ذلك تشبه مستوطنة أخرى هي القبيبة (٥١) بصورة تدل على دور الصليبيين في تغيير معالم الأرض وصبغها بصبغة غريبة لم تكن لها من قبل، وقد جعلها الصليبيون في شكل مخطط طولي، فهناك البيوت التي رتبت علـــى

طول الشارع الرئيسي، وفي الشمال عند نهاية الشارع، وقعت الكنيسة، وكذلك القلعة Castellum ثم المركز الإداري للمستوطنة: الذي عرف باسم Curia [٥٢]، ولا نغفل وجود سور احاط المستوطنة [٥٣] وذلك من أجل حمايتها من إغارات المسلمين ، ويلاحظ أن هناك من يتشكك في وجود مثل ذلك السور [٥٤]، غير أنه من الممكن الاختلاف معه على اعتبار أن وجوده كان أمراً ضرورياً لتأمين المستوطنة ، ولتحديد نطاقها الجغرافي، ثم أن فكرة السور وجدت في كافة المدن التي شهدتها بلاد الشام في ذلك العصر سواءً الصليبية والإسلامية، ومن المستبعد وجود مثل تلك المستوطنة دون وجود سور يحميها من الأخطار المحدقة بها.

ومن العناصر المعمارية الرئيسية في مستوطنة البيرة، القلعة والتي عرفت باسم Castellum Mahumeria ، ويلاحظ أنها ذكرت ثلاث مرات الأولى عام ١١١٥م/ ٥٠٩هـ عند ماقدم روجر أسقف الرملة Roger of Ramla منزلاً في المستوطنة لدير القديسة مريم في وادي يوشفات[٥٥] ، ووقع المنزل المذكور في مقابل القلعة، والمرة الثانية التي ذكرت فيها كان ذلك عام ١١٢٨م/ ٥٢٢هـ أما المرة الثالثة، فقد حدثت عام ١١٤٦م/ ٥٤١هـ [٥٦]، ومن المهم إدراك أن ماورد بشأن وجود برج Turris في مستوطنة البيرة ، ماهو إلا القلعة Castellum [٥٧] ذاتها، ويؤكد ذلك ما ذكره البعض من أن البرج تم تعديله حتى صار بمثابة قلعة [٥٨] ، ومع ذلك ؛ من المهم إدراك أن قلعة البيرة عدت قلعة صغيرة الحجم لا تقارن بالقلاع الصليبية الكبري الأخرى مثل حصن الأكراد Crac des Chevaliers[٥٩] أو حصن المرقب Margat [٦٠].

ومن المنشآت العمارية الرئيسية في تلك المستوطنة، الكنيسة التي اتخذت النمط البازليكي المستطيل الشكل، واحتوت على صحن ، واثنين من الأجزاء الجانبية المنفصلة عن ذلك الصحن، وقسمت الكنيسة إلى جناحين ينتهيان بثلاثة أجزاء على شكل نصف دائرة، ووصفت أحجارها الخارجية بالخشونة[٦١]، ونعرف أن تلك الكنيسة كرست لصالح القديسة مريم St. Mary ، ووقف عندها صليب حجري ضخم، ومن هناك كان الحجاج بإمكانهم رؤية برج داود Tower of David [٦٢] في بيت المقدس، ويلاحظ أن الرحالة الأوربيين في ذلك العصر منهم من أشار إلى ذلك، ومنهم من حرص على رؤية ذلك البرج الشهير الذي تردد في مؤلفاتهم؛ ويبدو أنهم تناقلوا الروايات عنه في الغرب الأوربي ولذلك تاقت قلوبهم إليه.

مهما يكن من أمر ؛ هناك من يقرر أن تشييد تلك الكنيسة حدث عام ١١٤٦م/ ٥٤١هـ[٦٣]، ومع ذلك ؛ من المستبعد أن يكون تشييدها في ذلك التاريخ المتأخر عن تاريخ تأسيس المستوطنة ١١١٥م/ ٥٠٩هـ وأغلب الاحتمال أن يكون العام المذكور عام إضافة بعض المنشآت العمرانية في تلك المستوطنة؛ إذ أن الكنيسة عدت بناءً أساسياً في كل موقع أستقر فيه

الصليبيون، ومن غير المنطقي بقاء المستوطنة المذكورة خلال المرحلة الممتدة من عـــام ١١١٥م / ٥٠٩هـــ حتى عام ١١٤٦م/ ٥٤١هـــ دونما كنيسة خاصة أن رجال الأكليروس التابعين لكنيسة الضريح المقدس ، حرصوا على الأرجح- على بناء مثل تلـــك الكنيســـة في بدايـــة تشـــييدهم للمستوطنة لتقوم برسالتها الدينية من وجهة نظرهم، ويلاحظ أن بقاياها التي وصفت بأنها جميلة ؛ لا تزال قائمة(٦٤).

وإلى جانب القلعة، والكنيسة ؛ وجدت منشآت اتصلت بطعام سكان مستوطنة الـــبيرة مثـــل الطاحونة ، والمخبز، وقد شيدا من جانب ممثلي كنيسة الضريح المقدس الذين كانت لهم حقـــوق إحتكارية حيث اضطر السكان إلى إحضار الحبوب ، والدقيق إلى هناك(٦٥) ، ومـــن المتصـــور أن أولئك السكان كانوا يلتقون بصورة جماعية عند تلك المنشآت التي اختصت بغـــذائهم اليـــومي، وقدمت خدمات حيوية لجميعهم بصورة أكبر من الكنيسة التي التقوا عندها يوم الأحد من كـــل أسبوع، كذلك حفلات الزواج، والتأبين إلى غير ذلك من مناسبات.

زد على ذلك ؛ احتوت مستوطنة البيرة على المبنى الإداري الذي عرف باسم الكوريا Curia ، والذي منه كان يتم إدارتها (٦٦) ، وبالتالي اعتبر المقر الرئيسي لها، واتصل بحياة كافة المســـتوطنين منها ، وقام القائمون عليه من ممثلي كنيسة الضريح المقدس بدور بارز في إســـتقبال المســـتوطنين الجدد ، وتسكينهم ، وتسليمهم قطعة الأرض المخصصة من أجـــل زراعتـــها ، وكـــذلك حـــل المشكلات التي كانت تواجههم خاصة خلال المرحلة المبكرة من إستقرارهم في تلك المستوطنة بعد أن قدموا من بيئة أوربية مغايرة لبيئة الشرق في العديد من الجوانب.

ومن المفترض ؛ أن الكوريا عملت على الربط بين المستوطنين الصليبيين، وكنســـية الضـــريح المقدس، وارتبطت بها كافة المنشآت الأخرى التي وجدت في مســـتوطنة الـــبيرة مثـــل القلعـــة، والكنيسة، والطاحونة، والمخبز؛ مما عكس أهمية دورها البارز في حياة تلك المســـتوطنة الصـــليبية خاصة مع تزايد أعدادهم بتعاقب الأعوام من خلال تزايد حركة الهجرة من الغـــرب الأوربي إلى الشرق اللاتيني في بعض الأحيان.

ويلاحظ؛ احتواء مستوطنة البيرة على عدد كبير من المنازل التي إســـتقر فيهـــا المســـتوطنون الأوربيون واشتمل المنزل على دورين العلوي، واحتوى على غرفتين إستعملا كسكن لأصـــحاب المنزل، أما الدور السفلي فاستخدم في أغراض التخزين ،وكذلك صنع المنتجات الزراعيـــة(٦٧) ، وندرك أن صغرعدد الحجرات في المنزل بحيث أقتصر على غرفتين لا يخلو من دلالة، لأنه يعني أن متوسط عدد أفراد الأسرة من المستوطنين الأوربيين كان صغيراً.

ويلاحظ أن تلك المنازل كانت مزودة بأبواب حصينة، ونوافذ، وهي أشبه شئ بالكوة الـتي توجد في جدار الحصن[٦٨] ، أما مادة بناء المنازل فكانت من حجارة خشنة الملمس، ومن المفترض حصول المستوطنين عليها من البيئة المحيطة بهم.

وجدير بالإشارة ؛ أن القائمين على تلك المستوطنة أرادوا زيادة المصادر المائية الـتي تغـذيها خاصة بعد تزايد عدد المستوطنين، وأثبتت الأبحاث الأثرية وجود موضعين لأثنين مـن اليـنابيع، والبرك في السهل الواقع جنوب البيرة إحداهما كان تابعاً للسكان، والثاني كان تابعاً لعناصر هيئـة الإسبتارية أو فرسان المستشفى[٦٩] الذين امتلكوا أملاكاً لهم في منطقة البيرة- وهي هيئة كان لها دورها الإستيطاني هي الأخرى- مما عكس أهمية تلك المنطقة كبؤرة استيطانية صليبية بحيث أن هيئة الأسبتارية وهي واحدة من أكبر التنظيمات الدينية الحربية الصليبية حرصت على وجود أملاك لها هناك.

أما التركيبة السكانية لمستوطنة البيرة الصليبية فكانت تعد خليطاً من الصـليبيين الأوربـيين والمسيحيين الشرقيين والبولاني، ويلاحظ أن المجتمع الصليبي تكون أصلاً من طبقة الإرسـتقراطية الحاكمة من عناصر النبلاء؛ والفرسان الصليبيين ثم الطبقة البورجوازية، وطبقة عامة المحاربين،وطبقة الأفراخ أو البولانيين Pullani، وطبقة المسيحيين الشرقيين ، وهناك طبقة التجار الايطاليين، وطبقة المسلمين، وأخيراًطبقة الرقيق[٧٠].

ويعنينا هنا الطبقة البورجوازية على نحو خاص، وقد احتوت على عناصر الأوربيين الأحـرار الذين قدموا إلى فلسطين لممارسة النشاط التجاري[٧١]. وجـاءت عناصـرهم أسـفل الطبقـة الإرستقراطية العليا ، وتزايدوا عددياً مع تزايد أعداد المهاجرين من الغرب الأوربي إلى الشـرق اللاتيني[٧٢]، وقد تمكنت تلك الطبقة من تكوين مجتمع يصفه البعض بأنه تمتع بالحكم المحلي الذاتي، وزاول أفرادها النشاط التجاري من ناحية ، وممارسة الحرب من ناحية أخرى، واحتوت العناصـر البورجوازية على قوة عسكرية محلية سميت الميليشيا البورجوازيـة Burgher Militia ، وكـان بإمكانهم المحاربة بجوار عناصر البارونات، والهيئات الدينية الحربية الصليبية[٧٣] مما عكـس فعاليـة دورهم في حركة الإستيطان الصليبي حينذاك. ويعكس ذلك جانباً مهماً وهو عسكرة " المجتمـع الصليبي في بلاد الشام، فهاهي الطبقة البورجوازية ذات النشاط الحرفي، والتجاري في الأساس صار بإمكانها الدخول في ساحات الوغى في مواجهة المسلمين.

والزاوية المحورية هنا؛ تتمثل في أن عناصر الطبقة البورجوازية قامت بتعمير مستوطنة البيـرة الصليبية، وعملوا في المجال التجاري، وصناعة السلع الداخلة في الإستهلاك المحلي [٧٤]، وكانـت

قوانين كنيسة الضريح المقدس في عام ١١٢٠م/٥١٤هـ قد نظمت أمر السكان في تلك المستوطنة وتقرر أن يكونوا من العناصر الصليبية من الطبقة المذكورة(٧٥)، وجاء ذلك الموقف تعديلاً لقانون سابق صدر في الأعوام الأولى من تاريخ الاحتلال الصليبي عند ما تم تحريم إمتلاك الأراضي في بلاد الشام على تلك الطبقة، وذلك لأنه كان من العسير منع عناصر الفرنسيين،والأيطاليين، والألمان ، والفلمنك، والإنجليز-منعهم من الحصول على حيازات صغيرة من الأراضي الزراعية لزراعة الكروم، والبساتين(٧٦)، وغيرها، ويلاحظ هنا أن العناصر البورجوزاية المذكورة على الرغم من عملهم في الزراعة، إلا أنهم لم يفقدوا وضعهم كبورجوازيين، وكان في مقدورهم حضور المحاكم العامة، واعتبرت أملاكهم التي دفعوا لها إيجاراً صغيراً؛ أرضاً حرة، واستقر الأمر على أن يكون الإيجار دون تحويل الأفراد إلى طبقة الرقيق(٧٧)، وانطبق على برجوازيي البّيرة نفس الوضع الذي كان لعناصرهم في بيت المقدس الذين لم يكونوا فقط برجوازيي المدينة المقدسة، بل إنهم وصفوا ببورجوازيي الملك Burgesses of the king (٧٨)؛ على نحو عكس تميز مكانتهم الإجتماعية في وسط الكيان الصليبي بصفة عامة.

وقد أدرك أحد المؤرخين زاوية على جانب كبير من الأهمية تمثلت في أن الإستقرار الصليبي في مستوطنة البيرة كان مبكراً ، وكثيفاً، وذلك بالمقارنة بمناطق أخرى في فلسطين وجدت فيها مستوطنات صليبية أخرى كما في مناطق الجليل الغربي(٧٩) ، ومن الممكن تعليل ذلك من خلال إدراكنا لأهمية المنطقة القريبة من بيت المقدس ، والخطر الفاطمي القادم من الحدود الجنوبية على نحو جعل الصليبيين في صراع مع الزمن؛ من أجل غرس تجمع سكاني أوربي في تلك المنطقة دفاعاً عنها، ولم تكن منطقة الجليل الغربي لها نفس تلك الظروف التاريخية، ناهيك عن أن كنيسة الضريح المقدس كانت تطلب من المستوطنين الصليبيين مطالب أقل من تلك التي كان الملك الصليبي يطلبها من المستوطنين الآخرين في أملاكه في الجليل(٨٠)،وهو أمر له دلالته لأنه يعكس لنا أن الإستيطان الصليبي كان عماده تقديم تسهيلات ومميزات للقادمين من الغرب الأوربي لتشجيعهم على الإستقرار، كما أن هناك دلالة مهمة وهي أن الإستيطان الصليبي في الريف الفلسطيني لم يكن بسرعة واحدة في كل المناطق التي تم فيها، بل كانت هناك أولويات للمناطق التي أراد الغزاة تأمينها من الاخطار الخارجية مقارنة بغيرها.

وواقع الأمر ؛ أن لدينا عدداً كبيراً من أسماء أولئك الذين إستقروا في مستوطنة البيرة الصليبية، ومن أمثلتهم ما ورد في تلك الوثيقة التاريخية المهمة المؤرخة بالحادي عشر من فبراير عام ١١٥٦م/٥٥١هـ وفيها يرد (١٤٢) إسماً من الاسماء(٨١) ومن أمثلتهم ستيفانوس من لينيدان stephanus de linedan وبرونوبكتافنسيس Bruna pictavensis، وبطرس بونيت Petrus

Bonet ، وجود فري اللومباردي Godefridus Lombardus ، ويوحنا بيسوت Johanns pissot ، وردلف كوريا بابيلونيا Radulfus Curia Babilonia وهيوجو من سان هيليا Hugo de sancto Helya ، وبرنارد من مونت جودين Bernardus de Mont Gaudin ، وبطرس من القديس لازاروس Petrus de sancto lazaro ، ورينالدو سيشر Rainaldus Sicher [٨٢]، وغيرهم كثيرون.

ويلاحظ هنا ؛ أن الذين أستقروا في تلك المنطقة لم يكن جميعهم قدموا مباشرة من الغرب الأوربي لتوهم، بل إنهم قدموا أحياناً من مناطق أخرى متعددة من فلسطين ، للحصول على مكاسب افضل على المستويين المالي، والديني ، والأول ارتبط بالتسهيلات التي قدمت لسكاني البيرة والثاني، ارتبط بميزة القرب من بيت المقدس.

والدليل على ذلك التحرك السكاني بالنسبة لحركة الإستيطان الصليبي؛ أن المستوطن المدعو هيوجو من سان هيليا قدم إلى البيرة من قلعة القديس إيليا Elye، وهي مجاورة لها، أما المستوطن المدعو برنارد من مونت جودين فقد قدم من منطقة النبي صموئيل St. Samuel[٨٣]، وقدم المستوطن بطرس من سان لازارو من قلعة القديس لازاروس، ونجد أن المستوطن المدعو رينالدوس سيشر قدم من نابلس [٨٤].

وواقع الأمر ؛ أن ذلك يعكس لنا بحث المستوطنين الأوربيين في فلسطين عن احسن الظروف التي تمكن لهم حياة أفضل هناك من كافة الجوانب، ولذلك تنقلوا من مكان إلى آخر ، وهكذا غدت مستوطنة البيرة الصليبية منطقة جذب للمستوطنين الأوربيين مما عكس أهمية دورها في ذلك العصر، ومنطقي تصور أن الذين استقروا فيها من أمد طويل عملوا على جذب وتشجيع غيرهم للقدوم والإستقرار في البيرة فيها، وبالتالي مثل الجانب الدعائي دوره المهم في هذا الشأن.

وفيما يتصل بإستقرار المستوطنين الاوربيين الجدد في البيرة ، وتجمعاتهم ، من المقرر أنهم لم يتوزعوا بصورة عشوائية، بل أنهم كأجانب، وغرباء عن المنطقة، عملوا على الاستقرار بجوار جيرانهم في بلادهم الأصلية في أوربا[٨٥]، وذلك يعكس لنا أن توزيع المستوطنين الأوربيين ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب الجنسي، والعنصري، والنفسي كذلك، فكل جنسية تجمع أبناؤها معاً من أجل البحث عن الأمن من خلال الإحتماء باكبر عدد ممكن من أبناء جنسية واحدة خلال ظروف الصراع مع المسلمين، ومن الممكن إدراك الزاوية النفسية التي لها شأنها حيث يبحث أبناء منطقة ما عن بعضهم البعض خارج وطنهم الأصلي– من أجل الشعور بالأمن والترابط، والتعاون المشترك خاصة في مناطق غريبة عنهم تعاديهم لم يألفوها، وينطبق ذلك على المهاجرين الأوربيين إلى فلسطين في ذلك العصر.

أما جنسيات أولئك المستوطنين في مستوطنة البيرة الصليبية فكانت من بقاع متعددة من أوربا[٨٦] ، وفي غالبيتهم تكونوا من الفرنسيين، وعلى لحو خاص من جنوب فرنسا ، كذلك وجدت عناصر من الإيطاليين ، والأسبان [٨٧] ، وهناك من يقرر أن أصولهم ربما كانت تعود إلى كل بلدة، ومقاطعة شاركت في الحروب الصليبية مثل أوفرجين Auvergne، وبروفنس Provence، وبرجنديا Burgendy ، وكاسكوني Cascogne، وليموج limoges ، وبواتو Poitou ، وتور Tours ، وسان جوتيه St. Gautier ، وبورج Bourges ، وكتالونيا Catalonio وفالنسيا Valencia ، ولومبارديا Lombardy ، وفينسيا Venice ، وبارليتا Barletta [٨٨] ، ومع إدراكنا لأهمية ذلك القول في مقدم أولئك المستوطنين من مدن عديدة من الغرب الأوربي ، إلا أن هناك مبالغة فيه، فلم تكن كل مدينة ممثلة في البيرة كما هو منطقي، ومتوقع.

ويلاحظ وجود عناصر ثانوية أخرى معاونة سواءً من المسلمين أو المسيحيين المحليين من مناطق بيت المقدس أو نابلس، والنبي صمويل، ويافا [٨٩] ومنطقي تصور أن العناصر المعاونة لم ترد في الوثائق الصليبية التي حرصت على إبراز كبار القوم من العناصر المسيحية الكاثوليكية لا صغارهم، مع ملاحظة أهمية دورهم في حياة تلك المستوطنة الصليبية.

وواقع الأمر؛ أن رؤية متمعنة في جنسيات المستوطنين الصليبيين في مستوطنة البيرة تكشف لنا عن حقيقتين مهمتين؛ أولاهما: أن سكان تلك المستوطنة بإختلاف أعراقهم وجنسياتهم ودولهم عكسوا التنوع والتنافر السكاني الذي كانت عليه مملكة بيت المقدس الصليبية ذاتها، والتي احتوت خليطاً غير متجانس من السكان جمعتهم رغبة واحدة هي القيام بالنهب المنظم لثروات الشرق ، ولجد أن الخلافات ، والنزاعات التقليدية التي وجدت بين سكان الغرب الأوربي إنتقلت إلى الشرق مثل العداء بين الإنجليز والفرنسيين ، وبين الألمان والإيطاليين ، وغيرهم ، وثانيها : أننا لجد غالبية السكان من الفرنسيين ، وأقل القليل من الإيطاليين ، ولا نغفل هنا أن المشروع الصليبي ذاته اتسم بالطابع الفرنسي إذ كان البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م/٤٨٢-٤٩٢هـ) فرنسياً؛ وكليرمونت وقعت على أرض فرنسا، وشارك عدد من ملوك فرنسا في دعم الشرق اللاتيني ناهيك أن العديد من ملوك الصليبيين وأمراء الإمارات الصليبية كانوا من أسرات فرنسية عريقة، أما تعليل قلة عدد الإيطاليين فيكمن في أنهم – علي ماهو مرجح– فضلوا الإستقرار في الساحل خاصة عناصر البيازنة، والجنوية، والبنادقة على اعتبار المزايا التي وجدت هناك من خلال إزدهاره تجاريًا ، ومدينة عكا خير مثال [٩٠] ، مع عدم إغفال وجود أحياء خاصة بالإيطاليين في المدن الساحلية كمكافأة قدمها الصليبيون لأهل المدن الإيطالية نظراً لدورهم في إسقاط تلك المدن في قبضة الغزاة.

وعلى أية حال ؛ من الملاحظ أن الحملة الصليبية الأولى مهدت الطريق أمام أعداد غفيرة من الأوربيين من أجل القدوم إلى الشرق بصورة غير مسبوقة في التاريخ الأوربي الوسيط، وكذلك الإستحواذ على مساحات من الأراضي الزراعية لعناصر منهم في صورة إقطاعات علمانية أو دينية[٩١] ، ولانغفل هنا ؛ أن تلك الأراضي كانت صالحة أصلاً للزراعة ولا يتم أستصلاحها، ولذلك كان من السهل الإستقرار هناك مباشرة، على نحو سريع.

أما الأعمال التي قام بها أولئك المستوطنين فكانت متنوعة ؛ فهناك من عمل في مجال النجارة، ووصف بأنه Carpenter أو Carpentarius [٩٢] أو مزارع حضروات Vegetable Gardener أو ما سمي Cortiliarius ortalis [٩٣] ، وهناك من عمل في مهنة رعي الجمال ووصف بأنه Camelarius أو رعي الخنازير Porcarius أو رعي الأغنام Caprellus [٩٤] ، كذلك وردت إشارات عن أن هناك من عمل في مهنة الحدادة، وأعمال البناء [٩٥]، ويلاحظ أن المهنة الأخيرة ذكرت على نحو خاص مما عكس اهميتها [٩٦] ، وهو أمر يمكن إدراكه في يسر وسهولة من خلال قيام أصحابها بتشييد المنازل للوافدين الجدد خاصة بعد تزايد أعدادهم.

وبصفة عامة ؛ نجد أن كافة المهن والحرف السالفة الذكر لها قيمتها؛ إذ وفرت للصليبيين في البيرة الغذاء ، والمسكن، والعديد من الإحتياجات الحياتية التي أحتاجها المستوطنون الأوربيون، وكذلك الحجاج الذين قدموا إليها. وشكل العاملون في تلك المهن والحرف قسماً له شأنه في الجبهة الداخلية المدعمة للوجود الصليبي في فلسطين على الرغم من ندرة الإشارات المصدرية الصليبية بشأنها.

ومع ذلك ؛ كان العمل الزراعي النشاط الغالب على المستوطنين في البيرة ، وهناك من يقرر أن اقتصادها الرئيسي تمثل في الزراعة[٩٧]، ونعرف أنها وصفت كمستوطنة زراعية [٩٨]، ومن المقرر؛ أن السادة الصليبيين ساورهم القلق بشأن تطوير الإمكانات الزراعية على نحو كامل للأراضي التي أستولوا عليها ؛ ذلك أنه لم يكن هناك فائض في قوة العمل المحلية ، ولذلك شجعوا الأوربيين للقدوم إلى تلك المستوطنة ، والإستقرار فيها [٩٩] ، وهكذا حصل كل مستوطن على قطعة من الأرض لزراعتها وفي المقابل ، كان يدفع نصف محصوله بالإضافة إلى ضريبة العشر [١٠٠] ومنطقي تصور أن المكاسب التي غنموها فاقت بمراحل ماقدموه لكنيسة الضريح المقدس.

ويصفة عامة ؛ كانت تلك الكنيسة مهتمة بزراعة الكروم حيث جادت زراعتها في أرض فلسطين ، وحققت شهرة كبيرة في الداخل والخارج حيث دخلت دائرة التصدير إلى أسواق أوربا، وهكذا؛ زرعت مساحات كبيرة في مستوطنة البيرة بالكروم [١٠١] بالإضافة إلى القمح الذي دخل في صناعة الخبز؛ وهو الطعام الرئيسي للسكان [١٠٢] .

على أية حال ؛ يقرر البعض أن الترتيبات الإقتصادية للمستوطنات الصليبية على شاكلة البيرة عرفت في فرنسا، وليس هناك ريب في أصولها، ومراميها، وأهـدافها [١٠٣]، ويعكس ذلك أن الصليبين هدفوا إلى نقل النموذج الفرنسي المطبق في الغرب الأوربي إلى أرض فلسطين ، وبصورة تثبت لنا الأصول الغرب أوربية- خاصة الفرنسية- لحركة الإستيطان الصليبي هناك في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري.

ومهما يكن من أمر ؛ لم يكن عمل أولئك المستوطنين بالأمر اليسير ؛ إذ كان عليهم مواجهة ظروف بيئية مختلفة عما أعتادوا عليه في الغرب الأوربي، وخاصة في فصل الصيف ؛ إذ إرتفعت درجة الحرارة في فلسطين بصورة لم يألفوها في بلادهم ، أما شتاءً ؛ فكانت الأحوال المناخية يسيرة بالنسبة لهم على اعتباز أن الغرب الأوربي كان أكثربرودة من إقليم البحر المتوسط المتسم بالإعتدال عموماً، كذلك تعرض أولئك المستوطنين لآثارالزلازل المدمرة التي نكبت بها بلاد الشام في ذلك العصر، وتمثلت في المرحلة الزمنية موضوع الدراسة في الهزات الزلزالية التي حدثت عام (١١١٧م/ ٥١٠هـ) [١٠٤] وعام ١١٣٨م/ ٥٣٣هـ [١٠٥] ، والمرحلة الممتدة من ١١٥٦إلى ١١٥٩م /٥٥١-٥٤٤هـ [١٠٦] ، وكان أشد الزلازل فتكاً زلزال عام ١١٧٠م/ ٥٦٥هـ [١٠٧] وأدت تلك الأحداث إلى تدمير المنازل مما احتاج إلى إعادة بنالها مرة أخرى أو ترميم الاجزاء المنهارة ، كذلك نتج عنها حدوث معدلات مرتفعة من القتلى، والجرحى، كما تعرض المستوطنون لإغارات أسراب الجراد الفتاكة التي هاجمت أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية خلال عدة أعوام كما حدث عام ١١١٤م/ ٥٠٨هـ [١٠٨] ، ١١١٧م/ ٥١١هـ [١٠٩] ، ١١٢٤م/ ٥١٤هـ [١١٠] وقد ألتهمت الثروة الزراعية بصورة كشفت عنها نصوص المصادر التاريخية المعاصرة على نحو هددهم في غذائهم خاصة الخبز من جراء التهامها حقول القمح، فإذا اضفنا إلى ذلك كله هجمات المسلمين العسكرية أدركنا أن سكان مستوطنة البيرة الصليبية كان عليهم مواجهة العديد من الاخطار الطبيعة، والبشرية التي أستهدفت مستوطنتهم التي غرست في المنطقة عنوة على حساب أهلها الأصليين من أبناء فلسطين.

وتوجد زاوية مهمة في دراسة تلك المستوطنة الصليبية خاصة ما أتصل بنموها العمراني، وأعداد المستوطنين الاوربيين بها ، ويلاحظ أن أحد المؤرخين يقرر : " أن المستوطنة المذكورة سرعان ما أتسع حجمها، وزادت أهميتها خلال القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري، ولم يحل عام ١١٦٠م/ ٥٥٥هـ إلا وكانت أشبه شئ بمدينة صغيرة لها حكومتها البورجوازية، وعلى رأسها رئيس الرهبان [١١١] ومع ذلك ؛ من الممكن تصور قدر من المبالغة في وصفها بأنها تشبه مدينة صغيرة، لأن الرحالة الألماني ثيودريش Theoderich وهو الذي عرف بقوة الملاحظة ودقة عباراته،

عندما زارها حوالي عام ١١٧٢م/ ٥٦٨هـ ؛ وصفها بأنها قرية واسعة [١١٢]، مما ينفي عنها تشبيهها بمدينة صغيرة، وذلك مع عدم إغفال تطورها وتوسعها العمراني عندما وصل إليها ذلك الحاج الألماني بعد نحو سبعة وخمسين عاماً من تأسيسها ؛ مما يعكس أنها عام ١١٦٠م/ ٥٥٥هـ لم تكن تحمل ذلك الوصف الذي وصفها به صاحب ذلك الرأي.

أما عن الوضع السكاني لها؛هناك من يقرر ؛ أن تقدير عدد سكان مستوطنة البيرة الصليبية عام ١١٥٥م/ ٥٥٠ هـ نحو ٩٠ أسرة،وحوالي ٣٥٠ شخصاً من الرجال، والنساء ؛ والأطفال ، وفيها بعد وصلت ٥٠ أسرة جديدة ، وصار المجموع ٥٠٠ شخصاً ، وهو عدد جعل البيرة ذات شهرة كبيرة[١١٣] وواقع الأمر؛ من الممكن إدراك عنصر فعال توفر لتلك المستوطنة الصليبية بحيث جعلها على ذلك النحو من النمو في عام ١١٥٥م/ ٥٥٠هـ، فقبل ذلك التاريخ بعامين فقط ، وتحديداً في عام ١١٥٣م/ ٥٤٨هـ تمكن الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin III من الإستيلاء على مدينة عسقلان [١١٤]، وتأمين حدود المملكة الصليبية في اتجاه مصر ، ومع توافرعنصر الأمن ، كان من الممكن لأعداد المستوطنين الأوربيين أن تتزايد، وتتدفق على تلك المستوطنة.

أما عن الهيكل التنظيمي، والقانوني الداخلي لمستوطنة البيرة الصليبية؛ فقد وجدت وظيفة كبيرة هي الدسبنساتور Dispensator[١١٥] وعد وكيل رئيس الرهبان ، وعمل نائباً عن كنيسة الضريح المقدس، وهناك من قرر إقامته في القلعة [١١٦] ، بينما قرر البعض إقامته في الكوريا[١١٧] ومن الممكن تصور صحة الرأيين في حالات معينة، ففي خلال عدم وجود تهديد حربي أقام في الكوريا، أما في حالة التعرض لذلك أضطر للإقامة في القلعة، ويلاحظ أنه أشرف على ما ينتج من زراعات حيث تم تخزين المحاصيل [١١٨] واتجه إلى فرض الرقابة على نوعية العمل وكفاءته وكان في مقدوره أن يؤنب بقسوة ، ويفرض سلطته على المستوطنين [١١٩] ، بل قام بتغريم من لا يقوم بعمله خير قيام ، بسحب الأرض الزراعية من المستوطن المقصر[١٢٠].

ولا ريب في وجود صلاحيات له دعمت تلك الإجراءات ، ومن المفترض وجود عدد من الموظفين الصغار المعاونين له مثل الريس،والترجمان، والكاتب، وهي وظائف وجدت في الريف الفلسطيني في ذلك العصر.

أما الجوانب القضائية، فنلاحظ أن المستوطنين فيها كانوا يتقاضون من خلال المحكمة البورجوازية Court of Burgesses ، ومحلفيهم Jurers [١٢١]، وبلغ عددهم ١٢شخصاً، وتم تعيينهم من جانب رئيس المحكمة من بين العناصر البورجوازية من اللاتين الكاثوليك

الأحـــــرار[١٢٢] ، وهناك من يقرر؛ أن تلك المحكمة اختصت بمناقشة المنازعات التي كانت بـــين السكان فيما يتصل ببيع أراضي البيرة[١٢٣] ، وكذلك المنازعات الشخصية الأخرى بطبيعة الحال، وعقدت المحكمة المذكورة جلساتها في كل يوم جمعة، وأثــنين ، وأربعــاء أي في أول، الأســبوع ووسطه، وآخره ماعدا الأيام التي كانت خاصة بأعياد القديسين [١٢٤] ، وهي متعددة على مــدار العام سواءً القديسين ذوي الشهرة الواسعة أو الذين لم يحظوا بها.

مهما يكن من أمر ؛ من المتصورأن تلك المحكمة لم تظهر إلى الوجود قـــبل عـــام ١١٤٩م/ ٥٤٤هـ ؛ وهو العام الذي ظهرت فيه الإشارة إليها في بيت المقدس [١٢٥] بحكم قرب البيرة منها، ومع ذلك ؛ ليس في الإمكان تأكيد ذلك على اعتبار ما أشار إليـــه الـــبعض مـــن أن المحكمـــة البورجوازية في أنطاكية مثلاً لم تظهر إلا عام ١١٦٦م/ ٥٦١هـ، وفي العـــام التـــالي أي عـــام ١١٦٧م/ ٥٦٢هـ ظهرت في قيسارية، أما عكـــا، فقـــد وجـــــدت بهـــا عـــام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ[١٢٦] ومعنى ذلك؛ إختلاف توقيت ظهور ذلك النوع من المحاكم الصليبية مـــن مدينـــة لأخرى حسب مقتضيات الأحوال.

وتوجد زاوية أخرى يمكن التعرض لها خلال دراسة مستوطنة البيرة الصليبية، وهي المقارنة بينها وبين مستوطنة صليبية أخرى معاصرة لها على أرض فلسطين في صورة مستوطنة بيت جبرين[١٢٧]، وعرفت لدى الصليبيين باســـم Beit Jibrin, Beth Jibelin [١٢٨] أو Eletheropolis [١٢٩] ، ووقعت بين بيت المقدس ، وغزة في المنطقة الجنوبية عند حدود مملكة الصليبيين مـــع مصـــر، وتم تشييد قلعة فيها ضمن عدد من القلاع أقامها الصليبيون خلال المرحلة من ١١٣٧إلى ١١٥٠م / ٥٣١-٥٤٤هـ [١٣٠] ، ومن المقرر انهم منحوا هيئة الإسبتارية تلك القلعة للدفاع عنها؛ وذلك على الأرجح عام ١١٣٦م/ ٥٣١هـ[١٣١]، وهناك من يقرر أن ذلك العام من المحتمل أن وجدت فيه مستوطنة صليبية في بيت جبرين من عناصر الأوربيين الأحرار[١٣٢]، وكان بمقدورهم مغـــادرة الأرض متى أرادوا ، ودفعوا إيجاراً عنها؛ وتركت أمور السيادة ، وكذلك القضاء لتكـــون مـــن أختصاص عناصر الإسبتارية[١٣٣] ويلاحظ أن تلك المستوطنة الصليبية امتلكت دليلاً وثائقياً لهـــا، ونعرف أنه في عام ١١٥٣م/ ٥٤٩هـ بعد سقوط عسقلان في قبضة الصليبين منح مقدم الهيئـــة رايموند دي بـــــوي Raymond de puy (١١٢٠-١١٦٠م/٥١٤-٥٥٦هـــ) حقوقـــاً للمستوطنين وكان عددهم ٣٢ أسرة وعدد أفرادها مابين ١٠٠؛ ١٥٠ شخص [١٣٤] ، واستمرت المستوطنة المذكورة على الأقل حتى عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ ؛ عندما تمكن الجيش الأيـــوبي مـــن الإستيلاء علـــيها وتخريبها[١٣٥].

وبصفة عامة ؛ تعكس مستوطنة بيت جبرين الصليبية أن أمر الإستيطان الأوربي في فلســـطين تولت القيام به أكثر من جهة ، فلم يكن الأمر قاصراً على كنيسة الضريح المقدس ، بـــل أمتـــد ليشمل هيئة دينية حربية صليبية كبيرة في صورة الإسبتارية.

وعند المقارنة بين مستوطنتي البيرة، وبيت جبرين؛ نجد عـدة عناصـر للإتفـاق ، وأخـرى للإختلاف، فتتفق المستوطنتان من حيث أنهما نتاج حركة الإستعمار الصليبي في فلسطين ، كذلك في إعتمادهما على عناصر المستوطنين الأوربيين القادمين من الغرب الأوربي لتكون لهم أملاكهم في فلسطين ، وكذلك في القاعدة الوثائقية التي توجد لكل منهما، وفي سقوطهما على يـد الجـيش الأيوبي عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ.

أما عوامل الإختلاف ؛ فتتمثل في أن مستوطنة البيرة الصليبية تعد أقدم من مسـتوطنة بيـت جبرين؛ فالأولى يحدد لها عام ١١١٥م / ٥٠٩ هـ، والثانية عام ١١٣٧/ ٥٢١هـ كتـاريخ للإنشاء تقريباً ، كذلك امتازت بميزة القرب من بيت المقدس، وهي ميزة لم تكن لتتـأتى للثانيـة بنفس الدرجة ، كما يوجد أختلاف آخر بين المستوطنتين من حيث أن البيرة قامت بها مؤسسـة دينية صرفة في صورة كنيسة الضريح المقدس، بينما بيت جبرين قامت بها مؤسسة دينية حربية في صورة هيئة الإسبتاريه، وتبقي زاوية أخيرة للإختلاف من حيث أن عدد سكان مستوطنة البيرة فاق عدد سكان مستوطنة بيت جبرين ، وهو أمر يتضح لنا من خلال ما وصل إلى الباحثين من إشارات في هذا الشأن على اعتبار أن البيرة مثلت عنصر جذب سكاني فاق بيت جبرين.

وهكذا ؛ تفيد تللك المقارنة الموجزة في توضيح حجم تلك " الظـاهرة الإسـتعمارية" وأن مستوطنة البيرة الصليبية كانت واحدة من شبكة مستوطنات أخرى شيدها الغزاة منها ما كـان قريباً نسبيباً منها، كما في نموذج بيت جبرين، ومنها ما كان بعيداً عنها كما في أخزيف عند عكـا السالفة الذكر.

مهما يكن من أمر؛ في خلال المرحلة موضوع البحث الممتدة من ١١١٥م/ ٥٠٩هـ إلى ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ تعرضت مستوطنة البيرة الصليبية لهجمات القوى الإسلامية سواءً في عهود الفاطميين أو الأيوبيين، مما عكس إدراكهم لخطورتها، وبالتالي رغبتهم الملحة في القضاء عليها أو تدمير مظاهر العمران فيها،ونهبها اقتصادياً.

وقد شهدت تلك المستوطنة مرحلة من اخطر مراحل تاريخها عندما هاجمتها القوات الفاطمية المرابطة في عسقلان عام ١١٢٤م/ ٥١٩هـ ، ويعد المؤرخ فوشيه الشارتري مصدرنا الصليبي المعاصر لأحداثها [١٣٦] ومنه نقل وليم الصوري [١٣٧] فيما بعد، ونعرف أنه في العام المذكور اتجه الفاطميون إلى تخفيف الضغط الحربي الصليبي خلال حصار مدينة صور اللبنانية المنيعة، ولذلك نشطت حامية عسقلان في مهاجمة المملكة الصليبية من خلال مستوطنة البيرة الصليبية، وقد تمكنت الحامية المصرية في عسقلان من سلب، ما استطاعت سلبه لتدمير الموارد الإقتصادية

للصليبيين،وأشعلت النيران في المستوطنة المذكورة[١٣٨]، ويبدو أن حامية عسقلان لم تتمكن من تحقيق تلك العملية العسكرية دون خسائر؛ إذ أن المؤرخ الصليبي المعاصر السالف الذكر أشار إلى أن رجالها حملوا قتلاهم، والعديد من الجرحي[١٣٩]، مما عكس وجود مقاومة من القوة العسكرية الصليبية في البيرة.

ووفقاً لما أورده وليم الصوري؛ فإن حامية عسقلان قتلت غالبية سكانها، وأن الرجال المسنين، والنسوة ، والأطفال انسحبوا إلى البرج(وهو في الواقع القلعة) [١٤٠] للإحتماء به، وهناك زاوية يختلف فيها المؤرخان الصليبيان المذكوران، ففوشيه الشارتري يشير إلى أن حامية عسقلان فقدت عدداً من القتلى، ووجد من رجالها عدد من الجرحى[١٤١]، ويعني ذلك؛ مقاومة المستوطنة الصليبية لهم، أما وليم الصورى؛ فيقرر أن العسقلانيين قتلوا، وأسروا كل من واجهوه لأنه لم يقاومهم أحد خلال زحفهم المندفع [١٤٢] ، وبالتالي لم تحدث أية إصابات في صفوفهم.

وعند مقارنة الروايتين من الممكن ترجيح رواية فوشيه الشارتري الذي عاصر تلك الأحداث ، ثم أن من المستبعد قيام حامية عسقلان بتلك الفعاليات دون أن تلقى أية مقاومة حربية من مستوطنة البيرة الصليبية بعد قرابة عقد كامل من تأسيسها.

وهناك من يقرر ؛ أن تلك الحامية أستولت على البيرة [١٤٣] ومع ذلك ؛ فمن خلال نصوص المصادر التاريخية الصليبية؛ ندرك أنها كانت عملية حربية أستهدفت السلب، والنهب لموارد الصليبيين الإقتصادية لا الإستيلاء على تلك المنطقة بهدف إخضاعها للسيطرة الفاطمية بصفة مستمرة.

وهناك زاوية مهمة ؛ وهي أن الصليبين حرصوا – كما هو متوقع – على إعادة ترميم وبناء ما هدم في البييرة من مبان من جراء التدمير، والإحراق على يد حامية عسقلان بدليل إستمرار تلك المستوطنة فيما بعد تلك الأحداث بعدة عقود كما دلت على ذلك نصوص أحد الرحالة الأوربيين كم أسلفت. ومن ناحية أخرى؛ قامت مستوطنة البيرة الصليبية بدور فاعل في أحداث معركة غزة عام ١١٧٠م/ ٥٦٦هـ [١٤٤]؛ إذ ساهمت بعدد من أبنائها المقاتلين من اجل مواجهة المسلمين ، ويبدوا أنهم بذلوا مجهوداً حربياً كبيراً لصالح بني جلدتهم حتى أن المؤرخ وليم الصوري امتدح فعاليتهم ، وقد أصيب منهم العديدون بين قتيل وجريح خاصة أن الجيش الفاطمي بقيادة صلاح الدين الأيوبي هاجمهم بصورة مفاجئة[١٤٥]؛ وبالتالي أمتلك ميزة حربية مؤثرة على أعدائه.

وجدير بالإشارة هنا؛ أن معركة غزة المذكورة ، تعد أول معركة خاضها صلاح الدين الأيوبي قبيل إسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م/ ٥٦٧هـ،ضد الصليبيين على حدودهم مع مصر

الفاطمية، وأحرز فيها نصراً كبيراً تمكن من خلاله من اختبار قوته الجديدة التي صارت فيما بعد قوة الجهاد ضد الإحتلال الصليبي، ويلاحظ أن ذلك الإنتصار؛ كان له تأثيره النفسي الكبير على القوات المصرية بقيادته حيث أعادت الثقة إلى نفوسهم[١٤٦]، ومع ذلك؛ يلاحظ أن المسلمين لم يتمكنوا من إسقاط حصن الداروم الذي سيطرت عليه هيئة الداوية في تلك العمليات الحربية[١٤٧]؛ مما عكس محدودة فعالياتها وعدم توسع نطاقها الجغرافي ليشمل العمائر الحربية الصليبية.

أما المواجهة الأخيرة في تاريخ مستوطنة البيرة الصليبية؛ فكانت عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ عندما تمكن الجيش الأيوبي من تحقيق انتصارحاسم على الصليبيين في معركة حطين [١٤٨]، والتي نتج عنها الإستيلاء على مدن الساحل الشامي، وفتح بيت المقدس ، وإسقاط العديد من القلاع الصليبية، وخلال تلك الإحداث ؛ سقطت مستوطنة البيرة، وتم تخريبها[١٤٩] بعد أن شهدت أعواماً طويلة من الإزدهار دعماً للمشروع الإستعماري الصليبي.

وتبقي في البحث زاوية أخيرة ، لا تخلو من اهمية وهي أن الحركة الصهيونية والتي هي وليدة القرن التاسع عشر الميلادي استهدفت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين علىحساب أهلها الأصليين من عرب فلسطين الذين وجدوا فيها منذ آلاف السنين افادت من حركة الإستيطان الصليبي لتحقيق أهدافها، وهكذا؛ اتجهت إلى إقامة مستوطنات لها هناك، وتمثل جهدها في هذا المجال بما عرف بالقرية الجماعية ، والملكية فيها ذات طابع جماعي [١٥٠] وضمت مؤسسات جماعية أشرفت عليها منها الكيبوتز Kibboutz الموحد [١٥١] (هاكيبوتز هامينوحاد) والكيبوتز الوطنى (كيبوتزها ارتزى ها شومر هاتزير [١٥٢]) وغيرها من أنواع الكيبوتزات، ويلاحظ هنا أن كلمة كيبوتز نفسها تعني " لم الشمل " [١٥٣] ، والنظام الثاني من المستوطنات سمي الموشاف Moshava(وهي كلمة بالعبرية تعني المستوطنة)، وهي مستوطنة صغيرة تقوم القرية فيها على أساس ملكية الأرض الخاصة، والجهود الذي يقوم الفرد ببذله، ومن المقرر أن الكيبوتز قام أصلاً لتثبيت أقدام دولة إسرائيل ثم حل محـــــله فيما بعد الموشاف[١٥٤].

ولدينا العديد من الأمثلة للمستوطنات الإسرائيلية التي أقيمت لكي تحيط بالقدس منها نذكر: بقوع ، بيت زيت، بيت شمس ، بيت فيجان، بيت منير، تاروم، شورش، عين كارم فريت هيوفل، موتسا، نحم، مشواه، كفر سلعة[١٥٥] وغيرها عديد.

ومثل تلك المستوطنات الإسرائيلية؛ ماهي إلا الإمتداد الطبيعي لظاهرة المستوطنات الصليبية كما في مستوطنة البيرة؛ وغيرها، ولا ريب في أن المؤرخين الإسرائيليين [١٥٦]إهتموا بدراسة تلك

الحركة التاريخية في العصور الوسطى من أجل الإفادة من حصاد التجربة الصليبية، دعماً لمشروع الحركة الصهيونية لإستعمار فلسطين.

أما أوجه التشابه بين مستوطنة البيرة، والمستوطنات الإسرائيلية الحديثة في الضفة الغربية؛ فيمكن ملاحظتها من خلال الأساس العلمي في والتخطيط، والتنظيم، والتنفيذ الذي توافرللصليبيين ومن بعدهم الصهاينة ثم الدور الدفاعي والإقتصادي لتلك المستوطنات على نحو يثبت بجلاء التشابه بين هاتين الحركتين الإستعماريتين مع عدم إغفال التفوق المعرفي والتكنولوجي الذي وجد لدى الحركة الأخيرة، وإذا كان هناك جانب معرفي، وتكنولوجي وجد لدى الصليبيين ووجهوه صوب إقامة مستوطناتهم ؛ فإن ذلك كان بمقاييس العصور الوسطى بطبيعة الحال، ناهيك عن الدعم البشرى من الغرب الأوربي وكذلك المادي.

ولا نغفل أن الضفة الغربية لنهر الأردن كانت – ولاتزال– المجال الحيوي للإستيطان الصليبي والإسرائيلي، وتمت إحاطة بيت المقدس بالعديد من المستوطنات وتطور الأمر لدى الإسرائيليين من أجل إقامة القدس الكبرى، وجعل تلك المستوطنات تفصلها عن نابلس في الشمال والخليل في الجنوب. وكل ذلك من خلال حملة شديدة للتهويد، وتغيير معالم تلك المدينة المقدسة عمرانياً وسكانياً لفرض أمر واقع دون أي سند قانوني يدعم المزاعم اليهودية فيها.

ومع ذلك ؛ نجد الكثافة السكانية لأبناء فلسطين كانت عصر الحروب الصليبية مرتفعة ونفس الأمر في الوقت الراهن، ناهيك عن روح المقاومة للغزويين ، على نحو جعل الشعور بالأمن للمحتلين سراباً لاطائل من ورائه ، وهكذا أثبتت – ومازالت تثبت– فلسطين أنها محط القوى الإستعمارية التي مهما طال بقاؤها فيها فإنها يوماً ما كما علمنا درس التاريخ ستطرد منها.

مهما يكن من أمر؛ خلص البحث إلى عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولاً : قام رجال كنيسة الضريح المقدس بتشييد مستوطنة البيرة الصليبية شمال غربي بيت المقدس من أجل القيام بدور عسكري دفاعي، واقتصادي زراعي، ومثلت البيرة المستوطنة الأنموذج الذي سار عليه الغزاة في تشييد العديد من المستوطنات في أنحاء مختلفة من أرض فلسطين لاستعمارها ، مع ملاحظة أن الإستعمار هنا بمعنى الإستخراب، نهب موارد تلك البقعة من أرض الإسلام لصالح المستوطنين الذين قدموا من المغرب الأوربي.

ثانياً : من الأهمية بمكان إدراك قيام حركة الإستيطان الصليبي في البيرة على أساس علمى، ولم تكن بصورة عشوائية وبدأت من اختيار المنطقة الملائمة على المستوى الجغرافي ، ثم إستقدام المهاجرين الأوربيين من بقاع مختلفة من القارة الأوربية ثم تخطيطها بحيث تفي بإحتياجات السكان

الأقتصادية، والدينية، كذلك تخطيط دورها لتقوم بدورين مزدوجين إقتصادي ودفاعي، ثم إذا ما لاحظنا أن تلك المستوطنة كانت جزءاً من حركة تشييد العديد من المستوطنات الأخرى ؛ أدركنا صحة تعريف الحروب الصليبية بأنها حركة الإستعمار الأوربي في العصور الوسطي.

ثالثا : لم يكن تشييد المستوطنات التى تحيط ببيت المقدس فكرة جديدة من خلال المطامع الإسرائيلية ، بل ان الصليبيين من قبل سعوا لتنفيذ نفس السياسة خلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى ، ولجد فى مستوطنات البيرة ، والقبيبه ، خير دليل بصورة تكشف لنا أن الاسرائيليين قلدوا سياسة سابقة قام بها الصليبيون ولم يبتكروا سياسة جـديدة .

رابعاً : شهد عصر الحروب الصليبية عملية تغيير سكانى بصورة قهرية بإخراج السكان الأصليين من عرب فلسطين واحلال سكان أوربيين مستوطنين للمنطقه ، وأثر ذلك فى تغيير معالم المنطقة الجغرافية خاصة على المستوى السكانى بصورة غيرت ماكانت عليه فلسطين منذ قرون عديدة خلت من قبل مقدم الغزو الصليبى للمنطقة ، منذ القرن السابع الميلادى / الأول الهجرى ، مما عكس خطورة موجة الغزو الصليبى الذى قدم ومعه مشروع للآستيطان .

خامساً : تعد الطبقة البورجوازية هى التى قام على كاهلها عبء حركة الاستيطان فى مستوطنة البيرة الصليبية وهي طبقة اتسمت بنشاطها الاقتصادي الزراعي، والحرفي، وشجعها على القيام بذلك الدور تلك التسهيلات التى قدمت لها بالإضافه إلى حرص المملكة الصليبية على توفير الأمن لها من خلال تشييد القلاع، ومساهمة فرق الرهبان الفرسان مثل الاسبتارية والداوية وغيرها ، فإذا أضفنا إلى ذلك كله تدفق حركة الهجرة الأوربية إلى الشرق اللاتينى؛ أدركنا العوامل التى ساعدت على نشأة وتطور مثل تلك المستوطنات الصليبية .

سادساً : أثبت البحث الصلة الوثيقة بين حركة الاستيطان الصليبى فى فلسطين فى القرن الثانى عشر الميلادي وحركة الاستيطان الصهيونى فيها فى القرن العشرين على نحو يؤكد أن تلك المنطقة ذات الاهمية الجغرافية، السياسية الكبيرة كانت محطاً لأطماع القوى الاستعمارية وسيطاً وحديثا ، ولذلك حرص المؤرخون الاسرائيليون المحدثون على دراسة الحروب الصليبية ومظاهر الاستيطان خلالها؛ من أجل الافادة منها فى دعم مشروعاتهم التوسعية الحالية [١٥٧]

ذلك عرض لمستوطنة البيرة الصليبية خلال المرحلة من ١١١٥ – ١١٨٧م/ ٥٠٩ – ٥٨٣هـ .

الهوامش

(١) عن سقوط بيت المقدس فى قبضة الصليبين أنظر :

Anonynous" The Deeds of The Franks and other pilgrims, Trans ..by R. Hill , New york 1962 , p.51 , Fulcher of Chartres , A History of The Expedition to Jerusalem, Trans . by Rita Rian, Univ . of Tennesse U.S.A. 1969 , p. 122 , Raymond d, Aguilers in peters , The First Crusade Chroniclevs of Fulcher of Chartres and other Source Materials , pennsylvania 1971, p. 209

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز • ط• بيروت ١٩٠٨ م، ١٣٧

Hagenmeyer, Chronologie de la premiere Croisade , R.O.L. , T. v11 , Annee 1899 , p. 477 – 478 .

Goitein , Contemporary letters on the Capture of jerusalem by the Crusaders , J.J,S., vol.x , 1952 , pp . 162 – 177.

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ط• الكويت ١٩٩٣م صــ ١٢٩ ، عليه الجــرورى ، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، ط • القاهرة ١٩٩٩ م ،صــ٢٩٠

اسيمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمية ، ت • حسن بيومى ، ط • القاهرة ٢٠٠١م صــ ٥٢.

(٢) يوحنا أوف ورزبرج ، وصف الأراضى المقدسة فى فلسطين ، ت• سعيد البيشاوى ، ط • عمان ١٩٧٩ م، ص ١٨٥ – ص ١٨٦ •

ابراهيم خميس ، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط • الاسكندرية ٢٠٠٢ م، صـــ٤٣ •

(٣) محمود الحويرى ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالــث عشـــر م. ط. القــاهرة ١٩٧٩م صـــ٦٩.

(٤) عبد الرحمن زكى ،" القلاع فى الحروب الصليبية " ، المجلة التاريخية المصرية م (١٥) ، عام ١٩٦٩م، ص ٥٣

Mayer , The Crusades , Trans. By John Gillingham , Oxford 1987, p . 150.

(٥) أنتونى بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ت . محمد غسان سبانو ونبيل الجيرودى ، ط . دمشق ١٩٨٥، ص ١١٤

(٦) عبد الرحمن زكى ، " العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين " المجلة التاريخية المصرية م (٧) ، عام ١٩٥٨ م ص ١٢٤ .

وأيضا : أحمد رمضان ،" حول وسائل الصراع المسلح الاسلامى الصليبى فى العصور الوسطى " مجلة المستقبل العربى ، العدد (١٠٢) أغسطس ١٩٨٧م • ص ٧٩ .

(٧) مر الطريق المذكور بمناطق جبلية وعرة وامتد نحو ٦٧ ك • م وبدأ من باب يافا بغرب بيت المقدس ، ومر بمناطق متعددة مثل دير ياسين، وأبو غوش ، والرملة ، وأقام الصليبيون عدة قلاع على مدى الطريق المذكور من

أجل حمايته ، عنه أنظر : . Daniel, pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land , trans
by Wilson , p.p. T.s. vol. IV , London 1895 , p.g

وكذلك هذه المراجع : سيد فرج ، " القدس عربية إسلامية "، الدارة ، العدد (٣) ، السنة (٨) ، يناير ١٩٨٤ م، ص ١٢ ، على السيد على ، القدس فى العصر المملوكى ، ط ، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٢١٣ ، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبى السياسة ، المياه ، العقيدة ، ط، القاهرة ٢٠٠١ م، صـ ٦٥ ، حاشية (٣٤) ، وعن وصف أحد الرحالة الأوربيين لذلك الطريق أنظر :

Saewulf , pilgrimage of Saewulf , Trans . by W.R. Brownlow , p.p. T.S., vol . IV, London 1889 , P. 9.

وهذه الدراسة المهمة : سعيد البيشاوى، " المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجه الصليبين ٤٩٢- ٥٨٣ هـ / ١٠٩٩ – ١١٨٧م " ، ضمن مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩١ – ٦٩٠ هـ ،ط، جامعة اليرموك ٢٠٠٠ م، صـ ٢٢٠ .

(٨) سعيد عاشور ، " ملامح المجتمع الصليبى فى بلاد الشام " مجلة المستقبل العربى ، العدد (١٠٢) اغسطس ١٩٨٧م، صـ ٢٧ .

والبولانى Pullani ، هم الأبناء المنحدرون من زيجات مختلفة بين الفرنجه، وعناصر المسيحيين الشرقيين مثل الأرمن واليعاقبة، والسريان ، ويلاحظ كثرة تلك الزيجات فى المدن ، ومن أمثلة البولانى نذكر الامير الصليبى جوسلين الثانى كونت الرها الذى فى عهده سقطت الرها عام ١١٤٤م / ٥٣٩ هـ . ويلاحظ أن تلك الطبقة تأثرت بعادات وتقاليد المسلمين فى حياتهم العائلية ونجد أن المؤرخ الصليبى جاك دي فترى Jacques de vitry اتهم عناصرها بالتخنث والميل إلى حياة الرفاهية ، ووصفهم بأنهم كسالى ، وجبناء ، وحملهم مسئولية فشل المشروع الصليبى ، عن البولانى أنظر :

جاك دى فترى ، تاريخ بيت المقدس ، ت . سعيد البيشاوى ، ط عمان ١٩٩٨ م ، ص ١٧ ، حاشية (٣)، محمود الحويرى ، المرجع السابق، صـ٨٠ – صـ ٨٨ ، عليه الجنزورى ، إمسارة الرها الصليبية ، ط ، القاهرة ١٩٨٦ م، ـ ٣٣٣ – ٣٣٤ .

(٩) ميخائيل زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ت، إلياس شاهين ، ط، موسكو ١٩٨٦م، صـ١٥٦ .

(١٠) أنظر على سبيل المثال :

ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، م(٢)، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط ، دمشق ، ١٩٥١ م ، خاصة ما أورده من منشآت عامة فى خطط المدينة .

وأيضاً : محمد مؤنس عوض ، " الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية ٥٤١ – ٥٦٩ هـ / ٦،١١ – ١١٧٤ م" ، الدارة ، العدد (٣) ، السنة (١٦) ، عام ١٤١١ هـ ، ص ٧٢ – ص ٩٢ .

(١١)عن ذلك أنظر : فتحى عبد الله فياض ، " فلسطين الموقع والموضع دراسة جيوبولوتيكية " ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ ، إشراف أ .د.حامد زيان ، ط ، القاهرة ١٩٩٦م ، صـ٣٩ ، شكرى مقبل ،

الأحوال السياسية والحضارية فى فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأولى ، رسالة ماجستير غير منشـــورة ، كلية الاداب جامعة الملك سعود بالرياض عام١٤٠٢هـــ، صـــ٩

(١٢)عن تلك الزاوية أنظر دراسة سميل المهمة :

Smail The International status of the latin Kingdom of Jerusalem 1150 . 1192" .in the Eastern Mediterranean lands in the period of the Crusades ed. Peter M. Holt, Warminister 1977, 11 . 23 – 43

(١٣) عن تلك القلاع أنظر :

أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودي سلان ، ط ٠ باريس ١٨٤٠م صـــ ٢٦٠ – صـــ٢٦١ ، ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل، ط٠ القـــاهرة ١٩٦١ م ، صـــ ٨٥، أبو الفرج العش، آثارنا فى الأقليم السورى ، ط٠ القاهرة ١٩٦٠م، صـــ٩٤، علـــى عـــودة الغامدي " حصن بغراس ودوره الحربي فى عصر الحروب الصليبية " ، ندوة الإطار التاريخى للحملة الصليبية ، اتحاد المؤرخين العرب بإشراف أ.د. سعيد عاشور ، ط ٠ القاهرة ١٩٩٥م صـــ ٢٦١ – صـــ ٣١٤ ، سرور عبد المنعم ، الدور السياسى لحصن شقيف أرنون عصر الحروب الصليبية ، رســـالة ماجستير غـــير منشورة ، كلية الآداب – جامعة طنطا عام ١٩٩٧م ، صلاح عبد المنعم ، قلاع مملكة بيت المقدس الصليبية فى الفترة ١٠٩٩ – ١١٩٢م / ٤٩٢ – ٥٨٨ هـــ ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية البنات – جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م ، سميل، فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشـــر (١٠٩٧ – ١١٩٣) ، ت٠ محمد وليد الجلاد، ط٠ دمشق ١٩٨٢م ، ص٢٩٩ – ص ٣٦٤

Pringle . " Survey of Castles in the Crusader Kingdom of jerusalem 1989 prelininary Report " L ., xx 111 , 1991 , pp . 87 – 91 .

(١٤) عن فعاليات حامية عسقلان الفاطمية ضد الصليبيين أنظر :

Fulcher of Chartres, p. 265 – 266 Willium of Tyre, A History of Deeds done beyond the sea , vol. I , Trans by Babcock and Krey New York 1943 , p . 547.

(١٥) وقعت كفر مالك على بعد ٣ ك٠م من نابلس ، وحدها من جهة الشمال قرية ؟ وقرية ترمسعيا ، وخربـــة، وكفر ستينا ، واشتهرت بحقول الزيتون ، والكروم، واللوز ، والتين ، وقام الصليبيون بترحيل أهلها الى قرية بيت فوريك، وكانت الأخيرة من المنح الملكية لكنيسة الضريح المقدس ، ومن الملاحظ أن الملـــك الصـــليبى بلدوين الثانى (١١١٨ – ١١٣١م / ٥١٢ – ٥٢٥ هـــ) قام بتأكيد منح كفر مالك لتلك الكنيسة الزائعة الصيت ، عن كفر مالك أنظر :

Genevieve , le cartulaire du Chapitre du saint – sepulchre de Jerusalen , paris 1984 , p . 116 , Acte No (42).

مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ح٣ / ق١ ، ط ٠ عمان، صـــ ٢٠٩ – صـــ ٢١١ ، عبد الحفيظ محمد على، مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس الصليبية وأثرها على تـــاريخ الحركـــة الصـــليبية (١١٣١ – ١١٨٧م) ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ص ١٥٧ ، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقـــدس الصليبية ١٠٩٩ – ١١٨٧ ميلادية ، ط ٠ القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١٩٩ ، حاشية (٥٠).

(١٦) القبيبة ، مستوطنة صليبية وقعت شمال غربي بيت المقدس على بعد سبعة أميـال منـها ، وأحاطـت بها الأحراش، والأشجار ، ويقال ألها وقعت على ارتفاع ٨٠٠ م من مستوى سـطح البحـر ، ويلاحـظ أن الصليبيين اقاموها على أرض قرية بيت سوريك (Beitsuriq) وكانت المستوطنة مرتبطة بكنيسـة الضـريح المقدس ، ومنحت لتلك الكنيسة فى وقت مبكر في عهد جسودفرى دى بويـون ، وتم اسـتقرار المـزارعين الصليبيين فيها عام ١١٢٠م/ ٥١٤هـ وفيما بعد عندما انتصر الجيش الأيوبى على الصـليبيين فى معركـة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ؛ قام بتخريبها .

عن القبيبه أنظر :

Vincent , " les Monuments de qoubeibeh " , R.B., Vol .xl , 1941 , pp. 57 – 91.
Benvenisti , The Crusaders in the Holy Land , Jerusalem 1992 , pp . 224 – 227.

طالب الصوالى ، القلاع والحصون شمال فلسطين ، ط عكا ١٩٩٩م ، ص ٦٤ ، حاشية (٥).

(١٧) من أمثلتها البيرة الواقعة إلى الشمال من بيسان ، ووقعت قلعة كوكب الهوا Belvoiroبالقرب منها ، عن موقع البيرة المذكورة أنظر : سعيد البيشاوى ، نابلس الأوضاع السياسية والأجتماعية والثقافية والإقتصادية في عصر الحروب الصليبية ، ط . عمان ١٩٩٠م ، صـ٩٩ ، حاشية (٨٢).

وعن القلعة المذكورة أنظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشـيال ، ط . القـاهرة ١٩٦٤م، صـ٧٨ – صـ ٧٩ ، العماد الأصفهانى ، الفتح القسي فى الفتح القدسي ، تحقيق محمـد صـبيح ، ط . القاهرة ١٩٦٥م ، ص ١٢٥ ، ابن شاهنشاه الأيوبى ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، ط . القاهرة ١٩٦٨م ، صـ٦٥ – صـ٦٦ ، زكى نقاش ، العلاقات الأجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٥٨م، صـ٥٨ – ٥٩ .

وثمة موقع آخر بإسم البيرة، وهو حصن منيع مطل على الفرات من أعمال الجزيرة الفراتية الى الشرق مـن قلعة الروم ، عنه أنظر :

أبن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط . القاهرة ١٩٦٣م، صـ٧٠

Stevenson , the Crusaders in the East , Beirut 1968 , p . 239 , note (1)

ويلاحظ أن جى لسترانج يشير إلى وجود قرية فى منطقة المفازة بايران تسمى " بيرة " دون أداة التعريف عن ذلك انظر :

جى لسترانج ، بلدان الخلافه الشرقية ، ت . كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، ط . بـيروت ١٩٨٥م ، ص٣٦٥ .

أخيراً هناك منطقة عرفت بإسم البيرة فى الأندلس على بعد ميل وربع الميل شمال غربي غرناطة ، عنها أنظر :

ياقوت ، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، تحقيق وستنفيلد ، ط • بيروت ١٩٨٦م ، ص ٣٦٦ ، تسيبولد ، "البيرة" دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٤، ت• الشنتناوى وآخرين ، ط • القاهرة ب-ت، صـ١٧٣ محمد ابراهيم أبا الخيل، الاندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م ، ط • الرياض ١٩٩٥م، صـ٦٣ ، حاشية (٣٩)،عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال أفريقيا والأندلس ، ط • بغداد ١٩٨٧م ، صـ ٢١٧ - صـ ٢٣٠

(١٨) عنها أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، حـ١ ، ط • بيروت ١٩٧٩م ، ص٥٢٦ •

Fulcher of Chartres, p. 265.

Willian of Tyre, Vol .II , p.18 .

Theoderich , Description of the Holy places , trans. By Aubrey Stewart , p.p.t.s., vol. II , London 1896, p.60

John of wurzburg , Description of the Holy land , trans . by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol. II , London 1896, p.14 , not e(3)

Pringle , Magna Mahumeria (al- Bira) : The Archaeology of a Frankish New Town in palestine" in Crusade and Settlement , ed. Peter Edbury, Cardiff 1985, P.P. 148 - 168.

وهى دراسة أثرية فى المقام الاول ولها أهميتها فى كتابة تاريخ البيرة •

Abel ," les deux Mahumerie El. Birah, El qoubeibeh" R.B., T.xxxv , 1926, pp. 272 - 283.

وهى أول مقالة متخصصة تناولت البيرة والقبيبة غير أنها منذ ثلاثة أرباع قرن من الزمان •

Dussaud , ,Topographie Historique de syrie Antique et Medievale , Paris 1927, P. 387

Ellenblum , Frankish Rural Settement in the latin kingdom of Jeruslem, Cambridge1998.

وتعد من أهم الدراسات الحديثة التى تناولت مستوطنة البيرة ومستوطنات صليبية أخرى.

Hamilton, The Latin Church in the Latin states , london 1980 , p. 91 , p.142

Le Strange , Palestine under the Moslems , Beirut 1965 , p 423 .

مرمرجي الدومنيكي، بلدانية فلسطين العربية ، ط. بيروت ١٩٨٧م، صـ ٧٢.

(١٩) William of Tyre Vol.II , P. 18

(٢٠) ميخائيل زابوروف، المرجع السابق ، صـ ١٥٤.

(٢١) Pringle ,e.P. 148.

جوناثان رايلي سميث، الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠، ت.صبحي الجابي،ط.دمشق ١٩٨٤م، صـ٤٨١.

(٢٢) Runciman, A History of The Crusades , Vol. III, Cambridge 1978, P.170

(٢٣) Theoderich, P. 60.

(٢٤) John of Wurzburg,P. 14 , note (3), (24) Abel, P. 275

Tibble, Monarchy and lordship in The Latin Kingdom of Jerusalem 1099-1291, Oxford 1998, P. 78.

(٢٥) كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ت.أحمد الشيخ، ط. القاهرة ١٩٩٥م. ص ٢١٥ ويلاحظ هنا أن الصليبيين عندما حاصروا الطاكية أسسوا عندها حصناً سمىٌ La Mahomerie وهناك من يقرر أن تلك الكلمة المذكورة مشتقة من كلمة فرنسية قديمة تعنى مسجد Mosque.

عن ذلك أنظر :

Raymond d' aguilers, Historia Francorum Qui Ceperunt Iherusalem, Trans. by John HughHill and Laurita L. Hill, The American Philosophical Society, Philadelphia 1963 P.44, note (14)

والترجمة العربية : تحت عنوان : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. حسين عطية،ط. الأسكندرية ١٩٩٠م ، صـ ١١٦، حاشية (١٤)

جوناثان رايلي سميث الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ،محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة١٩٩٩م، صـ ١٢٩.

(٢٦) Abel,P. 275

(٢٧) سعيد البيشاوي ، نابلس ، صـ ٩٩.

(٢٨) Theoderich, P.60.

وأيضاً : يوحنا أوف ورزبرج، وصف لأراضي المقدسة في فلسطين،ت.سعيد البشاوي ، ط. عمان ١٩٩٧م. صـ ٤٦، حاشية (٢).

(٢٩) طالب الصوالي ، المرجع السابق ، صـ٦٤

(٣٠) Benvenisti, P. 223

(٣١) عن ذلك بالتفصيل أنظر:

محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية السياسة ، المياه، العقيدة ، صـ ٦٩- صـ ٨٩.

(٣٢) Pringle, P. 148

(٣٣) من أمثلة ذلك ماورد لدى ثيودريش أنظر: Theoderich, P. 60.

(٣٤) عن جود فري دي بويون أنظر: ص٣٨-٣٩ حاشية (١٧) .

(٣٥) Genevieve, La Cartulaire du Chapitre de Saint Sepulchre de Jerusalem, Paris 1984, Act 26, P.P. 86-88

(٣٦) Prawer, Crusader Institutions, Oxford 1980, P. 126
Hamilton, P. 91

(٣٧) حاتم الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، صـ٥٩.

(٣٨) Prawer, Crusader Institutions, P. 126

(٣٩) Ruhricht, Regesta Regni

Hierosolymitani, Innsbruch, P. 2

Pringle,P. 168

Prawer, Crusader Institutions, P. 126

(٤٠) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنيسية في مملكة المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م) ، ط. الأسكندرية ١٩٩٠م، صـ٢٨٣.

(٤١) Pringle, P. 148.

(٤٢) Prawer, P.132

(٤٣) Pringle, P. 148

ويعتبر الباحث طالب الصوافي أن ذلك العام اكتمل فيه بناء مستوطنة السبيرة الصليبية ، أنظر: القلاع والحصون، صـ ٦٤، مع عدم إغفال وجود بعض المرافق فيها اكتملت بعد ذلك التحديد.

(٤٤) Prawer , P. 132

(٤٥) علي السيد علي ، " ملامح الجانب العربي الإسلامي في المواجهة ضد الغزو الفرنجي" ، مجلة المستقبل العربي، العدد (١٠٢)، أغسطس ١٩٨٧م، صـ٥٠.

(٤٦) Benvenisti , P. 19

سرور عبدالمنعم ، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١-١١٤٣م/ ٥٢٦-٥٣٨هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م ، صـ٩٩.

(٤٧) قرية لامبرت Casale lamberti؛ تعد إحدى قري مدينة عكا ، ويلاحظ أن الصليبيين أطلقوا عليها اسم قرية إمبرت Casale Imbert أو قرية هيبرت Casale Hubert وهي تسمية ارتبطت بالفارس الصليبي الذي تسلمهاعقب الإستيلاء علها ، وذلك في عام ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ ، ويلاحظ أن الملك الصليبي بلدوين الثاني أقام منطقة إستيطانية في تلك القرية وذلك في عام ١١٥٣م/ ٥٤٨هـ ، وجدير بالذكر ؛ أنها عرفت بأسماءأخرى مثل قرية الزيب ez-zib ،وكذلك تل أكزيب Tel Achzib ، ووردت لدى الصليبيين أيضاً

باسم ziph Siph ، وموقعها الجغرافي شمالي عكا على بعد أربعة عشر ك.م منها وحدها من الشمال قرية رأس الناقورة، ومن الشمال الشرقي قرية البصة، ومن الجنوب قرية أم الفرج ، عنها أنظر:

بورشارد من دير جبل صهيون ، وصف الأرض المقدسة ت. سعيد البيشاوي، ط. عمان ١٩٩٢، صـ ٤٠، حاشية (٢).

Ruhricht,Regesta, PP. 10-11.

Benvenisti, PP. 221-223.

Tibble, P. 26, P 76-80

السيد الباز العريني، " نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين في مملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي " ، حوليات كلية الآداب – جامعة القاهرة، م (٢٠)، جـ (٢) ديسمبر عام ١٩٥٨م ، صـ ٦٢، حاشية (١٠).

(٤٨) Hamilton, P.91.

(٤٩) Ibid , P. 91.

(٥٠) Benvenisti ,P. 19.

(٥١) Ibid ,P. 223.

(٥٢) Pringle P. 149.

ويخطئ بنفنستي عندما يعتبر القلعة والمركز الإداري شيئاً واحداً ، إذ لكلٍ موقعه ودوره في حياة تلك المستوطنة الصليبية ، أنظر رأيه: Benvensiti, P. 223

(٥٣) Pringle, P. 149.

(٥٤) Benvenisti P. 223

(٥٥) وادي يوشفات ؛ وقع إلى الشرق من بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقاً ، وجبل صهيون غرباً ، وخلال العصور الوسطى أطلق عليه المؤرخون أسماء متعددة ، مثل وادي جهنم، أو وادي مريم ، أو وادي النار ، أو وادي سلوان ، ووردت إشارات عنه لدى الجغرافيين المسلمين، والرحالة الأوربيين الذين زاروا تلك المنطقة خلال عهد السيادة الصليبية في فلسطين ، وحتى من بعد ذلك ، وقد احتوى ذلك الوادي على عدد من الأديرة المسيحية، عنه أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، م١ ، ط. بيروت ١٩٨٩م، صـ٣٦٢.

ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، جـ٢ ، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٥٦م، صـ٢٨٨

الهروي ، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق سورديل ضمن كتاب جميل العسلي ، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، ط. عمان ١٩٩٢م، صـ١٧٧

Saewulf , P. 18

John of Wurzburg, P. 51

William of tyre, Vol I, P. 341.

Burchard of Mont Sion, Trans, By Aubrey Stewart, P.P.T. S. , Vol. XII, London 1896, P. 69 , P. 71, P. 72

Ludolph Von Suchem, Description of The Holy land , Trans, by Aubrey Stewart, P.P. T.S., Vol. XII, London 1895,P. 87, P.110.

(٥٦) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية ، صـ ٢٨٣.

(٥٧) نفسه ،نفس المرجع والصفحة.

(٥٨) Benvenisti, P. 223

(٥٩) حصن الأكراد Crac des Chevaliers ، شيد على طريق القوافل الواقعة في الشمال من حمص ، وحماه من جهة، وطرابلس وطرطوسس من جهة أخرى ، وذلك في وادي النهر الكبير، وهو بالتالي وقع على بعد ٢٠٠ك.م. من دمشق ، ١٤٠ك.م. من طرابلس، ٤٠ك.م. من حمص، وهيأ له ذلك الموقع الإستراتيجي الفريد أن يكون بمثابة نقطة عسكرية خطيرة تمكنت من الممر الواقع بين سهول نهر العاصي والبحر المتوسط ويلاحظ أن الصليبيين سيطروا عليه حوالي عام ١١١٠م / ٥٠٣هـ ، وتم إسقاطه في قبضة المسلمين في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م / ٦٦٩هـ. عن حصن الأكراد أنظر:

ابن شداد، المصدر السابق، جـ٢، صـ١١٥، شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن، ط. بطرسبرج١٨٣٥م. صـ٢٨٠، مصطفى طلاس ووليد الجلاد ، قلعة الحصن حصن الأكراد، ط.دمشق ١٩٩٠م، مرفت سعيد ، حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي-الإسلامي (٥٨٩-٦٩٠هـ /١١٩٣-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب –جامعة الأسكندرية عام ١٩٩٢م، مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد ، ط. دمشق ١٩٨٤م، صـ٧٦-صـ٧٨.

King, " The Taking of le Krak des Chevaliers in 1271, A., Vol. XXIII, 1949, PP. 83-92.

Rihuoui, le Crac des Chevaliers, Gurde Touristique et Archaeologique, Damas 1975.

(٦٠) حصن المرقب Margat ، وقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بانياس بالقرب من ساحل البحر المتوسط ، ويلاحظ وجود منطقتين باسم بانياس الساحلية ، ثم الداخلية والأخيرة كانت في مرتفعات الجولان، وقد ورد اسمه لدى الصليبيين على أنه Castrum Margatum ، وتم بناؤه من أحجار سوداء قديمة، واحتوى على أسوار مزدوجة تتخللها الأبراج المستديرة الشكل ، ويلاحظ أن هيئة الإسبتارية تولت أمر الدفاع عن الحصن المذكور، واستمر قائماً في أيديهم إلى أن أخضعه المسلمون في عهد المنصور قلاوون عام ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ، عن ذلك أنظر:

ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق إلياس سركيس، ط. بيروت ١٩٠٩م، صـ٢٦٧،

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ٤ ، ط. القاهرة ١٩١٣م، صـ ١٤٥، مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك لشر زترشتين، ط. ليدن١٩١٩م، صـ٢٤٢، مصطفى الحياري، " مدينة بانياس في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي" ، مجلة دراسات ، م(١٣)، العدد (١٢) عمان ١٩٨٦م ، صـ ١٦١-صـ١٨٨، آمال هاشم ، المرقب وقلعتها ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م/ ٤٨٧-٦٩٠هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الأسكندرية عام ١٩٨٧م.

(٦١) Benvenisti, P. 224

(٦٢) Theoderich, P. 60

وبرج داود؛ برج ضخم شيد بصورة جعلته مرتفعاً للغاية واتخذ الشكل المربع، ويظهر للمشاهد على أنه مجرد واحد من أسفله إلى قمته ، ويحتوي على خمس بوابات ومائتي درجة للوصول إلى قمته، وتم تخزين كميات كبيرة من الحنطة فيه ، وهناك من يقرر صعوبة الإستيلاء عليه، وقد شكل برج داود الدفاع الرئيسي عن مدينة بيت المقدس ، وفرضت عليه حراسة مشددة مثلما وصف من جانب دانيال الروسي ، وأوليا جلبي ، ويلاحظ أن البرج المذكور ورد ذكره في العديد من كتب الرحلات من العصورا لوسطى سواءً الرحالة المسيحيين أو اليهود.

عن برج داود أنظر:

دانيال الروسي، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة (١١٠٦-١١٠٧م) ، ت. سعيد البيشاوي، وداود أبوهدية، ط. عمان ١٩٩٢م. صـ ٥٧- صـ٥٨،

أولياجلبي،سياحتنامه، ت. كامل العسلي، ضمن كتاب كامل العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، ط. عمان ١٩٩٢نصـ٢٢٤

Samuel Ben Samson, Itinerary of Rabbi Samuel Ben Samson, In Adler, Jewish Travellers In The Middle Ages, New York 1987, P. 104.Petachia of Ratisbon, In Adler, Jewish Travellers in The MIddle Ages, New York 1987, P. 90.

Jacob Ha Cohen, Itinerary of Rabbi Jacob Ben R. Nathaniel

Ha Cohen ,In Adler, Jewish Travellers In The Middle Ages, New York 1987, P. 98

وأيضاً: مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، ط. عمان ١٩٩٤م. صـ١٥.

(٦٣) سعيد البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، صـ٢٨٥.

(٦٤) علي أحمد السيد، " وثيقة عهد البابا ألكسندر الثالث لدير صهيون في القدس عام ١١٧٨م(عرض – دراسة – تحليل) ضمن أعمال مؤتمر فلسطين على ضوء أوراق البردي ، معهد الدراسات البردية والنقوش ، جامعة عين شمس المنعقد عام١٩٩٨م، صـ ٧،حاشية (١٥).

وقد أورود الباحث الأثري برنجل صورة لبقايا تلك الكنيسة في بحثه السالف الذكر.

(٦٥) Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in The Middle Ages, London 1982, P. 84.

(٦٦) سعيد البيشاوي ، المتلكات الكنسية ، صـــ ٢٨٦–صـــ٢٨٧.

(٦٧) نفسه ، نفس المرجع،صـــ٢٨٧.

(٦٨) Ellenblum, " Construction Methods in Frankish Rural Settlement", in The Horns of Hattin , ed. By B. Z. Kedar, Jerusalem 1992, p. 176.

(٦٩) Benvenisti , P. 223.

ويلاحظ أن كافة المنشآت الصليبية الأخرى حرص مخططوها على وجود مصدر للمياه لها مثل الأنهار والينابيع والعيون، والآبار، ونجد مثالاً دالاً على ذلك كما في حالة منطقة دير البنات Dayr al Banat والذي اطلـــق عليه الصليبيون Aqua Bella والذي وقع تماماً جنوب نبع عين حميد.

عن ذلك أنظر:

Pringle, " Aqua Bella: The Interpretation of A Crusader Courtyard Building" in The Horns of Hattin, ed. by B.Z.Kedar, Jerusalem 1992, P.150.

أنظر أيضاً: Benvenisti, P. 241-245

(٧٠) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـــ١، ط. القاهرة ١٩٩٦م، صـــ ٤٩٢– صـــ٤٩٤.

(٧١) محمود الحويري ، المرجع السابق صـــ ٨٣.

(٧٢) Mayer, The Crusades, P. 152

(٧٣) محمود الحويري، المرجع السابق، صـــ٨٤.

(٧٤) نفسه ، نفس المرجع ، صـــ٨٣.

(٧٥) Benvenisti, P. 223

ويتفق هاملتون مع ما ذهب إليه بنفنستي من حيث القول بأن ذلك التعديل الخاص بالقانون المذكور حـــدث بعد عشرين عاماً من عهد جود فري دي بويون، وبالتالي يكون ذلك خلال عهد الملـــك بلـــدوين الثـــاني (١١١٨–١١٣١م/٥١٢–٥٢٥هـــ)

عن ذلك أنظر:

Hamilton, P. 142.

(٧٦) محمود الحويري، المرجع السابق، صـــ٨٤.

(٧٧) Prawer, " Social Classes in The Latin Kingdom: The Franks",In Setton , A History of The Crusades, Vol. V, Wisconson 1985, P. 164.

(٧٨) Ibid, P.165.

(٧٩) Ellenblum, Frankish Rural, P. 72.

(٨٠) Ibid, P. 72.

(٨١) عن تلك الوثيقة أنظر: Genevieve, Act. No 117 وكذلك الأسماءالواردة فيها في ملحق رقم (١) في نهاية البحث.

(٨٢) Ibid, Act. No 117

(٨٣) منطقة النبي صموئيل أو جبل أرماثيم The Mountain of Armathem ؛ وقع بالقرب من بيت المقدس ، على يمين الطريق القادم من يافا، وفي هذا الجبل ضريح النبي صموئيل – كما يعتقد اليهود – وقد اطلق عليه الصليبيون اسم Monte Joie أي جبل الأبتهاج ، ويرتفع الجبل عن سطح البحر بـــ ٨٨٥ متراً = ٢٩٥٠ قدماً ، وعرفت المنطقة المذكورة في التوراه باسم جبل شيلو.

عن منطقة جبل صموئيل أنظر : دانيال ، المصدر السابق ، صـــ ٥٠، حاشية (١)،بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ت. عزرا حداد، ط. بغداد ١٩٤٩م ، صـــ ١٠٩

شفيق جاسر ، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحـــروب الصـــليبية ،ط. عمـــان ١٩٨٩م صـــ ٢٤

Montjoie, Studies in Crusade History In Honour of Hans Eberhard Mayer, ed. By Benjamin Z. Kedar, Jonathan Riley-Smith and Rudolf Hiestand ,Hampshire 1997, P. x

(٨٤) Ellenblum, Frankish Rural, P. 81

(٨٥) Ibid, P. 78

(٨٦) Benvenisti, P. 223

(٨٧) Pringle, P. 148

(٨٨) Prawer, The latin Kingdom, P. 84, Crusader Institutions, P. 127.

(٨٩) Prawer, The Latin Kingdom, P. 84.

(٩٠) عن ذلك أنظر:

ابن جبير ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٠م صـــ ٢٧٦

نقولا زيادة، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٨٦م، صـــ ١٦٨، محمـــد مـــؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمـــن الحـــروب الصـــليبية، ط. القـــاهرة ١٩٩٥م، صـــ٢٨٨.

(٩١) على السيد على ، ملامح الجانب العربي الإسلامي ، صـــ ٥٠.

(٩٢) Ellenblum, Frankish Rural, P. 82

(٩٣) Ibid, P. 82

(٩٤) Ibid, P. 82

(٩٥) Prawer, The Latin Kingdom , p. 84, Crusader Institutions, P. 128.

(٩٦) Prawer, The Latin Kingdom, P. 84.

(٩٧) Pringle, P. 148.

(٩٨) Benvenisti, P. 223.

(٩٩) Hamilton, P. 91.

(١٠٠) Benvenisti, P. 224.
Prawer, Crusader Institutions, P. 128

(١٠١) Benvenisti, P. 224.

(١٠٢) Ibid, P. 223

(١٠٣) Prawer, Crusader Institutions, P. 128

(١٠٤) عن أحداث زلازل عام ١١١٧م/ ٥١٠هـ انظر:

Ruhricht, Geschichte des Konigrich Jerusalem, Innsbruch 1898, P. 118.

(١٠٥) عن أحداث زلازل عام ١١٣٨م/ ٥٣٣هـ انظر:

العماد الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تحقيق كلود كاهن B.E.O., T. VII – VIII, Année 1937-1938

(١٠٦) عن أحداث زلازل المرحلة من ١١٥٦إلى ١١٥٩م / ٥٥١-٥٥٤هـ انظر:

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٨٣م، صـ ٥١٤، التـوني بـردج، المرجع السابق ، صـ ١٦٥، حسين مؤنس ، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، ط. القـاهرة ١٩٨٤م، صـ ٢٦٠، محمد مؤنس عوض ، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط. القـاهرة ١٩٩٦م، صـ ٧٩-صـ٩١.

(١٠٧) عن أحداث زلازل عام ١١٧٠م/ ٥٦٥هـ انظر:

العماد الأصفهاني ، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٧٩م، صـ ٤٧، ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد، ط. بيروت ١٩٧١م صـ ١٨٩، السيوطي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين ، ط. بيروت ١٩٨٧م، صـ ١٩٢-صـ ١٩٣، محمد مؤنس عوض، الزلازل، صـ ٩٥-صـ١٠٩.

(١٠٨) Fulcher of Chartres, P. 210

(١٠٩) Ibid, P. 218

(١١٠) William of Tyre, Vol. P. 535

Richard , " Agricultural Conditions in The Crusader States " In Setton, AHistory of The Crusades, Vol, V , Wisconson 1985, P. 263.

عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الأسكندرية ١٩٥٨م ، صـــ ٩٦، محمد مؤنس عوض ، إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية دراسة عن المرحلـــة مـــن ١١١٤إلى ١١٥٩م/٥٠٩-٥٥٤هـــ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

(١١١) على السيد على ، ملامح الجانب العربي الإسلامي ، صـــ ٥١ .

(١١٢) Theoderich, P. 60.

(١١٣) Prawer, Crusader Institutions, P. 127, The latin Kingdom, P. 127

ويلاحظ أن بنفنسق جعل عدد الأسرات (٩٢) بدلاً من (٩٠) كما ذكر براور في كتابيـــه المـــذكورين ، وبالتالي صار المجموع لديه ١٤٢ أسرة، عن ذلك أنظر:

Benventisti, P. 223

غير أن هانز ماير دعم ما أخذ به براور وجعل عدد الأسرات التي سكنت مستوطنة البيرة ١٤٠ أسرة ، عـــن ذلك أنظر : Mayer, P. 152.

ومن الجلي البين أن الفارق بين الرقمين محدود ، ومن الصعب المفاضلة بينهما خاصة مع إدراكنا أن الأرقام من ذلك العصر – بصفة عامة – تعد تقريبية.

(١١٤) عن سقوط عسقلان في قبضة الصليبيين أنظر :

Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusade , Trans. by Tritton, j. R. A. S. , 1933, P. 30.

William of Tyre , Vol, II, PP. 184-234.

ابن القلانسي ، المصدر السابق ، صـــ ٣٢١ .

محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القـــرنين ١٢،١٣م، ط. القـــاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م ،صـــ ١٩٨٥– صـــ١٨٦.

(١١٥) عن هذه الوظيفة أنظر:

Benvenisti, P. 223, Abel, P. 273, Mayer, P. 152.

Smail , The Crusaders in Syria and The Holy land, London 1973, P. 85.

(١١٦) Benvenisti, P. 223

(١١٧) Abel, P. 273

(١١٨) Benvenisti, P. 223

(١١٩) Mayer, P. 152

(١٢٠) Prawer, Crusader Institutions, P. 130

(١٢١) Prawer, The latin kingdom, P. 84.

وعن تلك المحاكم أنظر؛ محمد الحافظ النقر، "التغيرات الإدارية والعمرانية والسكانية في بيت المقدس في فترة الإحتلال الفرنجي (الصليبي) (٤٩٢-٥٨٣هـ/ ١٠٩٩-١١٨٧م)"، ضمن كتاب بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي ٤٩١- ٦٩٠هـ، جـ٢، ط. جامعة اليرموك ٢٠٠٠م، صـ ٦٧٤.

(١٢٢) La Monte, Feudal Monarchy In The Latin Kingdom of Jerusalem, New York 1970, P. 107

(١٢٣) Prawer, Crusader Institutions, P. 131

(١٢٤) La Monte, P. 107

ومن أمثلة ذلك، أن عيد القديس يوحنا المعمدان St. John The Paptist يوافق يوم ٢٤ يونيو ، كذلك فإن عيد القديس ساباس St. Sabas تحدد له يوم ٥ ديسمبر من كل عام، كذلك فإن عيد القديس يوحنا المتصدق St. John the Almsgiver تحدد له يوم ١١ نوفمبر ، أما القديس جورج St. George فكان عيده يوافق يوم ٢٣ أبريل ، ويلاحظ أن من أولئك القديسين من كان حامياً لدولة ما مثل القديس جورج الذي عد القديس الحامي لإنجلترا وصاح الجنود الإنجليز باسمه قبيل الصدام مع الجيش الأيوبي في ظروف معركة أرسوف ١١٩١م/ ٥٨٧هـ ، عن ذلك أنظر:

Attwater , The Penguin dictionary of Saints , London 1977, PP. 301, 191, P.148

جوان كوماي ، دليل إسرائيل ، ت. هيئة الإستعلامات، ط. القاهرة ب – ت ، صـ٢٤٨-صـ ٢٤٩.

محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف١١٩١/٥٨٧هـ، ط. القاهرة ١٩٩٧م. صـ٥٨حاشية (٧٠)

(١٢٥) Prawer, Social Classes , P. 58

(١٢٦) Ibid, p.58

(١٢٧) عن موقعها الجغرافي أنظر:

ابن خرداذبة؛ المسالك والممالك ، تحقيق دي جويه، ط. ليدن ١٨٨٩م، صـ ٧٩، ياقوت ، معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد ، ط. لبزج ١٨٨٩م ،صـ٧٧٦، شيخ الربوة الدمشقي، المصدر السابق ، صـ٢٠١ ، حسن عبدالقادر ، أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين ، ط.عمان ١٩٧٣م، صـ١٩

Le Strange , P. 414.

(١٢٨) جوناثان رايلي سميث، الإسبتارية ، صـ٤٨١.

(١٢٩) Fetellus, Description of The Holy land, Trans. By Macpherson, P.P. T.S., Vol. V , London 1897, p. 14 , note (2).

(١٣٠) محمد مؤنس عوض ، وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة مــن ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ، دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط – جامعة عــين شمس عام ١٩٩٥ م.

(١٣١) Prawer, The latin Kingdom of Jerusalem, P. 265.

Bradford, The Shield and The Sword, The Knights of St. John Jerusalem, Rhodes and Malta, New york 1975, P. 25

(١٣٢) جوناثان رايلي سميث ، المرجع السابق ، صـ٤٣٤.

(١٣٣) نفسه ، نفس المرجع ، صـ٤٣٥.

(١٣٤) نفسه، نفس المرجع ، صـ ٤٣٤.

(١٣٥) ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال، جـ٢ ، ط. بـيروت ب-ت، صـ٢١٠، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، جـ٣، تحقيـق سـامي الـدهان ، ط. دمشـق ١٩٦٩م، صـ٢١٠.

(١٣٦) Fulcher of Chartres, P. 265.

(١٣٧) William of Tyre, Vol. II, P. 18.

(١٣٨) Fulcher of Chartres , P.265.

(١٣٩) Ibid, P. 265.

(١٤٠) William of tyre, Vol. II, P. 18.

(١٤١) Fulcher of Chartres, P. 265.

(١٤٢) William of Tyre, Vol. II, P. 18

(١٤٣) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، صـ٢٨٥.

ويلاحظ أن ذلك الدور من جانب حامية عسقلان ضد مستوطنة البيرة الصليبية يثبت لنا إمكانية معارضة ما ذهب إليه سميل عندما ذكر أنه بعد عام ١١٢٣م/ ٥١٨هـ لم يقم الفاطميون باستخدام عسقلان كقاعـدة مطلقاً من أجل عمل رئيسي في فلسطين الصليبية، والواقع أن حملة عام ١١٢٤م / ٥١٩ هـ تؤكـد عـدم صحة ذلك التصور لأن المصادر التاريخية الصليبية توضح الأمر على أنه عمل بالفعل عسكرى رئيسي مـن خلال الحشد الذي أعد له وخاصة مع ملاحظة قرب البيرة من بيت المقدس .

أنظر رأيه:

Samail, "Crusader Castles of The Twelfth Century", E.H.R., Vol.P.140.

(١٤٤) William of Tyre, Vol. II, P. 374

وعن ذلك أنظر: ابن واصل ، المصدر السابق،جـ١،صـ١٩٨، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، جـ٢، ط. النجف ١٩٦٩م،صـ١١٢، قاسم عبده قاسم وعلى السيد على ، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، صـ٣٣.

(١٤٥) William of Tyre , Vol. II, P. 374.

(١٤٦) هادية دجاني شكيل، القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني العسقلاني (٥٢٦-٥٩٦هـ/١١٣١-١١٩٩م، دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، ط. بيروت ١٩٩٣م، صـ٢٤٤.

(١٤٧) ستانلي لين بول ، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ت.فاروق سعد أبو جابر ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، صـ١٠٢ ملكوم ليونز، صلاح الدين ، ت. على ماضي مراجعة لقولا زيادة وفهمي سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م، صـ٦٠.

(١٤٨) عن معركه حطين أنظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانيه ، ص ٧٥ – ص ٧٩ ، العماد الاصفهانى ، الفتح القسي فى الفتح القدسي،ط. القاهره ب-ت، ص ١٤ -ص٢٣، ابن واصل ، المصدر السابق ،جـ٢ ، صـ١٨٦ – ص١٩٤.

The Old French Continuation of William of tyre 1194-1197 in The Conquest of Jerusalem and The Third Crusade , Sources In Translation , ed. By P.W. Edbury, Hampshire 1996, PP. 158-163.

Kedar, "The Battle of Hattin Revisted", in The Horns of Hattin , PP. 190-207.

Melville and Lyons , : Saladin's Hattin letter" in The Horns of Hattin,PP. 208.-212.

ديفيد جاكسون ، "معركه حطين والاستيلاء على القدس" ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، صـ ٨٩– صـ١١٠، جوزيف نسيم يوسف، " معركة حطين خلفياتها ودلالاتها"، عالم الفكر م (٢٠) . العدد (١) أبريل – مايو – يونيو – ط الكويت

١٩٨٩م، صـ ٢٣٥ – صـ ٢٥١ قاسم عبده قاسم ،فى تاريخ الأيوبيين والمماليك. ط القاهرة ، ٢٠٠١م، صـ٥١ – صـ٧٦.

(١٤٩) ياقوت ، معجم البلدان، جـ١ ، ص ٥٢٦ .ويلاحظ أنه يقرر رؤية البيرة دون تحديد عام ذلك، ومن المفترض حدوث ذلك بعد عام ١١٨٧م / ٥٥٨٣ خاصة مع ملاحظة صعوبة دخول المسلمين لها وللمنطقة المجاورة لبيت المقدس مالم يكن من خلال تصريح خاص من الصليبين، ونجد ان برنجل يقرر حدوث ذلك عام ١٢٢٥ م دون أن يدعم ذلك القول.

أنظر: Pringle, P. 148

(١٥٠) عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، صـ ٢٠ .

(١٥١) عن الكيبوتزات أنظر : عبد الوهاب الكيالى ، الكيبوتز او المزارع الجماعية فى فلسطين، مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية، ط بيروت ١٩٦٦م.

خليل أبو رجيلي، الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث – منظمة التحرير الفلسطينية، ط.

١٩٧٠ م ، صـ٥١ – صـ ٥٨.

(١٥٢) عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، صـ ٢٠ .

(١٥٣) خليل ابو رجيلى ، المرجع السابق صـ . ٥١ .

(١٥٤) نفسه ، بنفس المرجع والصفحه ، أيضاً من صـ ٥٨ صـ ٧٤ .

(١٥٥) عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، صـ ٢٠ – صـ٢٦.

(١٥٦) عن التعريف بجهودهم فى مجال دراسة تاريخ الحروب الصليبية ، أنظر : قاسم عبده قاسم، رؤيه إسرائيلية للحروب الصليبية ،ط . القاهره ١٩٨٢ م.

محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، صـ٢٥٧ – صـ٢٩٣

Outremer Studies in The History of The Crusading Kingdom of Jerusalem, Presented to Joshua Prawer, ed. By R. Smail, H. Mayer, B. Kedar, Jerusalem 1982, PP. 7-13.

حيث نجد مؤلفات يوشع براور كاملة من خلال قائمة أعدها تلميذته المؤرخة سلفيا سكين Sylvia Schein

أيضاً: Cross Cultural Convergences In The Crusader Period, Essays Presented to Aryeh Grabois on his Sixty- Fifth Birthday, ed. By Michel Goodich, Sophia Menache and Sylvia Schein, New York 1995, PP. XVII-XXVII.

حيث نجد مؤلفات المؤرخ اريه جرابوا كاملة ،كذلك ،هناك دراسة هانز ماير ببليوغرافيا تاريخ الحروب الصليبية ، ط. ها نوفر ١٩٦٥ م، حيث يرد فيها أسماء عدد من الباحثين الإسرائيليين حتى العام المذكور.

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuges, Hannover 1965.

بالإضافة إلى النشرة السنوية التي تصدرها جمعية الحروب الصليبية والشرق اللاتينى بلندن Society for Crusades and The Latin East.

(١٥٧) من افضل الدراسات المتخصصه عن الزاويه المذكورة أنظر:

مروه أديب جبر ، "القدس تحت الاحتلال الاسرائيلى جغرافياً وديمغرافياً "، ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ مركز البحوث والدراسات التاريخية جامعة القاهرة عام ١٩٩٦م صـ ٢٨٩ –صـ ٣٣٢.

ميرون بنفنستى، الضفة الغربية وقطاع غزه بيانات وحقائق أساسية، ت . ياسين جابر، ط. عمان ١٩٨٧م صـ ١٥٣ – صـ١٩٦ .



— ٣ —

الإتجاهان الآسيوى والأفريقى

للتوسعات الصليبية، فى القرنين ١٢، ١٣م

يتناول هذا البحث ؛ الإتجاهين الآسيوى وكذلك الإفريقى وأثر كل منهما فى توسعات الكيان الصليبى، والعلاقة التبادلية بين الإتجاهين المذكورين على نحو كان له تأثيره الكبير على مسار تاريخ الصليبيين فى الشرق، بل وإخفاق الحركة الصليبية ذاتها على نحو أدى إلى طرد الصليبيين من بلاد الشام فى أخريات القرن الثالث عشر الميلادى.

والواقع ؛ أن المطالع لتاريخ الصليبيين فى بلاد الشام على مدى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، يلاحظ وجود ظاهرة على جانب كبير من الأهمية فى صورة الإتجاهات الجغرافية السياسية لتحركاتهم وتوسعاتهم الإستعمارية، وبداية ؛ من المقرر أن الصليبيات فى أحد مظاهرها تعد على المستوى القارى صراعا أوربيا–آسيويا؛ فمن غرب أوربا ظهرت الدعوة للحركة من خلال الجهد البارز للبابا أوربان الثانى[1] (١٠٨٨– ١٠٩٩م) فى مجمع كليرمونت بجنوبى فرنسا، واستقر الغزاة فى غربى آسيا فى صورة الإمارات التى أقاموها فى الرها، وأنطاكية، وبيت المقدس، وطرابلس، وقد حدث ذلك على مدى نطاق زمنى ممتد من عام ١٠٩٨م إلى عام ١١١٨م على اعتبار أن بوفاة الملك الصليبى المؤسس بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠–١١١٨م)، إكتمل دوره التأسيسى وتأكد لنا استقرار ذلك الكيان الصليبى وارتباطه الآسيوى الذى لا ينكر.

ومن الملاحظ ؛ أن المشروع الصليبى فى مرحلته الدعائية المبكرة ؛ نجده يركز على بيت المقدس الواقعة فى فلسطين فى غربى آسيا، وخير مثال دال على ذلك نجده فى خطاب البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت السالف الذكر فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م حيث تباكى على المدينة المقدسة لسقوطها فى أيدى الأتراك السلاجقة، واتهمهم بارتكاب المذابح المزعومة، وطوال الأعوام من ١٠٩٨ إلى ١١١٨م تدعم الوجود الآسيوى للصليبيين ؛ غير أن العام الأخير ونعنى به عام ١١١٨م شهد نقطة تحول فارقة ذات أهمية كبيرة فى تاريخ الكيان الصليبى فى الشرق ؛ ففى العام الأخير قام الملك الصليبى المذكور بحملته الشهيرة على مصر[2]، وقد اختلف المؤرخون فى دوافعها وأهدافها، وإن كان من المرجح أنها كانت ذات طابع استكشافى، وتمكن الصليبيون من خلالها من

الوصول إلى مصب فرع النيل فى دمياط[٣]، وتأكد لذلك الملك الوافر الأطماع والنشاط، كيف أن مصر الفاطمية على جانب من الثراء، وبالغة الضعف ؛ حيث لم تقابله مقاومة تذكر، ومن الممكن القول أن بلدوين الأول يعد الرائد الصليبى الأول للتوجهات الإفريقية، ومن الملاحظ أن الغزاة من قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان فكروا فى الإتجاه إلى مصر والإستيلاء على الإسكندرية والقاهرة ليكون ذلك الإنجاز مفتاح الإستيلاء على بيت المقدس[٤]، وكان ذلك التصور من قبل اتجاههم نحو المدينة المقدسة والإستيلاء عليها عام ١٠٩٩م، غير أنهم لم يقدموا على ذلك الأمر نظرا لقلة إمكاناتهم حينذاك، وأولوية الإستيلاء على بيت المقدس، ليصبح بلدوين الأول من بعد، صاحب الريادة لدى الصليبيين فى الوجهة الأفريقية. وهكذا ندرك أن عام ١١١٨م؛ يمثل العام الحاسم فى الإنطلاق من البعد الآسيوى– حيث مقر الكيان الصليبى– إلى البعد الأفريقى الذى كان يعنى بدايات التوسع الخارجى المستقبلى، وتأمين وجود الغزاة فى غربى آسيا بالإتجاه صوب الجنوب الغربى فى شمال شرقى افريقيا.

وواقع الأمر ؛ أن التوجه الأفريقى فى السياسة الصليبية التوسعية ارتبط بعدة اعتبارات، فهناك الإعتبار الخاص بوجود ملوك صليبيين أقوياء يتجهون صوب استكشاف إمكانيات التوسع الخارجى، ولا يكتفون بالحدود التى وصل إليها الملوك الأوائل خاصة مع تزايد الخبرة السياسية الإستعمارية (أى الإستخرابية) للصليبيين، وإدراكهم الأعمق لقوى الصراع المحلية فى المنطقة، ومدى فعالياتها وضعفها، ثم هناك ضعف مصر وهى الجار الجنوبى للكيان الغازى الدخيل، وكذلك هناك الإعتبارات الإقتصادية فى صورة السيطرة على مصادر المياه،وكذلك طرق التجارة الدولية المارة بإفريقيا، خاصة التوابل والذهب والرقيق، فى عصر وصف بأنه عصر الثورة التجارية التى امتدت من ١١٠٠– ١٤٠٠م، وهكذا يظهر لنا على نحو جلى الدور التاريخى للملك الصليبى عمورى الأول Amaury I (١١٦٣– ١١٧٤م) الذى قام بعدة حملات على مصر ذات ثقل عسكرى وسياسى كبير غير مسبوق فى الصراع الصليبى– الإسلامى حتى ذلك الحين، ودخل فى تنافس محموم مع الملك نور الدين محمود[٥]، وإن أخفقت جهوده فى تحقيق أهدافه، وحسم الأمر فى ختام المطاف لمهندس حركة الجهاد الإسلامى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى، ونعنى به؛ نور الدين محمود ومن بعده تلميذه المجاهد الكبير صلاح الدين الأيوبى.

ولا ريب ؛ فى أن ما قام به الملك عمورى الأول يعد أكبر حشد عسكرى للتوجه الإفريقى فى تاريخ الصليبيين فى القرن الثانى عشر الميلادى، وجاء إخفاقه ليعكس أن آخر الملوك الصليبيين الكبار؛ عجز عن مد حدود السيادة السياسية الصليبية إلى ما وراء الحدود الفلسطينية المعروفة لمملكة بيت المقدس اللاتينية.

والجدير بالملاحظة ؛ أن هناك ثلاث مناطق جغرافية إلتقت عندها الحدود الآسيوية– الإفريقية، وكان لها شأنها فى الصراع المرير بين الجانبين المتصارعين الصليبى والإسلامى، ونجد ذلك فى صورة نطاق من اليابس، ونطاقين بحريين، ونعنى بالأول شبه جزيرة سيناء ونقصد بالنطاقين المذكورين البحر المتوسط والبحر الأحمر، ومن الأهمية إلقاء الضوء بإيجاز عن دور تلك المناطق التى توصف بأنها مناطق إتصال من أجل إدراك طبيعة تاريخ الصليبيين التوسعى فى الإتجاهين الآسيوى والأفريقى؛ صعودا وهبوطا.

فبالنسبة لشبه جزيرة سيناء، وأهميتها حينذاك، من المهم هنا التقرير بأن تلك المنطقة مثلث لقطة إلتقاء الحدود الآسيوية والأفريقية والجسر الواصل بين المسطحين المائيين الكبيرين فى صورة البحر المتوسط، ثم البحر الأحمر، غير أن طبيعتها الصحراوية وطبيعة موقعها ذاته جعل تاريخها حينذاك هو فى حقيقته تاريخ منطقة العبور بين النطاقين الآسيوى والأفريقى، وبالتالى توصف أنها ممر لا مقر، مع ملاحظة أن الجزء الشمالى الساحلى منها المعروف بطريق حورس القديم، كان أقصر أجزائها حركة على المستوى التاريخى، كما أن الطبيعة الصحراوية لها لم تكن مشجعة على أى استقرار فيها، باستثناء وجود بدوى فى الجزء الشمالى منها.

وإذا كانت تلك طبيعة نطاق اليابس المذكور، فإن المسطحين المائيين المشار إليهما لعبا دورا على جانب كبير من الأهمية ضمن آليات الصراع حينذاك.

فمن الملاحظ أنه بالنسبة للبحر المتوسط ؛ نجد أن ذلك البحر على نحو خاص مثّل أهمية بالغة للصليبيين من حيث أنه جسر الإتصال بالوطن الأم فى الغرب الأوربى، ومن المقرر أن تاريخ الصليبيين نفسه هو تاريخ تفاعلهم وتصارعهم مع عالم البحر المتوسط، فمن قبل كان تاريخ الإغريق، ثم الرومان، ومن بعدهم المسلمين، والآن جاء الدور على الغرب الأوربى كى يسيطر على شرق ذلك البحر من خلال الموقع الإستراتيجى والإقتصادى البالغ الحيوية لذلك النطاق، خاصة من خلال السيطرة على طرق التجارة القادمة من شرق ووسط آسيا. وينبغى هنا أن نلاحظ أن المشروع الصليبى ذاته مشروع "بحر متوسطى" إندلع من فرنسا الواقعة على الساحل الغربى منه إلى بلاد الشام فى شرقه، كذلك هناك دور المدن التجارية الإيطالية فى صورة جنوة، وبيزا، والبندقية، وجميعها قامت بدور تجارى فعّال من أجل إنهاء دور المسلمين كوسطاء تجاريين، وتحويل العائد المادى الضخم إلى الوطن الأم فى الغرب الأوربى، وعلى صفحات أمواج ذلك البحر الخالد تدفقت السفن الأوربية المحملة بالفرسان، والحجاج، والتجار، من أجل المشاركة فى دعم الكيان الصليبى الدخيل. وجاء ذلك فى وقت انكسرت فيه شوكة المسلمين البحرية، ومن ثم فإن خطر جبهة البحر المتوسط كجبهة بحرية مدعمة للكيان الصليبى كان كبيرا على القوى الإسلامية ذاتها.

لقد مثل ذلك البحر قناة اتصال بين آسيا وأفريقيا، وحاول الصليبيون من خلال تلك الجبهة المتسعة، وعن طريق الدعم البحرى الكبير للمدن التجارية الإيطالية، وكذلك قوى الغرب الأوربى الأخرى مثل فرنسا وانجلترا- حاولوا الإستفادة من ذلك المسطح المائى فى مد نفوذهم الآسيوى إلى المجال الأفريقى، ومن ثم نجد أن جانبا من تاريخهم فى الصراع مع المسلمين يوصف بأنه تاريخ بحرى، ونجد ذلك واضحا فى الحملة التى شنّها الملك الصليبى حنا دى برين فى المرحلة من ١٢١٨- ١٢٢٢م، وكذلك حملة الملك الفرنسى لويس التاسع على مصرعام ١٢٥٠م، ثم بعد ذلك على تونس ١٢٧٠م، وجميع تلك الحملات انطلقت فى النطاق البحر متوسطى، غير أنها باءت بالخسران المبين، على نحو أثبت بجلاء أن ذلك النطاق أخفق الصليبيون فى اتخاذه جسرا للإنطلاق لحل عقدة النطاق الآسيوى المحدود بضم مناطق من إفريقيا إلى أملاكهم. وبالتالى شارك مصير الجسر البرى الآخر فى صورة شبه جزيرة سيناء، وهنا نلاحظ أن الإنطلاق من البحر المتوسط لم يكن يعكس رؤية استراتيجية صائبة، كما أثبت لنا تاريخ الصليبيين وتوسعاتهم. وكان المدخل البرى المذكور أكثر أمنا وملائمة فى العديد من المرات، دون أن يضمن ذلك للغزاة النجاح بطبيعة الحال.

أما النطاق البحرى الآخر ؛ فقد تمثل فى البحر الأحمر، والواقع أن ذلك البحر لم يحتل فى ذهن القيادات الصليبية ذات القدر من الإهتمام الذى مثله البحر المتوسط، ولذلك يوصف بأنه أقل فى الأهمية فى سياساتهم باستثناء كونه المنفذ البحرى لحدودهم الجنوبية عند إيلات (أم الرشراش) الواقعة فى جنوبى صحراء النقب القاحلة، وعلى رأس خليج العقبة، على الرغم من مرور طريق التوابل القديم فى ذلك البحر، وإن سيطر على تلك التجارة الفاطميون، ومن بعدهم الأيوبيون، ثم المماليك.

ومن الملفت للإنتباه أن تاريخ الصليبيين لا نجد فيه زاوية استغلال البحر الأحمر كنقطة ارتكاز بحرية للتوسع الأفريقى باستثناء حملة أرناط أمير الكرك عام ١١٨٢م، مع ملاحظة أنها أصلا كانت ذات وجهة آسيوية من خلال مهاجمة المحارم الإسلامية المقدسة فى الحجاز لا سيما المدينة المنورة، أما الهجوم على مصر عند عيذاب؛ الواقعة على بعد حوالى ١٣كم شمال شرقى حلايب، فكان مجرد عمليات سلب، ونهب، وبعث الإضطراب فى تلك المنطقة، وإرباك القيادة السياسية الأيوبية وإشعارها بضعف موقفها العسكرى والسياسى فى تلك المنطقة الغير مسبوقة فى العمليات الحربية الصليبية، وباستثناء ذلك؛ لا نجد البحر الأحمر يحتل مكانة بارزة فى تاريخ الصراع الصليبى- الإسلامى، ومن الملاحظ أن القوى الإسلامية حرصت حينذاك على جعله بحيرة إسلامية مغلقة لا يصل إليها الغزاة، حماية للأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز، وسنجد الأمر يمتد حتى العثمانيين

الذين كان من مفاخرهم إغلاق ذلك البحر فى وجه المحاولات البرتغالية المستميتة من أجل مهاجمة أعز مقدسات المسلمين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

والواقع ؛ أنه على الرغم من أن البحر الأحمر كان من الممكن الإحتفاظ به "مغلقـا" ؛ إلا أن تلك الصفة لم يكن من الممكن تحقيقها فى البحر المتوسط، ولذلك إحتل الأول مكانة أقـل ، ولا تقف أمام مكانة البحر المتوسط كنقطة إنطلاق إلى حل العقدة الإفريقية المزمنة للكيان الصـليبى ؛ وهكذا ندرك أن شبه جزيرة سيناء والبحر المتوسط مثلا الجسرين المفضلين مـن أجـل التوسـع الصليبى صوب القارة الأفريقية. وقد دل تاريخ الإخفاق الصليبى المتعدد على أن الأمر دخـل فى نطاق يوصف بما يشبه الإستغلاق نظرا لتعدد تجارب الصليبيين واخفاقاتهم.

من زاوية أخرى ؛ لا نغفل أن أول وآخر الملوك الصليبيين المحليين الكبار، ونعنى بذلك بلدوين الأول، وعامورى الأول إتجها إلى الوجهة الأفريقية من خلال الجسر البرى السالف الذكر، بينمـا شغل الملوك الآخرون مثلل بلدوين الثانى Baldwin II (١١١٨- ١١٣١م) وفولك أوف الجـو Fulk of Anjou (١١٣١- ١١٤٣م) وبلدوين الثالـث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣م) شغلوا بقضاياهم الداخلية وترتيب أوراق البيت الصليبى من الداخل، على نحو يكشف لنا بجلاء أن البعد الأفريقى ارتبط لدى الصليبين باكتمال ترتيب أوضاعهم فى الغرب الآسيوى، فعندما أكمل بلدوين الأول- إلى حد كبير- التوسع فى الساحل وأمّن حدود المملكة، وعمل على تشييد القلاع واستقدام المسيحيين الشرقيين للإستقرار فى بيت المقدس ؛ فكّر فى الوجهة الجديدة التى مثلت آخر أعماله الكبيرة على مستوى الواقع التاريخى، وعندما استطاع بلدوين الثالـث فى عـام ١١٥٣م إسقاط عسقلان[٦]- مفتاح مصر- كان من الطبيعى أن يلجأ الملك الصليبى عمورى الأول من بعد ذلك إلى إستغلال الأمر بالتوسع صوب افريقيا ممثلا بذلك الحلم الصليبى الكبير للخـروج مـن النطاق الآسيوى، ولكن دون جدوى.

وفى حقيقة الأمر ؛ أنه على الرغم من النجاحات العديدة التى حققها الصـليبيون فى البعـد الآسيوى، وتكوين إمارات لهم- حتى مع سقوط الرها عام ١١٤٤م- ظلـت تلـك الكيانـات الصليبية فى أنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس، دون تأمين لحدودها، لا سيما من جهة الجنـوب، وظل ذلك الكيان يعانى من مشكلات اقتصادية، وأمنية، وسياسية، لم يكن من الممكن له أن يعالجها دون التوجه الأفريقى، وأثبتت لنا الأيام أن استمرار الصليبيين بحدودهم الآسيوية دون تطوير، كان أشبه شىء بدخولهم مرحلة أسر لا يستطيعون الفكاك منها، ناهيك عن عقدة المساحة الجغرافيـة المحدودة والصغيرة، بالمقارنة بالجيران المسلمين، ونصل إلى حقيقة واقعة وهى أن حلم الصـليبيين

بالوصول إلى بلاد الشام والسيطرة على الأماكن المسيحية المقدسة صار مع انقضاء الأعوام تلــو الأخرى بلا حماية طالما لم يتم مد حدود ذلك الكيان الدخيل إلى أبعد من حدوده الآسيوية ذاتها.

ومن الملاحظ ؛ أن القرن التالى فى تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام، ونعنى به القرن الثالث عشر الميلادى ؛ شهد محاولات كبرى للخروج من مأزق البعد الآسيوى، ولا نغفل هنا زاوية مهمة وهى أن الصليبية الثالثة، على الرغم من أن احداثها جرت على أرض بلاد الشــام إلا أنهــا أكــدت للصليبيين – بعد طول صراع مرير– ان الطريق إلى بيت المقدس يبدأ من القاهرة. أو بعبارة أخرى ان حل قضايا الغرب الآسيوى الصليبى يرتبط ارتباطا وثيقا بالتوسع فى الوجهة الأفريقية، وهكذا كانت حملة حنا دى برين John de Birenne (١٢١٠– ١٢٢٥م/)[٧] التى باءت بالخســران المبين لا سيما بعد الصراع بين ذلك الملك الصــليبى والمنــدوب البــابوى بلاجيــوس Plagius واستبسال الأيوبيين فى الدفاع عن أرض الكنانة، وجاء إخفاق الصليبية الخامسة ليقدم لنا دلــيلا جديدا على إخفاق الغزاة فى الخروج من الأسر الآسيوى، وظلت بالتــالى "العقــدة الجغرافيــة والتاريخية" لتاريخ الصليبيين فى الشرق قائمة دونما أية تغييرات، على الرغم من الــدعم الغــرب أوروبى الغير محدود، ومراحل الضعف لدى المسلمين بين الحين والآخر، والتى اعطت للغزاة أحيانا فرصا ذهبية عملوا على استغلالها لصالحهم دون جدوى تاريخية حقيقية.

ومن زاوية أخرى ؛ من الملاحظ أن الملك الفرنسى لــويس التاســع Louis IX (١٢١٤– ١٢٧٠م) إتجه هو الآخر إلى البعد الأفريقى من خلال حملته الشهيرة على مصر ؛ الــتى بــاءت بالفشل المبين عام ١٢٥٠م/ بفضل الدور الفعال للفرسان المماليك الذين نشوا فى أحضان الدولة الأيوبية، وتعد تلك الحملة آخر الحملات الصليبية الكبرى فى القرن الثالث عشر الميــلادى مــن خلال البعد لأفريقى. وأكدت استمرار العقدة الصليبية إلى مدى زمنى أبعد فى صــورة منتصــف القرن الثالث عشر الميلادى، وذلك على الرغم من الثقل السياسى للملك الفرنسى لويس التاسع، وإمكانيات الغرب الأوربى الكبيرة، وعلى رأس كل ذلك إمكانيات فرنسا، والدعم البابوى الغير محدود، وجاء ذلك الإخفاق ليمثل علاقة بارزة فى العجز عن مدّ الحدود الصليبية فيما وراء الحدود الفلسطينية.

والأمر المؤكد ؛ أنه فى حالة نجاح الصليبيين فى الجبهة الأفريقية لتغير تاريخ المنطقة علــى نحــو جذرى، فعندئذ كان بإمكانهم السيطرة على سهل النيل الفيضى بإمكاناته الإقتصــادية الكــبيرة، ناهيك عن موانىء مصر على البحرين المتوسط والأحمر، والسيطرة على تجارة الكارم المارة عــبر البحر الأحمر[٩]، وما كان يمكن ان يجنوه من وراء ذلك من أموال طائلة تدعم ميزانيتهم، ناهيــك

عن توفير الأمن نهائيا لكيانهم الشامى، غير أن ذلك كله لم يتحقق لهم، بل تأكد وجودهم الإنعزالى دون أن يتمكنوا من الخروج من "الشرنقة الغرب آسيوية" إلى ما هو أبعد، على الرغم من أن من حاول إخراجهم منها كان أكبر ملوك أوربا حينذاك.

وقد تأكد البعد الأفريقى للويس التاسع من خلال حملته على تونس عام ١٢٧٠م التى شهدت إخفاقا كاملا هى الأخرى، وتأكد لنا بالتالى أن ذلك الملك الفرنسى كان أكثر ملوك وربا إلحاحا على البعد الأفريقى، وأكثرهم إخفاقا فى ذلك المجال أيضا، وقد امتدت فعالياته الحربية فى المجـال المذكور من مصر شرقا إلى تونس غربا.

وهكذا ؛ إتضح لنا أن فرنسا التى تمكنت بنجاح من قيادة المشروع الصليبى ووضعت أقدامها على أرض بلاد الشام ؛ إلا أنها لم تستطع أن تمد النفوذ الصليبى، وقد جاء ذلك النجاح السـابق، والفشل التالى خلال حكم أسرة فرنسية واحدة هى أسرة آل كابيه التى تعدد ملوكها على مـدى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين.

نخلص من الوضع السابق إلى عدة تصورات مهمة يمكن إجمالها فى الآتى:

أولا: إن تاريخ الصليبيين على مدى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين يعـد تاريخـا متأرجحا بين الإتجاهين الآسيوى والأفريقى، ولا يمكن الفصل بين الإتجاهين المذكورين إذ أن كـلا منهما كان مكملا للآخر، وهكذا؛ فمن الخطأ البين التركيز على الكيان الصليبى ككيان آسـيوى الطابع، دون إدراك أهمية وتأثير التوجهات الأفريقية لذلك الكيان الدخيل.

ثانيا: من المقرر ؛ أن الصليبيين نجحوا آسيويا وفشلوا افريقيا، وهنا مكمن التناقض الحقيقى فى تاريخهم الممتد على مدى قرابة قرنين من الزمان، على الرغم من الدعم الأوربى الواسع النطـاق ماديا وبشريا، وهذا الإخفاق هو بيت القصيد، ففى حالة نجاحهم فى الإتجاه المذكور لتغير تاريخهم بصورة كبيرة، غير أن ذلك لم يحدث، ومثل ذلك الإخفاق نتج عن أخطائهم السياسية والعسكرية، والدور الفعال لحركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين، والدولة النورية ومن بعـدها الأيوبيـة، ثم أخيرا المماليك داوية الإسلام، وهكذا ؛ فلم يكن الأمر يرجع إلى عوامل داخلية صليبية فقط، بل أيضا لعوامل خارجية إسلامية أثرت على وقف توسع الحركة الصليبية خارج الحدود الآسـيوية، ويلاحظ هنا أن كافة ظواهر الصليبيين التاريخية؛ وقفت وراءها عوامل فاعلة داخليـة وخارجيـة بصفة عامة.

ثالثا: ليس من قبيل المصادفة ؛ ملاحظة أن الملوك الكبار فى تاريخ الصليبيين هم الملوك الـذين حاولوا صنع تاريخهم على الأرض الأفريقية– مع عدم إغفال دورهم فى الغرب الآسيوى بالطبع–

وهكذا؛ نجد قائمة مكونة من بلدوين الول، وعمورى الأول، وحنا دى برين، ولـويس التاسـع، وهكذا فإن البعد الأفريقى منح أولئك الملوك أهمية وجودهم فى تاريخ الصليبيين فى الشرق، على الرغم من إخفاقهم فى تحقيق ما تحرقت نفوسهم شوقا إليه، مع ملاحظة أن ملوك الإتجاه الأفريقـى منهم من كان من الملوك الصليبيين المحليين فى بلاد الشام مثل عموى الأول وحنا دى برين، ومنهم من ولد ونشأ فى الغرب الأوربى مثل بلدوين الأول ولويس التاسع، واتفق الطرفان على ذلك البعد الحيوى ونعنى به البعد الأفريقى.

رابعا: من الجلى البين ؛ أن البعد الأفريقى فى التوسعات الصليبية لم يكـن توجهـا جغرافيـا فحسب، بل مطامع اقتصادية، ومصالح سياسية، وأهداف استراتيجية، ولا يفهم إتجاه الصليبيين إلى البعدين المذكورين بدون إدراك الطبيعة الإستعمارية- أى الإستخرابية- للمشروع لصليبى بصفة عامة، على نحو يكشف لنا عن أن إخفاق الصليبيين فى الإتجاه الأفريقى- على نحو خاص- كان فى حقيقته إخفاقا فى محاولة فتح أسواق تجارية جديدة ونهب جديد لموارد ذلك النطاق الجغـرافى، وفى إطالة عمر الوجود الصليبى خارج الحدود الآسيوية، فلا عجب والأمر كذلك؛ أننا نلاحظ أن ذلك كان من أهم العوامل التى أدت إلى إفشال المشروع الصليبى بأكمله فى الشرق، على نحو أدى فى النهاية إلى طرد الغزاة من بلاد الشام نهائيا عام ١٢٩١م.

خامسا: ليس فى الإمكان ؛ الفصل بين الإتجاهين الآسيوى ثم الأفريقى، والنبع الأصلى الـذى كان من ورائهما فى صورة الغرب الأوربى؛ لقد نجح ذلك الغرب فى مد نفوذه خـارج الحـدود الأوربية إلى غربى آسيا، غير أن طموحاته التى لا تحد فى تكوين ما يشبه مملكة كبرى بحر متوسطية يدخل فيها الشمال الأفريقى بما فيه مصر وتونس، باءت بالخسران الكامل، وعاد الغـرب الأوربى إلى عقر داره مرة أخرى، وهكذا؛ فإن عجز الصليبيين لم يكن يعنى عجزهم كقوة محلية فقط؛ بل عجز ذلك الغرب نفسه عن البقاء فى الشرق، والإستمرار بفعالية خارج حدوده الجغرافية الأصلية على الرغم من الإمكانات المادية والبشرية والدعم المعنوى الذى وضع تحت إمرة ملوك الشـرق اللاتينى من أجل تحقيق أهداف الدوائر الكنسية والسياسية فى الغرب الأوربى على حساب القوى الإسلامية المحلية بطبيعة الحال.

سادسا: تأكد لنا أن هناك قوة محلية كانت وراء عجز الليبيين عن التوجه الإفريقى فى صـورة مصر؛ عملاقة الجغرافيا والتاريخ، التى كانت وبحق مقبرة للغزاة، ولا يفصل ذلك عن دور شقيقاتها فى بلاد الشام؛ إذ وقفت القوى الإسلامية هناك بجوارها، فيما يعرف "بالشمص" وهـى الرابطـة الجغرافية والتاريخية بين بلاد الشام ومصر.

ذلك عرض عن البعدين الآسيوى والإفريقى فى التوسعات الصليبية.

الهوامش

(١) عن البابا أوربان الثاني أنظر: ص٣٦ ، حاشية (١١) .

(٢) عن ذلك أنظر:

Fulcher of Chartres, p. 221
William of Tyre, Vol. I, p. 515

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ، ج١، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ص ٣٣٥.

(٤) رايموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة القدس، ت. حسين عطية، ط. الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ٢٢٥- ٢٢٦

(٥) عن التنافس بين الطرفين أنظر:

ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، تحقيق الشيال، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص ١٤٩، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦- ١١٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص ٨٧- ١٠٠، تيسير بن موسى، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، ب- ت، ص ١٦٤- ١٦.

(٦) عن سقوط عسقلان فى قبضة الصليبيين أنظر:

II, pp. 184- 234 William of Tyre, Vol.

ابن الأثير، الباهر، ص ١٠٦، مصطفى عبد العزيز العسقلانى، عسقلان ودورها فى الصراع الإسلامى- الصليبى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م، حسن المسحال، عسقلان فى فترة الحروب الصليبية، ٤٩٢- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩- ١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الحكومية- غزة عام ١٩٩٩م، ص ١١٩

(٧) عن حملة حنا دى برين على مصر المعروفة بالصليبية الخامسة أنظر:

Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, Trans. by Cavignon, Philadelphia 1948

محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، حملة حنا دى برين على مصر ١٢١٨- ١٢٢١م/ ٦١٥- ٦١٨هـ، ط. الإسكندرية ١٩٧٨م

(٨) عن حملة لويس التاسع على مصر وإخفاقها أنظر:

Jean de Joinville, The life of Saint Louis, in Chronicles of the Crusades, Trans. by Shaw, London 1976

حسن حبشى، الشرق الأوسط بين شقى الرحى، ط. القاهرة ١٩٤٩م، جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع غلى ضفاف النيل، ط. القاهرة ب- ت، العدوان الصليبى على مصر، ط. الإسكندرية ١٩٦٧م محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة، ط. القاهرة ١٩٦١م.

(٩) عن تجارة الكارم أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ج٣، ط. القاهرة ب- ت، ص ٥٢٤، صبحى لبيب، "التجارة الكارمية فى تجارة مصر فى العصور الوسطى"، المجلة التاريخية المصرية، م (٤)، العدد (٢) عام ١٩٥٤م، ص ٥- ص ٥٣، عطية القوصي، "أضواء جديدة على تجارة الكارمية"، المجلة التاريخية المصرية، (٢)، عام ١٩٧٥م، ص ١٧- ص ٣٣، الشاطر بصيلى، "الكارمية"، المجلة التاريخية المصرية، م (١٣)، عام ١٩٧٥م.

(١٠) عن حملة لويس التاسع على تونس أنظر:

Jean de Joinville, p. 346

ابن أبي دينار، المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، ط. تونس ب- ت، ص ١٣٦- ١٣٧، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٧٤، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٦، ط. القاهرة ب- ت، ص ٢٩٣

Strayer, "The Crusades of Louis IX", in Setton, A History of The Crusades, Vol. II, Wisconson 1969, p. 515- 516

Talbi, "Saint Louis: Voir Tunis et mourir", L'Histoire, T. XLVIII, Année 1982, pp. 38-41

مصطفى الكنانى ، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٩هـ ، ط . الاسكندرية ١٩٨٥م.

(١١) عن ظاهرة "الشامصر" أنظر كتابي: الحروب الصليبية، السياسة والمياه والعقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ص٢٥-٣٩ .

- ٤ -

الأسماك فى بلاد الشام

عصر الحروب الصليبية

يتناول هذا البحث بالدراسة ؛ الأسماك [1] في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية على المـدى القرنين ١٢، ١٣م/ ٦ ، ٧ هـ ، ويتعرض للتعريف بالموضوع ، ومصاعب دراسته ثم الخريطـة المائية العذبة والمالحة لبلاد الشام حينذاك ، كذلك يتناول مصايد الأسماك ، وفوائدها ومضارها كما أوردها المعاصرون ، ثم طرق إعدادها للطهى ، وتجارتها والحسبة عليها ثم يتعـرض للأسمـاك في الوجدان الشعبي في ذلك العصر كذلك يتجه إلي دراسة الوضع الاجتماعي للصـيادين وأخـيراً يعرض للنتائج التي خلص إليها .

وواقع الأمر؛ تتمثل اهمية دراسة موضوع الأسماك حينذاك من خلال ملاحظة انها وفرت قسماً أساسياً من الغذاء لقطاعات واسعة من السكان الفقراء منهم والأثرياء لدى المسلمين والصـليبيين على حد سواء،ولا نغفل أن منطقة شرقي البحر المتوسط ـ مثل غيرها من المناطق

المطلة على ذلك البحر ـ وصفت بان سكانها من الشعوب السمكية ؛ أي التي اقبلت علـى تناول الأسماك بصورة كبيرة في غذائها ، كذلك عمل قطاع له شان من السكان في حرفة صـيد الأسماك، والمتاجرة بها خاصة في المدن الساحلية ، والنهرية الواقعة على البحر المتوسط أو في المناطق الداخلية من بلاد الشام ، فإذا ما أدركنا أن الأسماك ذاتها دخلت في دائرة التجارة الداخليـة، و الخارجية ؛ عرفنا كيف إنها مثلت عنصراً حيوياً في اقتصاديات ذلك العصر بالنسـبة للمسـلمين والصليبيين ، ولاريب في أن كافة تلك الزوايا تكشف لنا عن اهمية الموضوع ، وجدارته بالبحـث. وتواجه الباحث عدة مصاعب في دراسته تأتى في مقدمتها قلة أن لم تكن ندرة الإشارات المصدرية ؛ إذ عنى المؤرخون المعاصرون ـ وعلى نحو خاص الرسميين منهم ـ بالكتابة التاريخية عن الملـوك ، والسلاطين ،والأمراء من حيث أعمالهم السياسية ، ومعاركهم الحربية ولم يعطوا ذات القدر مـن الاهتمام لباقي عناصر المجتمع .

بل امتد ذلك التجاهل إلى الكائنات الأخرى التي شاركت الإنسان الحياة كالحشرات النافعة (مثل النحل — دود القز ، وغيرها) والضارة (مثل الجراد — البعوض ،وغيرها) والحيوانات ومنها الأسماك .

وقد امتد الأمر إلي الدراسات التاريخية الحديثة ، وعلى الرغم من ظهور دراسات متخصصة حديثة عن الأسماك في التاريخ البيزنطي (٢) ، ووجود اهتمام من جانب بعض الباحثين بالأسماك من خلال دراسة اتحاد مدن الهانزا Hansa towns بألمانيا (٣) وارتباطه بأسماك الرنجة خلال المرحلة فيما — بين القرنين ١٣ ، ١٥ م ، / ٧ ، ٩ هـ — فإن عصر الحروب الصليبية — من خلال المتابعة الببليوغرافية (٤) — لم يحظ بالاهتمام الواجب في المجال المذكور .

أضف إلى ذلك ؛ هناك عدم توافر إحصائيات دقيقة عن معدل الإنتاج ، وكذلك الأسعار بصورة سنوية ارتفاعاً وانخفاضاً ، والعوامل التي وقفت من وراء ذلك .

ولا نغفل ؛ أن دراسة تاريخ الأسماك خلال المرحلة المذكورة يتطلب تتبع هجرات أسرابها من خارج نطاق البحر المتوسط Mediterranean sea وصولا إلى ساحله الشرقي ، خاصة أن ذلك البحر لم يكن منغلقا مثل بحر قزوين Caspian sea في شمالي إيران ، بل كان منفتحاً على البحار، والمحيطات الأخرى المجاورة مثل البحر الأسود Black sea

،والمحيط الأطلنطي Atlantic ocean ؛ مما أعطاه حيوية جغرافية وتاريخية خاصة ولا ريب في أن اقتصاديات الأسماك شكلت جزءاً من تلك الحيوية .

وقد اتجه البحث إلى قصر النطاق الجغرافي على بلاد الشام لكن تم الاتجاه إلى توسيع النطاق الزمني ليشمل القرنين المذكورين لتعويض نقص المادة التاريخية ، ولدراسة الموضوع من خلال وحدة الظاهرة التاريخية مكتملة .

وبداية ؛ يتطلب الأمر التعرض بصورة موجزة لبعض جوانب علم الأحياء Biology، وعلم وظائف الأعضاء physiology للأسماك لمعاونتها على فهم العديد من زوايا الدراسة وقد انقسمت الأسماك إلى نوعين رئيسيين ؛ الأول الأسماك الغضروفية Chondrichthyes ، وهي التي تكونت من مواد غضروفية لينة كذلك احتوت على فتحات خيشومية ، ومن أمثلتها اسماك القرش Sharks (٥) ، أما النوع الثاني ؛ فيتمثل في الأسماك العظمية Osteichthyes ؛ وهي التي تكونت من هياكل عظمية توصف بالصلابة ، وتنتمي إليها أغلب أسماك المياه المالحة والعذبة على حد سواء، وهي بالتالي أكبر عددا (٦) إذا ما قورنت بالأسماك الغضروفية وهناك من يقرر تعقد أمر تصنيفها بيولوجياً نظراً لتنوعها البالغ (٧) .

وتتراوح أنواع الأسماك بين أنواع صغيرة الحجم مثل السردين ، والأنشوجة ، والبلشار،[٨] وأنواع كبيرة الحجم مثل أسماك القرش ، والحوت الأزرق الذي يوصف بأنه أكبر الحيوانات الثديية في البحار ، والمحيطات ، وأكبر الكائنات في البحر أو اليابس [٩] على حد سواء أما غذاء الأسماك ؛ فيتكون الجانب الأكبر منه من كائنات مجهرية دقيقة تتكاثر ، وتنقسم على نحو سريع ، وتعيش في الطبقات العليا من الماء ، وذلك لاحتياجها لأشعة الشمس التي تخترق ماء البحر ، ويطلق عليها اسم البلانكتون [١٠] أو الكائنات الهائمة حيث تدفعها التيارات والأمواج من مكان لآخر ، وينقسم البلانكتون ؛ وهو عبارة عن حيوانات دقيقة لا يزيد حجمها عن ملليمترات صغيرة [١١] ولا نغفل كذلك أن الأسماك يلتهم بعضها بعضاً [١٢] كما هو معروف .

أما تكاثر الأسماك ؛ فمن المهم وصول السمكة الأنثى إلى درجة النضج الجنسي الكامل ، والقدرة على إنتاج ما يعرف بالجاميطات (وهى الخلايا الجنسية) في نفس الوقت مع ذكر من نفس النوع [١٣] أما هجرتها ؛ فإنها تتم بحثا عن الطعام أو من أجل التكاثر وتتجه جماعات ضخمة من الأسماك إلى التجمع والانتقال ، والهجرة في وقت واحد ، وفى مكان محدد من العالم إلى مكان آخر ، وهناك من يقرر إن هجرة التكاثر زمنياً تتوافر مع نضج الغدة التناسلية [١٤] ولزاوية الهجرة دورها الفعّال في عمليات الصيد ؛ إذ اتجه الصيادون إلى اغتنام الفرصة لصيدها بكميات كبيرة في تلك المواسم التي يعرفون تحديدها الزمني كابراً عن كابر ، ومن خلال الخبرة المتوارثة .

على أية حال ؛ عرفت بلاد الشام عصر الحروب الصليبية بتوافر العديد من المسطحات المائية العذبة والمالحة التي عاشت فيها الأسماك منذ زمن بعيد من قبل مقدم الصليبيين ، ووجدت هناك العديد من مصايدها ، ونذكر في هذا المجال نهر الفرات [١٥] الذي نبع من آسيا الصغرى Asia Minor ، و مر قسم منه ببلاد الشام ، ثم نهر الأردن الذي نبع من اسفل جبل الشيخ الغربي والجنوبي [١٦] ، ونهر اليرموك [١٧] ؛ وهو أهم روافد نهر الأردن ، ثم نهر العاصي [١٨] الذي نبع من بعلبك بلبنان ، ووقعت عليه مدينتا حمص وحماه ، وغيرها ، ولا نغفل نهر قويق [١٩] عند حلب بشمال بلاد الشام ثم كذلك مجموعة الأنهار اللبنانية مثل أنهار أسطوان ، والبارد ، وأبو علي ، والجوز ، وإبراهيم ، والكلب، وبيروت ، والليطانى ، والدامور ، والزهرانى ، والأولى[٢٠] ثم هناك نهران في فلسطين هما العوجة ، وكيشون [٢١] .

ويضاف إلى الأنهار المذكورة ؛ هناك بحيرات طبرية [٢٢] ، والحوله [٢٣] والأولى عدت أكبر بحيرة عذبة في بلاد الشام (مساحتها ١٧٠ كم) إما الثانية فهي صغيرة بالمقارنة

بسابقتها (مساحتها ١٢ ك . م) وهناك بحيرات أفامية ، وحمص ، وإنطاكية [٢٤] .

والى جانب الأنهار والبحيرات السابقة ؛ هناك مصايد سمكية تمثلت في الينابيع والجداول ، ومن أمثلتها ينبوع في إقليم الجليل بشمالي فلسطين عرف بينبوع التباينة ، ووصف بأنه كان يجـرى في اتجاه بيسان ، واحتوى على كميات كبيرة من الأسماك كما قرر وليم الصوري (٢٥) Williamof Tyr ، ثم هناك جدول في منطقة كفر ناحوم (٢٦) بين الينبوع السـابق ونهـر الأردن ، كـذلك أشارت المصادر الصليبية إلى أنه بالقرب من بحيرة طبرية عند سفح جبل هناك وجد جدول ميـاه عرف بعين الطبجية (٢٧) حيث وجدت فيه الأسماك بوفرة .

أما المسطحات المائية المالحة ؛ فهناك العديد من المصايد متمثلة في المدن الواقعة على الساحل الشامي مثل السويدية أو سان سيمون ميناء أنطاكية ، واللاذقية ، وجبلة ، وطرطوس ، وطرابلس، وبيروت ، وصيدا ، وصور ، وعكا ، وقيسارية ، ويافا ، وعسقلان ، وغزة ، ناهيك عن مصايد سمكية ثانوية للصليبيين على رأس خليج العقبة شمالي البحر الأحمر حيث أخضعوا ايلة أو إيلات (الرشرش)في عهد بلدوين الاول (١١٠٠ــ١١١٥م/٤٩٣ــ ٥٢١هــ) وذلك في عام ١١١٦/ ٥١٠هــ (٢٨) و يلاحظ ؛ أن كافة تلك المسطحات المائية احتوت على مختلف أنواع الأسماك ، وقد أشارت المصادر الجغرافية ــ على نحو خاص ــ إلى ذلك وعلى سبيل المثال ، نجد أن بحيرة طبرية وصفت بأنها كثيرة الأسماك (٢٩) ، أما بحيرة أفامية فقد احتوت على اسماك تشبه الحيات(٣٠) .

وواقع الأمر ؛ من المهم التعرض لأمر السيادة السـياسية على تلك المسطحات المـائية المذكورة وتداولها بين المسـلمين والصـليبيين ، ويلاحظ هـنـاك أن أول اتصـال للصـليبين بتلـك المسطحات المائية ارتبط بغزوهم لأنطاكية حـاضرة نهر العاصي عـام ١٠٩٨م/٤٩١هــ (٣١) ثم تم إسقاطهم للعديد مدن الساحل الشامي السالفة الذكر خاصة في عهد الملك بلـدوين الأول وفي عام ١١٥٣ م / ٥٤٨هــ اكتمل إخضاعهم لتلك المدن الساحلية في عهد الملك بلدوين الثالـث Baldwin III (١١٠٠ ــ ١١١٨ م/ ٤٩٣ ــ٥١٢ هــ) بإسقـاط مدينـة عسقـلان ؛(٣٢) وبالتالي تم إبعاد السيادة السياسية الإسلامية عن مصايد الأسماك شرقي البحر المتوسط ، أما المناطق الداخلية فبعضها ارتبط بالسيادة الإسلامية مثل نهر قو يق عند حلب، ونهر الفرات، ونهر الخـابور الذي تفرع من النهر الأخير ، والبعض الآخر خضع للسيادة الصليبية كما الحال لدى مجموعـة الأنهار اللبنانية حيث تكونت عندها بارونيات صليبية تابعة لمملكة بيت المقـدس اللاتينيـة مثـل بارونيات بيروت ، وصيدا ، وغيرها ، ناهيك عن وجود إمارة صليبية في شمالي لبنـان في صـورة إمارة طرابلس .

زد على ذلك ؛ شهد ذلك العصر مناطق موزعة بين المسلمين والصليبين كمصايد للأسماك ، ومن أمثلتها حالة نهر العاصي الذي يعد نموذجاً للمصايد السمكية المشتركة على اعتبار أن للصليبيين مدينتي حمص ، وحماه لم تخضعا للصليبيين للسيادة الصليبية ، ويلاحظ ؛ هنا أن تلك المناطق التي وصفت بأنها بلاد مناصفات [٣٣] عدت مناطق سيادة تحت إشراف إداري إسلامي وصليبي مشترك طبقت الشريعة الإسلامية بالنسبة للمسلمين والقوانين للصليبية [٣٤] بالنسبة للصليبيين وتم تنظيم كافة شئونها ، ومنها مصايد الأسماك [٣٥] ، ويقرر البعض ؛ أن الرسوم والضرائب تم اقتسامها بين الجانبين ومنها ما فرض بشأن تلك المصايد [٣٦] ، وقد أكدت إحدى الوثائق الرسمية الصادرة في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٥هـ /١٢٦٧ م بين الدولة المملوكية وتنظيم الاستبارية مناصفة ما أسمته الوثيقة مصيدة السمك الرومية [٣٧] وكذلك المصايد الواقعة على الشاطئ الغربي لنهر العاصي [٣٨] ودلت تلك الوثيقة على أهمية الثروة السمكية خلال ذلك العصر على نحو احتاج معه إلى الاتفاق ، والنص على ذلك في الوثائق الرسمية في شان الاستفادة المشتركة من جانب الطرفين لها ، ومنطقي تصور أنه في حالة عدم وجود تلك الأهمية لها لما احتاج الأمر أصلا النص عليها بمثل تلك الصورة الصريحة ودل ذلك أيضاً أن تلك المصايد السمكية شاركت المناطق الزراعية في الأهمية الاقتصادية وهى التي وجدت ضمن مناطق بلاد المناصفات ، وان لم تكن على ذات القدر بطبيعة الحال .

ومع ذلك ؛ لم تستمر السيادة الصليبية على المصايد الساحلية الواقعة شرقي البحر المتوسط ؛ إذ حدثت معركة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ [٣٩] والتي أدت إلى إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية ، وفتح الساحل الشمالي ؛ وبالتالي عودة السيادة السياسية الإسلامية للمصايد السمكية بعد إن خضع جزئياً خلال المرحلة من ١٠٩٨م/ ٤٩١هـ إلى ١١٥٢م/ ٥٤٧هـ وبصورة كاملة من ١١٥٣م / ٥٤٨ هـ إلى ١١٨٧م/ ٥٨٣ هـ وجاء صلح الرملة الذي وقع بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد عام ١١٩٢م / ٥٨٨هـ [٤٠] Richard Heart Of Lion (١١٨٩ ــ ١١٩٩ م/٥٨٥ــ٥٩٥هـ) في أعقاب أحداث الحملة الصليبية الثالثة ليعترف بالسيادة الصليبية على المنطقة الساحلية الممتدة من صور إلى يافا احتوته من مصايد سمكية بطبيعة الحال ، وفيما بعد كانت اتفاقية يافا عام ١٢٢٩م/٦٢٥هـ [٤١] بين السلطان الكامل الأيوبي (٦١٥ ــ ٦٣٦هـ/ ١٢١٧ ــ ١٢٣٨م) والإمبراطور الألماني فردريك الثاني Frederick II (١٢١٢-١٢٥٠م/ ٦٠٨-٦٤٩هـ) خلال أحداث ما عرف بالصليبية السادسة، وهى الاتفاقية التي أعطت للصليبيين العديد من المناطق الساحلية مثل صيدا ، و المنطقة الواقعة من عكا إلى يافا ، وقيسارية، ومن الجلي البين أن المناطق

الساحلية التي أقرتها تفوقت على تلك التي وردت في صلح الرملة ، واستمر الأمر على ذلك النحو حتى تم طرد الصليبيين نهائياً عن المنطقة من خلال فعاليات سلاطين المماليك ؛ إذ أن السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٩ـ ٦٧٦هـ /١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) بإسقاطه إمارة إنطاكية عام ١٢٦٨ م / ٦٦٦ هـ استولى بذلك على نطاقها الساحلي الممتد على البحر المتوسط وكذلك المناطق الواقعة على نهر العاصي ، وجاء إسقاط المنصور قلاوون (٦٨٨ - ٦٨٩هـ) (١٢٨٩ - ١٢٩٠م) لإمارة طرابلس الصليبية ليعيد للمسلمين المصايد المطلة على البحر المتوسط وكذلك الواقعة على الأنهار العذبة بها ، وهكذا جاء إسقاط آخر المعاقل الصليبية في صورة عكا عام ١٢٨٩م/ ٦٩٠هـ ليدعم إعادة السيادة الإسلامية على كامل المصايد السمكية لأول مرة المصايد لأول مرة بعد قرابة قرنين من الزمان تم تداول السيادة السياسية الإسلامية والصليبية عليها .

ويلاحظ إن المصايد الصليبية الساحلية تميزت بميزة لم تتوافر لمثيلاتها الإسلامية- قبل تلك التغيرات السابقة - الداخلية، فقد توزعت بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، كذلك اتصلت مباشرة بالأسواق الأوربية ، أما المصايد الإسلامية خلال المرحلة من ١١٥٣ إلى ١١٨٧م/ ٥٤٨ـ ٥٨٣هـ فقد ظلت تفتقد الاتصال البحري المباشر بتلك الأسواق .

وواقع الأمر؛ احتاج المسلمون والصليبيون الأسماك كغذاء يومي ، وخاصة عندما اشتداد بهم المجاعات من جراء نقص المياه أو إغارات أسراب الجراد[٤٢] أو التخريب الاقتصادي من جراء اشتداد العمليات العسكرية بين الطرفين ، وفي هذه الحالة كانت الأسماك بمثابة المخزون الغذائي الاستراتيجي الذي سد الاحتياجات الغذائية ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه أحد المؤرخين الصليبيين المجهولين عند ما ذكر أن الصليبيين عندما اشتد بهم الجوع خلال أحداث حصار عكا أثناء ما عرف بالصليبية الثالثة اتجهوا صوب البحر من اجل صيد الأسماك ووجدوا هدفهم هناك[٤٣] .

ومع ذلك ؛ لم تكن كل مصايد الأسماك في المناطق السالفة الذكر على نفس المستويات من الأهمية ؛ إذ تفوقت مناطق على أخرى بحكم أهمية موقعها الجغرافي ، وتزايد الأسماك بها ، وكذلك نوعيتها المتميزة ، وفي هذا المجال نذكر إن أهم مصايد الأسماك العذبة تمثلت في بحيرة طبرية ، أما مصايد الأسماك المالحة فأهمها صيدا .

وقد امتازت بحيرة طبرية ؛ باتساع مساحتها ــ كما أسلفت ــ ثم إنها وقعت بين مناطق الصليبيين في شمالي فلسطين التي كانت تابعة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ومناطق المسلمين التابعة لأتابكية ودمشق؛ والدولة النورية ، والدولتين الأيوبية ، والمملوكية ، وقد حرص الحجاج المسيحيون الذين قدموا من كافة أنحاء عالم المسحية Christendom على تناول الأسماك من تلك

البحيرة على نحو خاص اقتداء بمسلك السيد المسيح عليه السلام عند ما تناول سمكها [٤٤] وهكذا وردت إشارة الرحالة الروسي دانيال Daniel الذي زار مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول تفيد حرصه على تناول السمك من البحيرة المذكورة [٤٥] ويبدو أن جموع الحجاج الغفيرة التي وفدت على المملكة الصليبية قدمت ومعها فكرة عن ذلك المسلك ، وبالتالي حرص الحجاج على الاقتداء بالسيد المسيح عليه السلام ، ويعكس ذلك ؛ أن أسماك البحيرة المذكورة لم يكن الإقبال عليها قاصراً على العناصر المسيحية المحلية فقط ، بل أيضاً من جانب عناصر الحجاج الوافدين ، ولا ريب في أن ورد اسم بحيرة طبرية في الكتاب المقدس في صورة بحر الجليل جعل لها وقعها المؤثر على نفوسهم ، ومن المفترض أن الإقبال على تلك الأسماك تزايد خلال المناسبات الدينية المسيحية المعروفة مثل عيد الميلاد ، والقيامة، وفي أعياد القديسين حيث توافد على المملكة إعداد وفيرة منهم .

أما بالنسبة لصيدا ؛ فنعرف أن اسمها ذاته اشتق من الجزء السامي " صيد " ، ويعني صيد السمك [٤٦] ، ويشير الادريسي (ق٦ هـ / ١٢ م) إلى نوع من الأسماك في صيدا وصفه بأنه " طول الإصبع " [٤٧] وله علامات خاصة يعرفها من يقوم بصيده [٤٨] وأنه يتم تجفيفه ، وسحقة ، ويسف بالماء [٤٩] وأشار إلى فائدته الكبيرة من الناحية الجنسية [٥٠] .

وتعد إشارة الرحالة المذكور من أكبر الإشارات التي وصلت إلينا من عصر الحروب الصليبية عن ذلك النوع من الأسماك ، ومن بعد ذلك ورد لنا نص من القرن التالي من جانب عز الدين بن شداد (ت ق ٧هـ / ١٣م) وقد أشار فيه إلى أن بصيدا عينها المعروفة وفي موسم الربيع توجد بها سمكة في حجم الإصبع ــ كما ذكر الادريسي من قبل ــ ومنها ذكور ، ومنها إنــاث [٥١] ، وذكر أنها تجفف ، وتسحق وتشرب بالماء ، وتفيد من يريد الجماع وقرر ما نصه في هذا الشان " فلا يصيبه عجز ولا فتور " [٥٢] ثم لدينا نص أورده الحميرى (ت حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م) ذكر فيه نفس ما أورده الادريسي ، وابن ، شداد ، وأكد تفوق النوع المذكور في الزاوية الجنسية[٥٣] .

ومن بعد ذلك ؛ ورد نص اكثر تفصيلا من النصوص السابقة من جانب مؤرخ متأخر عن عصر الحروب الصليبية في صورة العثماني (ق ٨ هـ / ١٤ م) ؛ إذ قرر عن صيدا أن بها قرية هي قرية ثول [٥٤] وقد خصها بنوع من الأسماك الصغيرة ؛ وصف بأنه سمكة صيدا [٥٥] ؛ مما عكس الشهرة الكبيرة آتى نالتها تلك السمكة على نحو جعل اسمها يطلق على المنطقة بأسرها ،واشار إلى أن صيده يتم شتاء وخاصة في منتصف شهر فبراير (شباط) [٥٦] وشارك العثماني

الادريسي وابن شداد في الإشارة إلى الفائدة السالفة الذكر [٥٧] ، وقدم رواية أكثر تفصيلاً غلب عليها الطابع الدعائي على الأرجح .

ولاريب في أن تلك الناحية ؛ تكشف لنا عن أن بلاد الشام في ذلك العصر شهدت أحياناً تخصصية المصايد السمكية ونجد مثالاً أخر دالاً على ذلك في صورة المصايد العذبة الموجودة في جدول كفر ناحوم إذ وجدت فيه أسماك كراكين ؛ وهي أسماك صغيرة الحجم أطلق عليها اسم كستاجنو Castagnotto Castagneam [٥٨]؛ وهي تسمية انتشرت في كافة مناطق البحر المتوسط كصفة لنوع من الأسماك عرف بالكفيار De Cuvier [٥٩] .

ومن المهم هنا ؛ التأكيد على إشارة أحد الرحالة الأوربيين اللذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري وهو بوركهارد أوف مونت سيون Burchard of Mount Sion [٦٠] عندما ذكر أن أسماك الكراكين المذكورة لا توجد في أي مكان اخر غير المكان المذكور[٦١] بصورة تؤكد لنا أن بلاد الشام حينذاك اشتهرت بمناطق معينة لتكون مصايد متخصصة في نوعيات بذاتها من الأسماك التي اقبل عليها المستهلكون بطبيعة الحال ولذلك كان لتلك المناطق اهميتها الاقتصادية التجارية المتميزة وعند مقارنة منطقتي المصايد السمكية في صيدا ، وكفر ناحوم لجد الأولى تفوقت من حيث موقعها الجغرافي على الساحل الشرقي للبحر المتوسط حيث الأسواق التجارية تنتظرها خارج بلاد الشام ، أما كفر حوم فكانت ذات موقع محلى داخلي محدود ولم يكن لها تلك الميزة التي توافرت لصيدا ، ناهيك عن شهرة صيدا في مجال صيد الأسماك إذا ما قورنت بكفر ناحوم ، وبصفة عامة ؛ يمكن القول أن صيدا بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، والقوى الإسلامية التي سيطرت عليها فيما بعد كانت تشبة مدينة سالونيك بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية التي عدت سوقاً رئيسياً للأسماك التي تدفقت إلى الأسواق البيزنطية من ضفاف نهر الدون [٦٢] خلال مرحلة العصور الوسطى بصفة عامة .

مهما يكن من أمر ؛ عرفت بلاد الشام عصر الحروب الصليبية العديد من أنواع الأسماك ، وإذا تناولنا القطاع الساحلي شرقي البحر المتوسط على سبيل المثال نجد أن ذلك البحر ذاته عرف بتعداد أنواع أسماكه [٦٣] مثل أسماك الميرو ، والمرجان ، وموسي ، والترس ، والسلطان إبراهيم ، والبورى ، والميرلان ، والسردين ، والأنشوجة [٦٤] ، والطون [٦٥] وغيرها؛ وهي أسماك مختلفة الأشكال ، والأحجام ، والمذاق ، والمواسم؛ مما عكس التعددية ، والثراء في آن واحد .

ويضاف إلى ذلك ؛هناك نوع عرف بإسم صيرة[٦٦] وهو سمك صغير الحجم ، ويقرر عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) أن تلك التسمية ارتبطت بأهل الشام[٦٧] —

وهى عبارة تعنى دمشق بطبيعة الحال ـ وعندما يشير المؤرخ المعاصر إلى أن تسميه ما من التسميات لنوع معين من أنواع الأسماك مرتبط بنطاق جغرافي خاص به فذلك يعنى ـ منطقياً ـ وجود عدة أسماء محلية مختلفة للنوع الواحد من الأسماك ؛ مما عكس ثراء القاموس اللغوي العربي عن تلك الكائنات حينذاك ، ومن الملاحظ أن ارتباط ذلك النوع بأهل الشام يعكس على الأرجح حصولهم عليه عن طريق المصايد العذبة المارة بهم أو من خلال بيروت التي عدت ميناء دمشق .

ولا نغفل نوعاً آخر سمي " قاطوس " وقد وصف بكبر الحجم (٦٨) على عكس النوع السابق ، وهنا ندرك أن أيراد الجغرافيين في ذلك العصر لأنواع الأسماك صغيرها وكبيرها على حد سواء أمر لا يخلو من دلالة ؛ إذ يعكس أن من المعاصرين من فضل نوعاً ما على آخر وان المذاق الشهي والفائدة الطبية والسعر الملائم كان لها الأفضلية .

ويضاف إلى ذلك ؛ عرفت بعض مناطق الساحل الشامي أسماك السردين ، وقد جاءت من خلال فيضان نهر النيل بمصر حيث أن الطمى في ذلك النهر بعد رحلته الطويلة منابعه في الحبشة إلى ساحل البحر المتوسط (أكثر من ٦٠٠٠ ك . م) احتوى على غذاء الأسماك ـ وهو البلانكتون ـ خاصة لأسراب السردين التي انجذبت إليه بأعداد غفيرة ، واتجه قسم من تلك الأسماك مع اتجاه مياه النيل واندفاعها إلى الساحل الشامي وهو أمر حدث في مدينتي صور وصيدا (٦٩) اللبنانية ، ويلاحظ أن تلك الظاهرة الجغرافية وجدت من قبل مقدم الصليبيين إلى المنطقة بزمن بعيد ، وعكست أحد مظاهر الرابطة الجغرافية وبالتالي التاريخية بين الإقليميين المتجاورين بلاد الشام ومصر بحيث يصعب كتابة تاريخ إقليم منهما دون أدراك حجم تاثير الإقليم المجاور .

ولا نغفل كذلك ؛ أسماك التونة التي انتقلت في أعداد كثيفة من المحيط الأطلنطي إلى البحر المتوسط ، واتخذت مسارين شمالي بجوار سواحل جنوبي أوربا ، وجنوبي بجوار سواحل شمالي أفريقيا(٧٠) ، وامستد المساران إلى شرقي البحر المتوسط وذلك يعنى أن المنطقة الأخيرة عدت بمثابة نهاية طريق هجرة تلك الأسماك ، ولا نغفل أنها قطعت مسافات شاسعة للغاية في أثناء تجوالها ورحلاتها الموسمية من أجل وضع البيض (٧١) ، ولذلك توصف تلك الأسماك بالفعل بأنها عابرة للمحيطات ، والبحار خلال رحلتها الطويلة ، وذلك كله يدعم الأهمية الاقتصادية لبلاد الشام لاسيما حدودها الساحلية المطلة على البحر المتوسط .

مهما يكن من أمر ؛ عرف المعاصرون فوائد عديدة للأسماك ؛ فإلي جانب كونها غذاء ، وصفت لها فوائد من خلال إنها خصبت الأبدان ، كما قرر البعض (٧٢) ، كذلك أدت إلى إذابة السبلاغم اللزجة (٧٣) ، بل هناك إشارة إلى وجود نوع عالج الصداع (٧٤) ، ناهيك عن تناولها أفاد القصبة

الهوائية، وأدى إلي جودة الصوت [٧٥] ، ويضاف إلى ذلك كله ؛ مادة العنبر [٧٦] التي توافرت في نوع من الأسماك عرف بسمك العنبر [٧٧] ، وقد أفادت رائحته الطيبـة القلب (٧٨) ولا نغفل استخدامه كرائحة عطرية وفي هذه الحـالة أضيفت له بعض المواد الأخـرى [٧٩] ، وذلك يعـني أن نوعاً واحداً من الأسماك أفاد المعاصرين في عدة استخدامات مما عكس أهميته.

وعلى الرغم من أن الاتجاه العام للمصادر التاريخية والطبية أيد فوائد الأسماك في ذلك العصر ؛ إلا أن هناك من حذر من تناولها دون ضوابط معينة ، ونجد ذلك جلياً لدى ما ألفه موسـى بـن ميمون [٨٠] (ت ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ) حيث نجده بصفة عامة لا يفضل الأسماك ، وقرر أنها في معظمها غذاء سيء ، وحذر من تناولها لدى المتقدمين في السن [٨١] ، وذكر أن أسوأ أنواعها مـا خرج من المياه الرديئة ورأى أن أجود أنواعه في تصوره الأنواع الصغيرة الحجـم ذات اللـون الأبيض الذي يتم صيده من المياه المالحة أو العذبة [٨٢] الجارية ، وعموماً حذر من كثرة تناولة [٨٣] وعلى الرغم من ذلك نجده يقرر أن له فائدة فيما يتصل بالمساعدة على الهضم [٨٤] .

ويعني ذلك ؛ إن عصر الحروب الصليبية وجدت فيه آراء متباينة حيال تناول الأسماك بين من رأى فيها العديد من الفوائد ومن حذر من الاكثارمن تناولها دون ضوابط ومرعاه عمر الشـخص نفسه ، ومن الأنصاف التقرير بأن الاتجاه الذي مثله موسى بن ميمون كان نادراً إذا ما قورن بمـا تردد عن فوائد الأسماك بصفة عامة .

أما وسائل الصيد في ذلك العصر ؛ فالملاحظ أن مرحلة العصور الوسطى بصفة عامة ؛ لم تشهد طفرة تكنولوجية بصورة تجعل الآلة عنصراً أساسياً في عمليات الإنتاج ، وظلت الطاقة المسـتمدة يدوية في المقام الأول أو طاقة المياه أو الدواب المستخدمة في إدارة النواعير ، والطواحين .

وهكذا ؛ أشارت المصادر التاريخية إلى الوسيلة التقليدية للصيد في صورة الشباك [٨٥] ، ومنطقي تصور أن الصيادين سواء من المسلمين أو الصليبيين اتجهوا إلى مناطق المصايد السالفة الذكر بصورة فردية أو جماعية وفق مقتضيات الأحوال المناخية ومعهم شباكهم . ويلاحظ وجود أنـواع مـن الأسماك الكبيرة الحجم والخطرة التي لم يكن من الممكن صيدها بصورة فردية كما في حالة صـيد الحوت الأزرق ، ولذلك كانت مجموعة الصيادين من شانها التعاون معاً في صيد ذلـك الكـائن البحري الضخم .

لكن ماذا عن مواسم صيد الأسماك حينذاك ؟ واقع الأمر يستفاد من الإشارة التي وردت عـن سمكة صيدا أن موسم صيدها تمثل في شهر فبراير ، وهو أمر يمكن أن يطلق على أنواع أخرى من الأسماك لها مواسمها الخاصة مثل اسماك السردين التي كانت تصل إلى الساحل الشامي من خـلال

مقدم فيضان النيل كما أسلفت الإشارة وذلك خلال شهور الصيف ، وهكذا كانت حركة الصيد ممتدة على مدى العام غير اله خلال تلك الفترات الزمنية المرتبطة بهجرة أسراب الأسمـاك ازداد نشاط الصيادين ؛ من أجل الفوز بأكبر حصة منها .

وقد عرف الصيادون المسلمون في بلاد الشام تلك الأنواع المختلفة من الأسماك من قبل مقدم الصليبيين إلى المنطقة في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ومن المهم هنا إلقاء الضوء على صورة أسماك المنطقة " الجديدة " في عيون الغزاة كما وردت في مصادرهم التاريخية .

واقع الأمر ؛ عرف الصليبيين من قبل مقدمهم إلى بلاد الشام صيد عدة أنواع من الأسماك في البيئة الأوروبية مثل الرنجة ، والسالمون ، وخرير البحر ، وسمك الحفن، وأبوجلمبو(٨٦) وفى ذات الحين لم يفضل بعض الصيادين هناك صيد الحيتان ؛ لأنها عرضت حياتهم للخطر أثنـاء عمليـات الصيد بحكم ضخامة حجمه، وشراسته [٨٧] ، أما من واتته الشجاعة على ذلك فقد تمكـن مـن صيدها وحصل بالتالي على أموال طائلة [٨٨] على اعتبار المتاجرة في لحمها ، والإفادة من زيتـها الذي استخدم حينذاك في أغراض الإضاءة ، غير أنهم بعد مقدمهم إلى بلاد الشام لاحظ مؤرخهم فوشيه الشار ترى Fulcher of Chartres الاختلافات بين الكائنات البحرية في الغرب الأوربي ، وبين تلك الموجودة في شرقي البحر المتوسط ، وقد قرر أن أنواعا من الأسمـاك لم يجـدها مثـل الحيتان[٨٩] ، وثعبان البحر [٩٠] ، ومع تسلمينا بأن تغيير البيئة الجغرافية أدى إلى تغيير الكائنـات البحرية إلى حدما على اعتبار أن هناك أنواعا من الأسماك في المحيط الأطلنطي وصلت إلى شـرقي البحر المتوسط عن طريق مضيق جبل طارق كما أسلفت الإشارة ؛ إلا أن المثلين اللذين ذكرهمـا ذلك المؤرخ الصليبي لم يعكسا على الأرجح واقع الأمر حينذاك حيث نعرف أن الفينيقيين من قبل مقدم الصليبيين بزمن بعيد صادوا الحيتان من تلك المنطقة [٩١] ، ثم أن ثعبان البحر صيد في مصر وهى الإقليم المجاور مباشرة لبلاد الشام ؛ وبالتالي لا يوجد مبرر منطقي لاختفاء النوعين المذكورين خاصة أن ذلك العصر لم يعرف ما يوصف " بالصيد الجائر" كما في عصرنا الحالي على نحو يـؤدي إلى انقراض النوعين المذكورين ، ومن المتصور أن ذلك المؤرخ لم يتوصل إلى الإشارة المذكورة بعد استقصاء كامل لكافة مناطق الساحل الشامي لعدم توافر إمكانية ذلك بصورة علمية دقيقة وعلى مدار العام على نحو يجعل الباحث يتحفظ على ما أورده .

على أية حال ؛ عرف المعاصرون سواء من المسلمين أو الصليبيين عدة وسائل لإعداد الأسماك للطعام ، فهناك قليها بالزيت ، أو شويها [٩٢] ، ثم لا نغفل طريقة التمليح [٩٣] وأخيراً التجفيف[٩٤] ويلاحظ هنا أن أكثر الطرق شيوعاً هي الطريقتان الأولى والثانية ، أما الطريقة الثالثة ، فكانت من

وسائل حفظ الأسماك من اجل تخزينها لاستهلاكها في مواسم الصيام عند المسيحيين الشـــرقيين أو الصليبيين ، ولا نغفل أن طريقة التجفيف وفرت وزن ذلك النوع من الأسماك الذي أشار إليه من قبل الإدريسي ، وابن شداد ، والعثماني ، وبالتالي سهل نقله ،دون أن يحتل وزناً كبيراً ، ومع ذلك لا نغفل أن التجفيف لم يكن ليتم إلا في حالة الأسماك الصغيرة الحجم ، وفي هـــذه الحالـــة تمـــت الاستفادة من ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الصيف ومن المهم أدراك أن التجفيـــف مكـــن المعاصرين من تناول أنواع الأسماك التي تم حفظها بتلك الطريقة في غير موسمها وعلى مدار العام مما ساعد على وجودها في الأسواق التجارية بصفة مستمرة ، وفي غير موسم صيدها • وهنا أهميـــة تلك الطريقة ، ناهيك عن إمكانية تصديرها من بعد ذلك خارج بلاد الشـــام دون الخوف مـــن فسادها •

ويلاحظ هنا ؛ أن الأسماك كانت غذاءً رئيسياً لسكان المنطقة على موائد المسلمين والصليبيين لاسيما في المناطق الساحلية والنهرية ، ولا نغفل أن الآخرين فضلوا في طعامهم أكل لحوم الصيد ، وكذلك الأسماك كما قرر البعض [٩٥] •

ووفقا لأحد المصادر التاريخية المهمة عن المطبخ الشامي في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري في صورة ما ألفه ابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـــ / ١٢٦١ م) فهناك أكلة سميـــت " سمك كزبرية [٩٦] "، وأخرى تحت مسمى " سمك مسلوق [٩٧] " ثم أكلة سمك سمى " متمر [٩٨]" ثم سمك سكباج [٩٩] " ، والملاحظ في كافة تلك الأكلات الشامية تفرعها مـــن النـــوعين المقلـــي ، والمسلوق ، وتم استخدام التوابل في أعدادها مثل الكزبرة ، والزعفران ، والزنجبيـــل؛ والفلفـــل بالإضافة إلى نباتات مثل البقدونس ، والنعناع ، ولم يفصح لنا المؤرخ المذكور أية مدينة من مـــدن الشام اشتهرت بإحدى الأكلات المذكورة ، أم أنها اتسمت بالطابع العام بمعنى أن كافة مناطق بلاد الشام تناولتها ، ومع ذلك فالمرجح ازدهار تلك الطرق في المدن الساحلية الشامية والنهرية •

وجدير بالذكر ؛ أن ورود إشارات في المصادر التاريخية المعاصرة لتعدد وسائل إعداد الأسمـــاك أمر لا يخلو من دلالته ؛ إذ يعكس تعدد أنواع الأسماك كذلك اخـــتلاف أذواق المســـتهلكين ، ثم مهارة وبراعة القائمين على وسائل الطهي ولا نغفل هنا أن الخليط السكاني الذي كانـــت عليـــه المنطقة في عصر الحروب الصليبية من أتراك ، وأكراد ، وعرب ، وغيرهم بالنسبة للمســـلمين ، وفرنسيين ، وإنجليز ،وألمان ، وروس ، وغيرهم بالنسبة للصليبيين ، كل ذلك أدى إلى اخـــتلاف أذواق المستهلكين ، وانعكس ذلك بالضرورة على طرق إعداد الأكلات السمكية كماً وكيفاً •

ومنطقي تصور أن الأصناف السابقة الذكر تناولها كل من المسلمين والصليبيين على حد سواء، فمن خلال ما كتبه أسامة بن منقذ اتضح لنا بجلاء أن من الأخيرين من تغيرت ميوله واتجـه إلى تناول أطعمه تناولها المسلمون [١٠٠] ، ولذلك من المتصور أن الصليبيين بعد استقرارهم لعدة عقود في بلاد الشام وجد منهم فضل أنواع الأطعمة الشرقية من خلال اتساع ظاهرة التمشـرق الـتي شملتهم هناك والتي كانت تعنى تأثرهم بالعديد من عادات وتقاليد المسلمين في الغذاء، والملـبس، ونحو ذلك .

أما تجارة الأسماك ؛ فمن المتصور ازدهارها من خلال الموقع الجغرافي الفريد لبلاد الشام في غربي أسيا وفى مواجهة قارتي أوربا وأفريقيا ، ثم أن ذلك العصر شهد صحوة تجارية من خلال المشروع الصليبي ودور المدن التجارية الإيطالية مثل جنوه ، وبيزة ، والبندقية في حركة التجارية بين الشرق والغرب ، وهكذا وجدت في المدن الشامية الداخلية والساحلية الأسواق التي باعت سلعاً تجاريـة مختلفة منها الأسماك أو أن يكون هناك سوق متخصص لها كما في حالة مدينة بيـت المقـدس ، إذ وجد فيها سوق للسمك بجوار سوق للتوابل ،وآخـر للدواجن ، والطيور [١٠١] .

وجدير بالذكر ؛ احتوت أسواق السمك في بلاد الشام في ذلك العصر ؛ على الأنواع المحلية ، وكذلك المستورد حيث استوردت من مصر السمك البوري الدمياطي كمـا أشـار إلى ذلـك البعض [١٠٢] .

ولا نغفل هنا ؛ أن الأسماك التي تم استيرادها من مصر كانت تصل إلى مدينة عكا وهى الميـناء التجاري الرئيسي لمملكة بيت المقدس الصليبية ، وهناك تزود بها العديد من التجارة والمسـافرين والبحارة على متن سفنهم التجارية المتجهة صوب الغرب الأوربي [١٠٣] ، ومما يـذكر هنـا ، أن التجار الإيطاليين استخدموا في أساطيلهم البحرية نوعاً من السفن عرف باسم Galleys ، وهى في الأصل سفن حربية ، ثم تم إدخال تعديلات عليها خلال عصر الحروب الصليبية ؛من أجل القيـام بنقل المنتجات التجارية المختلفة في نطـاق البحـر المتوسط [١٠٤] .

كذلك استوردت بلاد الشام سمكاً عرف باسم الطريخ من أرمينية ويلاحظ أن النوع المذكور اتخذ اسمه من كلمة طريخوس Tarichos اليونانية ، وكانت تعنى تمليح ، وهنـاك مـن يقـرر أن الطريخ عد نوعاً من أسماك الرنجة ، وقد تم تصديره إلـى حلب شمـالي بـلاد الشام [١٠٥] .

ولا نغفل أن ورود تلك الأنواع من الأسماك المستوردة إلى المناطق الصليبية كما في حالة ميناء عكا استلزم فرض الجمارك عليها ومن خلال قوانين مملكة بيت المقدس نعرف أن الرسـوم الـتي فرضت على الأسماك التي تم جلبها من مصر بلغ ٤ بيزنت [١٠٦] كذلك بلغـت تلـك الرسـوم

المفروضة علـــى كل علبـــة أو صـــندوق مـــن السمـــك المملـــح ١٨,٥ كـــاروبل (يســـاوى ١/٢٤ من البيزنت) (١٠٧) ولاريب في أن الخزانة الصليبية ربحت من وراء تلـك الرسوم شأنها في ذلك شأن ما كان يفرض على العديد من المنتجات الأخرى التي أفاضت قـوانين مملكة بيت المقدس في شرح نسب الجمارك عليها[١٠٨].

ولا نغفل هنا زاوية مهمة في أمر تسويق الإنتاج السمكي من المسطحات المائية العذبة والمالحة ، فالمسافات بين المدن الشامية عموما لم تكن كبيرة ، وإذا اتخذنا حدود مملكة الصليبيين ذاتها وقسم بين المناطق الإسلامية المجاورة لها عند حدودها الشمالية ، نجد أن المسافة بين طبرية ودمشق استغرقت ثلاثة أيام [١٠٩] ، كما أن المسافة بين طبرية وبيت المقدس احتاجت نفس المدة [١١٠] ، أما المسافة بين طبرية وعكا فقد استغرقت يومين [١١١]، ولاريب في أن ذلك كان له دوره في سهولة توزيع الإنتاج السمكي خاصة خلال فصل الشتاء من خلال برودة الطقس الذي ساعد على حفظ الأسماك دون أن يصيبها العفن خلال رحلات القوافل التجارية بين المدن الشامية المذكورة سواء كانت تحت السيادة الإسلامية أو الصليبية .

والواقع أن المصادر التاريخية لا تشفي غليلنا بالكشف عن أسماء كبار التجار الذين تاجروا في الأسماك على نطاق بلاد الشام ككل ، ومع ذلك يمكن الاقتراب من الأمر من خلال نص ورد في رحلة ابن جبير ،إذ أشار إلى أن هناك تاجرين كبيرين هما نصر بن قوام وأبي الدر ياقوت مولى العطا في [١١٢] ارتبط بهما تجارة الساحل جميعه ، ومن الممكن الافتراض أن تلك التجارة اشتملت علـى تجارة الأسماك لما لها من أهمية أوضحتها الصفحات السابقة ، ومن خلال كونهما من أبـرز مظـاهر النشاط التجاري بالساحل الشامي ، ومع ذلك أمام الصمت المصدري يظل الأمر مجرد احتمـال لايصل إلى درجة الحقيقة التاريخية المؤكدة .

وجدير بالذكر، أن إعداد الأسماك للطهي وتجارتها بصفة عامة اتصل بعدد من السلع الأخـرى مثل التوابل[١١٣] التي عدت سلعة استراتيجية في العصور الوسطى ، ولا نغفل هنا أن مدينة دمشق تلقت توابل الهند من ناحيتين ، عن طريق الخليج العربي ، ونهر الفرات ، وكذلك عن طريق عدن ومكة[١١٤] ، وقد قرر ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ما يفيد ازدهار نشاط العطارين بائعي التوابل في الأسواق الدمشقية [١١٥] ، ولا نغفل أن مدينة بيت المقدس احتوت أسواقها على توابل الشرق الأقصى[١١٦] التي اقبل عليها الصليبيون .

ثم هناك الزيوت حيث وجدت مراكز لعصر الزيوت في عدة مدن شامية ، كما نجد ذلـك في دمشق[١١٧] ، ونابلس ، وقد اشتهرت الأخيرة بإنتاج زيت الزيتون على نحو خاص[١١٨] فحققـت

بذلك شهرة كبيرة ، وذلك كله يعني أن العديد من المستلزمات الخاصة بطهي الأسماك وجدت محليا في بلاد الشام أو تم استيرادها من الخارج .

من زاوية أخرى ؛ عرفت بلاد الشام عصر الحروب الصليبية نظام الحسبة الذي وجد في المناطق الإسلامية ، وكذلك الصليبيين ، ويلاحظ أن الصليبيين ابقوا على عدد من الوظائف الإسلامية الصغرى في جهازهم الإداري كما هي ولذلك لم يكن غريباً أن أشار البعض إلى وظيفة المحتسب ، والريس ، والكاتب ، والترجمان(١١٩) . وعكس ذلك ؛ دهاء المستوطن الذي لم يشأ أن يحدث تغييرات شاملة في الجهاز الإداري القائم في بلاد الشام فيما قبل مقدم الصليبيين إليها، وأبقى على ما وجده يفيده في تحقيق مطامعه الاستعمارية العليا .

مهما يكن من أمر ؛ شهد ذلك العصر الحسبة على السماكين ، وتقدم لنا مؤلفات الحسبة التي وصلت إلينا الصورة النموذجية التي كان ينبغي أن يتم على أساسها إعداد الأسماك للطعام ، وكذلك وسائل الغش التجاري المختلفة التي لجا إليها بعض التجار ، وقد اشترط إلا يتم غسل السمك المالح ، ولا الطري بالماء لأن ذلك كان يؤدي إلي فساده(١٢٠) ، كذلك حرص المحتسب على عدم نقع السمك المالح في الماء لذات السبب(١٢١) ، إما فيما اتصل بطهيه ؛ فقد أمر القلائين بتنقيته ، وتنظيف ما في جوفه ، وغسله(١٢٢) ، وقد أكدت تلك المؤلفات على ضرورة المبالغة في تنظيفه ، أما عن قليه فيكون في زيت جيد ، كذلك شدد المحتسبون على ضرورة عدم خلط السمك الذي وصف بأنه " بائت " بالطري أى الطازج . وكانت علامة الأخير كما هو معروف حالياً إحمرار خياشيمه(١٢٣) ، ويلاحظ اله إذا ما فسد السمك تم إلقاؤه على المزابل خارج المدينة(١٢٤) ؛ حفاظاً على صحة السكان .

على أية حال ؛ أثرت الأسماك على المعاصرين ليس فقط من زاوية الغذاء ، ووجود حرف متصلة بها كالصيد وتجارتها ، بل امتدت إلى الوجدان الشعبي ذاته ، وهو جانب على قدر كبير من الأهمية من خلال توارثه جيلاً بعد آخر ، وترسخه في العقل الجمعي على الأقل في نطاق المشتغلين بحرفة صيد الأسماك ، ومن ثم تكونت بشأنها معتقدات شعبية خاصة ، إذ يحدثنا القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) عن تلك السمكة التي عرفت باسم " قاطوس " وقرر أنها نظراً لحجمها الكبير ، وإقدامها على مهاجمة السفن ؛ اتجه الملاحون إلى اتخاذ خرق الحيض ، وقاموا بتعليقها على السفينة ؛ من أجل إبقاء السمكة المذكورة عنها(١٢٥) ، ويلاحظ أن تلك الرواية تأكدت لنا بضرورة مشابهة من جانب الدميري (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) عندما ذكر أن الحوت – تحديداً – من عجائبه عدم اقترابه من سفينة بها إمرأة حائض (١٢٦) .

وواقع الأمر ؛ لا يتوافر لنا دليل علمي يدعم مثل ذلك الاعتقاد ، إن دَّل الأمر علـــى تملـــك الخوف الشديد من إنسان ذلك العصر تجاه نوعية معينة من الأسماك المفترسة ، ولـــذلك حـــرص الحرص أجمعه على اتقاء شرها من خلال تلك السلوكيات التي غذتها المعتقدات الشعبية المتوارثة ، ولا نغفل أن ورود تلك الرواية عن تأثير دماء الحيض على مثل تلك النوعية من الأسمـــاك لـــدى المؤرخين المذكورين على الرغم من الفارق الزمني بينهما لا يخلو من دلالة ؛لأنـــه يعكـــس لنـــا استمرارية تلك المعتقدات والأيمان بها في نطاق الصيادين ، والملاحين في ذلك العصر ، وفيما بعده.

من ناحية أخرى ؛ عرف عصر الحروب الصليبية بعض الطرائف عن نوع مامن الأسماك ، إذ وجد اعتقاد عن سمكة كانت تصاد في البحر المتوسط أشار إليها عبد اللطيف البغدادي وأسماهـــا سمكة " السرب "[١٢٧] وذكر أن من كان يأكلها تحدث له أحلام رديئة مفزعة خاصة إذا كـــان غريباً لم يعتدها ، وقد قرر أن هناك " أحدوثات " مضحكة خـــاصة بها وهي شهيرة[١٢٨] ، وعلى الرغم من أن ذلك الرحالة أشار إلى ذلك الموقف وهو يتحدث عن أسماك مصر ؛ إلا أن ذكره ذلك النوع ضمن حديثه عن الإسكندرية يرجح التصور بوجوده في السواحل الشامية من خلال تجاور الإقليمين جغرافياً ، وبالتالي تشابه أنواع الأسماك بهما .

أما عن طبيعة عمل قطاع صيادي الأسماك ؛ فواقع الأمر انهم عانوا من قسوة البحر ، وقســـوة مجتمعهم في أن واحد !!! ، ويكفي أن نقدم مثالين للمخاطر التي واجهتهم في أثناء عملهم ، فقـــد وجدت عدة " نوات "[١٢٩] ، ارتفع خلالها موج البحر ارتفاعاً كبيراً على نحو جلب الخطر علـــى حياتهم ، وبالنسبة لصيد أنواع معينة من الأسماك الخطرة ، نجد أن سمكة "الرعاد" على سبيل المثال– كانت تحدث "شحنة كهربائية " بلغة عصرنا ، وقد عبرا لقزويني عن ذلك بقوله "إذا وقعت مـــن الشبكة والصياد ماسك حبل الشبكة يرتعد من برودة هذه السمكة" [١٣٠] ، ولذلك فعندما يشعر بذلك يسارع بشد الشبكة ، ووضعها في وتد أو شجرة حتى تموت فتختفي منها تلك[١٣١] الصفة.

زد على ذلك ؛ من المتصور مثل كل عصر حدوث حالات للغرق من جانب الصيادين لاسيما عندما تشتد موجات البحر وتغرق مراكبهم أو سفنهم أو أثناء التعامل مع الأسماك المفترسة ، وأمام تخلف وسائل الإنقاذ حينذاك من المتصور هلاك العديد خـــلال تلك الأحـــداث[١٣٢] ، ناهيك عن تعرضهم لأعمال القرصنة وهو أمر متوقع في كل عصر .

أما الوضع الاجتماعي لمن ارتبط عمله بالأسماك صيداً ، وبيعاً ،فكان متدنياً ، ووفقاً لمـــا أورده تاجر دمشقي خبير عاصر القرن الثاني عشر الهجري/ السادس الميلادي ، نجده قد قرر أن الصنائع التي كرهها الحكماء تلك التي وصفت بأنها " المضرة بالعقول[١٣٣] " وحددها بأنها "التي يخـــالط

ذووها النساء أو الصبيان كثيراً ، ومنها البضائع المضرة بالأدمغة والأجسام مثل معالـــاة الأشـــياء المنتنة ، والسمك[١٣٤] " وقد قرر صراحة أن تلك المهن تجلب "الســـخرية والاســـتهزاء[١٣٥] " ، وهكذا ؛ تأكد لنا أن الاشتغال في حرفة صيد الأسماك وبيعها في بلاد الشام في ذلك العصر جلب لأصحابها احتقار المجتمع دون ذنب جنته أيديهم ، وبالتالي وجدوا في اسفل الهرم الطبقي في عصر شهد التحديد الشديد للبناء الطبقي الاجتماعي ، وهم بالتالي تساووا مع نفس المكانة الاجتماعية المتدنية للقائمين على حياكة ملابس النساء أو معلمي الصبيان ، وغيرهم .

ولا مفر من التقرير بان ذلك القطاع من السكان من المشتغلين بصيد الأسماك وبيعها تعــرض للظلم الاجتماعي الذي لا يستطيع الباحث الموضوعي إنكاره على الرغم من الهم قــدموا طعــام البحر إلى باقي عناصر المجتمع يعد جهد جهيد كما أقرت المصادر التاريخية ذاتها .

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ أن ذلك الظلم أمتد إلى نظرة المؤرخين لهم ؛ إذ أن تجنب الإشارة إلى ذلك القطاع من المجتمع وتجاهله إلا في القليل النادر عكس ميل المؤرخين عموماً للعناصر الرسمية ، والتي في المجتمع الشامي عصر الحروب الصليبية فاهتموا برجال السياســـية والحـــرب وتجـــاهلوا العناصر التي لم تحظ من المجتمع بالتقدير والتوقير ومنها بالطبع قطاع صيادي وبائعي السمك .

مهما يكن من أمر ؛ خلص البحث إلى عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالي :

أولاً : توافر لبلاد الشام في المرحلة الزمنية موضوع الدراسة العديد من الأنهار ، والبحيرات ، والينابيع ، والجداول العذبة ، وكذلك الساحــل الشــامي الممتد من السويدية (سان ســـيمون) شمالاً حتى غزة جنوباً ، ناهيك عن قطاع رأس خليج العقبة شمالي البحر الأحمر ، وتلك المصـــادر المائية احتوت على مختلف أنواع الأسماك وبالتالي وجدت عدة مصايد أهمها بحيرة طبرية بالنســـبة للمياه العذبة ، وصيدا بالنسبة لأسماك المياه المالحة .

ثانياً : أدرك المعاصرون أهمية الأسماك وفوائدها المتعددة ووردت إشارات مصدرية دالة علـــى ذلك ، على الرغم من وجود من تحفظ على الإكثار من تناولها خشية تسبب ذلك في أثار جانبية مضرة بصحة آكليها ، والتحذير المذكور لا يخلو من دلالة إذ يعكس أن ذلك العصر وجد فيـــه بعض المرضي الذين أفرطوا في تناول الأسماك على نحو انعكس سلبياً على صحتهم ، ومـــن ثم ورد مثل ذلك التحذير من جانب أحد الأطباء المعاصرين .

ثالثاً : وجدت عدة طرق لإعداد الأسماك للطعام في بلاد الشام في ذلك العصر ، فهناك القلي والشوي ، والتمليح ، والتجفيف ، واستخدمت الطريقتان الأولى ، والثانية بصورة شائعة ، أمـــا الطريقة الثالثة فقد تم استخدامها لحفظ الأسماك استعداداً لمواسم الصيام عند المسيحين الشرقيين ،

والصليبيين ، أما التجفيف فاستخدم في حالة الأسماك الصغيرة ذات الفائدة الكبيرة من الناحية الجنسية وهو أمر أشارت إليه مؤلفات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين •

رابعاً : أدرك الصيلبيون الاختلاف الجغرافي البيئي وأثره على اختلاف أنواع الأسماك في البيئة الأوربية عن شرقي البحر المتوسط ، وإذا كان المؤرخ الصليبي فوشيه الشارترى قد أورد أمثلة دالة على ذلك ؛ فقد أثبت البحث أن ما أشار إليه لم يكن ينطوي على دقة علمية أو استقصاء تام لكافة المصايد التي عمرت بها بلاد الشام خلال تلك المرحلة من تاريخها •

خامساً : وجد في بلاد الشام في ذلك العصر نظام الحسبة ومراقبة النشاط التجاري في الأسواق من خلاله ، وكان هناك الحسبة على السماكين وقد أشارت المولفات المتخصصة التي وصلت إلينا إلى " الصورة النموذجية " التي كان المحتسبون يطلبونها من السماكين ، كذلك وسائل الغش التجاري التي لجا إليها بعض الجشعين كسباً للمال دون وجه حق •

سادساً : تجلى الارتباط الجغرافي والتاريخي بين بلاد الشام ومصر في أمر الأسماك من خلال قدوم اسماك السردين إلى الشاطى الشمالي لمصر عند فرع دمياط ورشيد خلال موسم فيضان نهر النيل ، ومعه الطمي ، وبالتالي انجذاب ذلك النوع من الأسماك للغذاء الموجود فيه وهو البلانكتون ، ويلاحظ أن قسماً من طمي النيل ترسب على الساحل الشامي مثلما كان يحدث عند صيدا، وصور، وانجذبت لذلك الترسيب اسماك السردين التي أثرت التنوع السمكي هناك •

سابعاً : نظراً لأهمية مصايد الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ؛ فقد أشارت الوثائق الرسمية إلى دخولها ضمن مناطق بلاد المناصفات بين المسلمين والصليبيين • وتم النص صراحة على أن تكون ثروات تلك المصايد مناصفة بين الطرفين ؛ على نحو عكس أنها مثلث إحدى مناطق الثروات الاقتصادية التي رأى المعاصرون ضرورة النص عليها في الوثائق الدبلوماسية بين الطرفين المتصارعين حفظاً لحقوق كل طرف ، وبالتالي كانت تلك المصايد لها جانب من الأهمية تشبه المناطق الزراعية التي وقعت على الحدود بين الجانبين وتم النص عليها في الوثائق الخاصة بنظام بلاد المناصفات .

ثامناً : على الرغم من دور صيادي الأسماك في تقديم غذاء البحر لكافة قطاعات المجتمع الشامي الإسلامي والصليبي حينذاك ؛ إلا أن نظرة مجتمعهم لهم كانت متدنية وحملت في طياتها الاحتقار والازدراء ، وهكذا ؛ جاءوا في أسفل الهرم الطبقي وانعكس ذلك بدوره على الكتابة التاريخية ذاتها ؛ إذ عنى مؤرخو ذلك العصر بالكتابة عن الملوك والسلاطين والأمراء من زاوية أعمالهم السياسية والحربية . وتجنبوا الكتابة عن قطاع الصيادين وبائعي الأسماك كتعبير عن النظرة المشار إليها

ويستثنى في ذلك الإشارات القليلة المتناثرة هنا وهناك لاسيما في المؤلفات الجغرافية أو تلك المتصلة بالتجارة ونظمها في ذلك العصر .

تاسعاً : عندما نحاول الربط ـــ بإيجاز ـــ بين الحاضر والماضي نجد عند مقارنة مصـــادر الميـــاه العذبة التي شكلت مصايد الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية بعصرنا الحـــالي ، نجد إن العصر المذكور يتفوق على عصـــرنا و يا للمفارقة !!! إذ لم يعرف عصر الحروب الصليبية هنـــاك جفاف الأنهار – حيث لم ترد إشارات مصدرية في هذا الشأن ـــ بينما نجد الآن في سورية جف نهر قويق عند حلب .كذلك أصاب الركود نهر بردى وتكونت علية الطحالب الخضراء ، وهو النهر الذي من قبل طالما تغزل فيه الشعراء !!! أما في لبنان فقد جف نهر الكلب ، وما ذلك إلا نتاجـــا للجفاف الذي أصاب تلك المنطقة من خلال قلة منسوب الأمطار وعلى مدى أعوام طوال متصلة واثر على منسوب المياه في أنهارها ، وانعكس بالتالي على الأسماك بهـــا ، ولا نفعـــل كـــذلك إن معاصري الحروب الصليبية تناولوا اسماك اكثر ملاءمة لصحة الإنسان من وضعنا الحالي حيث إن البحر المتوسط يوصف بأنه من أكثر بحار العالم تلوثاً تكونت من خلال النفايات الكيماوية الملقـــاة من نحو ١٦ دولة تطل عليه .

ذلك عرض لموضوع الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب .

الهوامش

* أتوجه بالشكر لعدد من الباحثين الذين أفادوني بمشورتهم في سبيل إعداد البحث أذكر منهم أ ٠ د/ محمود محمد الديب أستاذ الجغرافيا الاقتصادية بكلية الآداب جامعة عين شمس ، د ٠ يحيي العباسي خريج كلية دار العلوم جامعة القاهرة والدكتور/ عبد العزيز محمد عبد العزيز مدرس التاريخ البيزنطي بقسم التاريخ كلية الآداب – جامعة عين شمس – كذلك أشكر القائمين علي كلية العلوم جامعة عين شمس ومعهد الأحياء المائية بالإسكندرية – والسيد / سمير صبري الباحث بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية – والسيد/ محمد العمري المعيد بجامعة حلب بسوريا الشقيقة ٠

(١) عن الأسماك بصفة عامة أنظر :

الجاحظ ، الحيوان جـ١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٠ القاهرة ١٣٥٧هـ ، صـ٢٣٣، جـ٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٠ القاهرة ١٣٥٩ هـ ، صـ١٥٧ ، ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، نشر يوسف خياط ، م٢، ط٠ بيروت ب٠ت ، صـ٢٠٥ – صـ٢٠٦ ٠

Herald (E.S.), Living Fishes of the world, New York 1961.

Nelson (J.S.), Fishes of the world, New York 1970 .

Norman (J.R.), A History of Fishes, London 1958 .

Bond (C.E.), Biology of Fishes, Philadelphia 1979.

(٢) عن ذلك أنظر :

Maniates (G.), "The Organizational setup and Functioning of the fish market in tenth Century Constantinople" in D.O.P.,Vol. LIV, 2000, 11.14.

(٣) إتحاد الهانزا أو العصبة الهانزية عبارة عن اتحاد تجاري بين عدد من مدن شمالي ألمانيا في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري وفيه عملت مدن كولونيا وبريمن ، ولوبيك ، وغيرها علي حماية نشاطها التجاري خاصة من هجوم عناصر القراصنة ، ويلاحظ أن تلك المدن اهتمت علي نحو خاص بصيد وتجارة أسماك الرنجة ،ومن خلال مراسيم العصبة الهانزية يتضح لنا أنها تعهدت ببذل قصارى جهدها لتطهير البحر من القراصنة ، وتقرر أن أي شخص تتم إدانته بالسرقة ويتم طرده من حماية القانون يكون عقابه كذلك في جميع مدن اتحاد العصبة الهانزية ، كما تم الاتفاق علي أنه في حالة نشوب حرب في البلاد لا يحق لأية مدينة الاعتداء علي رعايا وتجار المدن الأخرى سواء في صورة أشخاص أو بضائع ، وأنها تقوم بتوفير الحماية لهم ، ومن المقرر أن اتحاد عصبة الهانزا ضعف مع حدوث تغيير مسار أسماك الرنجة لأسباب غير معروفة حيث لم تعد تمر بوفرة في منطقة بحر البلطيق ، وكذلك مع قيام حكومات أوربية مركزية قوية تمكنت من القضاء علي نشاط القراصنة ، عن ذلك الاتحاد أنظر :

Zimmerman (H.), The Hansa Towns, London 1889, (E.),

وهي دراسة اساسية عن موضوع اتحاد مدن الهانزا علي الرغم من مرور ما يزيد القرن علي صدورها ٠

Christiansen (E.),The Northern Crusades the Baltic and the Catholic Frontier 1100- 1525, Minneapolis 1980, p.115, p.173.

سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطي ، حـ١ ، ط ، القاهرة ١٩٨١م ، صـ٥٩٢ ، صـ٥٩٧ ،صـ ٧٤٢ ، هنري بيرين ، تاريخ أوربا في العصور الوسطي (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ت ، عطية القوصي ، ط ، القاهرة ١٩٩٦م ، صـ١٤٥ ، صـ١٤٩ ، موريس كين ، حضارة أوربا العصور الوسطي ، ت ، قاسم عبده قاسم ، ط ، القاهرة ٢٠٠٠ م ، صـ٢٠٩ ، صـ٢١١ ، روبرت لوبيز ، ثورة العصور الوسطي التجارية ٩٥٠ - ١٣٥٠ ، ت ، محمود أحمد أبو صوة ، ط ، مالطة ١٩٩٧ م ، صـ١٤٠ - صـ١٤١ ،

(٤) عن ببليوغرافيا الحروب الصليبية أنظر :

ATiya (A.S.), The Crusade, Historiography and Bibliography, London 1962.

Mayer (H.E.), Bibliographie Zur Geschichte der kreuzzuge, Hannover 1965.

Mayer(H.E.), and Joyce Mclellan, Select Bibliography of the crusades, vol. V1, Wisconson 1989,pp. 511 - 648.

محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط ، القاهرة ١٩٩٦م.

(٥) حسن أبو العينين ، جغرافية البحار والمحيطات الاوقيانوغرافيا ، ط ، الأسكندرية ١٩٨٢م، صـ٤٣٣ ،

(٦) نفسه ، نفس المرجع والصفحة ،

ماكسويل ريد وويلفورد بروتسون ، قصة البحر ، ت ، محمود محمد رمضان ، ط القاهرة ١٩٦٣م ، صـ١٨٦ ،

(٧) حسن أبو العينين ، المرجع السابق ، صـ٤٣٣

(٨) روبرت كاون ، البحار وما فيها ، قصة الكشوف العلمية البحرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ت ، عبد الحافظ حلمي ، ط ، القاهرة ١٩٦٧م، صـ٣٣٣ ،

(٩) هناك من يري أن وزن الحوت الأزرق يصل إلي ١٢٠ طن ، وهو بالتالي يوازي ١٢٠٠٠٠كيلو جرام ، عن ذلك أنظر :

حسن أبو العينين ، المرجع السابق ، صـ٤٥٠ ،

وعن الحوت أنظر هذه الإشارة :

ابن بسام ، أنيس الجليس في أخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م (١٤) ، عام ١٩٦٧ م ، صـ١٨٦ ، صـ ١٨٧ ،

ويصفه بقوله : "طوله ثمان وعشرون ذراعاً ونصف ، بلا قشر ولا صدف ، لونه أسود وبطنه أبيض ، طول رأسه ستة أذرع ونصف ، وعرض طرف ذنبه خمسة أذرع وحمل إلي الحضرة ، وكان المملح له يدخل فيه قائماً غير منحن" ،

(١٠) عن البلا نكتون أنظر :

أنور عبد العليم ، ثروتنا المائية ، ط • القاهرة ١٩٦٥ م ، صـــ ٢٥ ، هيلين فوجل وماري كاروزو ، حصاد المحيط مستقبل علوم البحار ، ت• زكريا فهمي ، ط• القاهرة ب – ت ، صـــ٣٢، هامش (١) •

(١١) أنور عبد العليم ، المرجع السابق ، صـــ٢٥ •

(١٢) الجاحظ ، المصدر السابق ، جـــ٤ ، صـــ١٧١ •

(١٣) سني الدين محمد صادق ، علم تفريخ الأسماك ، حـــ١ الأساسيات ، ط • القاهرة ١٩٩٧م ، صـــ ٧ •

(١٤) نفسه ، نفس المرجع ، صـــ٨ وعن هجرة الأسماك أنظر :

Godnight (M.L.), Gray (p.), General Zoology, Oxford 1964 p. 242- Norman (J.R.), A History of Fishes, p. 252 – 278

وبصفة عامة؛ من الممكن تمييز نوعين من هجرة الأسماك ، هجرة صاعدة تتجه فيها الأسماك نحو مواطن التزاوج في المياه الضحلة أو تجاهها أو المياه العذبة أو رؤوس الأنهار ، ومن أمثلتها أسماك التونة ، والسلمون ، وهجرة هابطة تتجه فيها الأسماك المهاجرة إلي مواطن تزاوجها في المياه العميقة ، ومـــن أمثلتـــها أسمـــاك البـــوري والطوبار •

عن ذلك أنظر : أحمد حماد الحسيني ، هجرة الحيوان ، ط • القاهـــرة ١٩٥٨ م ، صـــ٧٩

(١٥) عن ذلك أنظر :

سامر مخيمر وخالد حجازي ، أزمة المياه في المنطقة العربية الحقائق والبدائل ، سلسلة عـــالم المعرفـــة ، ط• الكويت ١٩٩٦م ، صـــ٢٧ •

(١٦) عنه : جاك دي فتري ، تاريخ بيت المقدس ، ت • سعيد البيشاوي ، ط• عمان ١٩٩٨م ، صـــ ٦٦ •

Ludolph Von Suchem, Description of the Holy Land, Trans. By Aubrey Stewart, p.p.T.S., Vol.,London 1895, p. 119- 121.

سامر مخيمر وخالد حجازي ، المرجع السابق ، صـــ٣٣ •

صبحي طوقان ، الموسوعة الفلسطينية ، ط • القاهرة ١٩٦٩ م ، صـــ٥٥٢

(١٧) عنـــه : John of wurzburg, Description of the Holy land , Trans. By Aubrey Stewart, p.p.T.S., vol . v, London 1896, p. 50.

فتحي فياض ، "فلسطين الموقع والموضع دراسة جيوبولوتيكية" ، ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ ، مركـــز الدراسات التاريخية – جامعة القاهرة – بإشراف أ•د•حامد غانم زيان ، ط• القاهرة ١٩٩٦م• صـــ٣٧ •

سني اللقاني ، الأقليم السوري واقتصادياته ، ط • القاهرة ب – ت ، صـــ٨٠ •

(١٨) وقد أطلق علي نهر العاصي في المصادر عدة أسماء هي:

phar phar , Far Far ,Orontes

عنه أنظر :

Daniel, pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy land, Trans. by Wilson,p.p.T.S.,Vol. V1, London 1895, p.

Fetellus, Description of the Holy land, Trans. By J.R. Macpherson, p.p.T.S., Vol. V, London 1897, P. 24.

الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، حـ١ ، ط • بيروت ١٩٨٩م • صـ٢٥٧، ابن شاهين ، زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط • باريس ١٨٩٤م ، صـ٤٨ •

وانظر أيضاً •

Cahen (C), La Syrie du nord a,lépoque des Croisades et la princepaute Franque d,Antioch, Paris 1940, p. 128 .

محمد محمود الصياد ، معالم جغرافية الوطن العربي ، ط • القاهرة ب – ت ، صـ ١١٧

(١٩) عنه أنظر :

ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ الحلب ،حـ١، ط ، تحقيق سامي السدهان ، ط • بيروت ب•ت ، صـ٧٦ ، حاشية (١) •

(٢٠) عنه أنظر :

السيد أحمد أبو العينين ، دراسات في جغرافية لبنان ، ط • بيروت ١٩٦٨م ، صـ٢٢٢ ، يوسف الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ط • بيروت ١٩٥٤م • صـ١٧، وقد أطلق علي نهر الليطاني تعبير ليـونتس Leontes

عن ذلك أنظر :

Richard (J.), "Agricultural Conditions in the Crusader States" , in Setton,A History of the crusades, vol.V, Madison 1985, p.253 .

محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية السياسة ، المياة ،العقيدة ، ط • القاهرة ٢٠٠١م ، صـ٧١ – صـ٧٢ •

(٢١) يسري الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، ط •الإسكندرية ١٩٨٤م ، صـ٢٣٣

(٢٢) عنها أنظر : أبن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ط • بيروت ١٩٧٠ م ، صـ١٥١ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط• بيروت ب•ت، صـ٢١٧ – ٢١٨ ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط • بيروت ١٩٨٠ م ، صـ ٣٨٥ ، و مر مرجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين العربية ، ط • بيروت ١٩٨٧ م ، صـ٢٠٤ ، وعن سمكها أنظر :

Elton (C.), Animal Ecology, London 1968, p. 76 .

(٢٣) عن ذلك أنظر :

طه ثلجي الطراونة ، المرجع السابق صـ ٨٢ ، وعن بحيرة الحولة أنظر :

علي محمد علي ، نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية ، ط القاهرة ب – ت ، صـ١٧٧.

(٢٤) عن تلك البحيرات أنظر :

شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ، ط• ليزج ١٩٢٣ م ،صـــ٢٠٥، صـــ ٢٠٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، حـــ٢ ، تحقيق سامي الدهان ، المعهـــد الفرنســـي للآثار الشرقية بدمشق ، ط• دمشق ١٩٥٤ م ، صـــ ٢٩٢ ، حاشية (٤)، محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للإمبراطور البيزنطية في عهد مانويل كومنين، ط. الإسكندرية ١٩٨٥م ، صـــ ١٦٨، حاشـــية (٢) محمد مؤنس عوض ، في الصراع الاسلامي — الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١ — ٥٦٩ هـــ / ١١٤٦ — ١١٧٤ م ، ط • القاهرة ١٩٩٨م ، صـــ١٧٠ حاشية (٢) •

(٢٥) William of Tyre, A History of deeds done beyond the sea trans. by babcock and A.C. krey, vol. ii, New Yourk 1943, p. 498.

(٢٦) Burchard of Mount sion, A Description of the Holy land, trans. By Aubrey Sewart, p.p.t.s., vol XII, london 1896, p.28,

(٢٧) Ibid, p. 28, note (4).

(٢٨) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوســـطي ، حـــــ١ ، ط• القاهرة ١٩٦٣ م صـــ ٣٢٧ •

وعن بعض أنواع أسماك تلك المنطقة أنظر :

يوجيني كلارك وحامد عبد الفتاح جوهر ، أسماك البحر الأحمر : الأسماك المعقوفة الفكين (البلكتو جناني) ومعهد علوم البحار — جامعة القاهرة محطة الأحياء البحرية بالغردقة ، ط • القاهرة ١٩٥٣ م صـــ٣ — صـــ ٣٣ •

(٢٩) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ت • يحيي الخشاب ، ط • القاهرة ١٩٤٥ م ، صـــ١٧

(٣٠) شيخ الربوة الدمشقي ، المصدر السابق ، صـــ٢٠٥ •

(٣١) عن سقوط أنطاكية في قبضة الصليبيين أنظر :

Anonymous, The deeds of the Franks and other pilgrims, Trans. By R. Hill, New York 1962, p. 47

Raymond d,Aguilers, in peters, The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Chartres and other source Materials, Pennsylvania 1971, p.168.

بطرس توديبود ، تاريخ الرحلة إلي بيت المقدس ، ت• حسين محمد عطية ، ط• الإسكندرية ١٩٩٨م ، صـــ١٨١ صـــ ١٨٤، جمال محمد الزنكي ، مؤيد الدين ياغي سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولي ٤٧٧ — ٤٩١ هـــ/ ١٠٨٥ — ١٠٩٨ م ، حوليات كلية الآداب — جامعة الكويت ، الحولية (١٨) • الرسالة (١٢٦) ، ط• الكويت ١٩٩٨م ، صـــ١٥٣ — صـــ١٥٤ •

(٣٢) عن ذلك أنظر :

Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusade, Trance by Tritton, J.R.A.S., 1933, p.184.

أبن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ط• بيروت ١٩٠٨م ، صـــ٣٠٨ ، أبن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط • القاهرة ١٩٦٣م، صـــ١٠٦ ، محمد

مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين المشرق والغرب ، ط ، القاهرة ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ م، صـــ ١٨٥ – صـــ١٨٦ .

(٣٣) عن بلاد المناصفات أنظر :

علي السيد علي ،" أضواء جديدة علي العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنج في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (بلاد المناصفات) "، الدارة ، العدد (١) ، السنة (١٨) شوال – ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٢ هـــ صـــ١٦٧ – صـــ ١٨٤ .

(٣٤) عمر كمال توفيق ، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين دراسات تحليليـــة وثائقيـــة في التاريخ الدبلوماسي ، ط . الإسكندرية ١٩٨٦م ، صـــ ٢٢٠ .

(٣٥) نفسه ، نفس المرجع ، صـــ٢٢١ .

(٣٦) نفسه ، نفس المرجع ، صـــ ٢٢٣ .

علي السيد علي ، المرجع السابق صـــ١٧٧ .

(٣٧) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـــ ١٤ ، ط . القاهرة ١٩١٨ م ، صـــ٣٣ .

(٣٨) نفسه ، نفس المصدر ، جـــ١٤ ، صـــ ٣٣ .

وقد أورد العلامة الراحل أ.د. عمر كمال توفيق نص الوثيقة التي أوردها القلقشندي في كتابـــه الســـالف الذكر ، عن ذلك أنظر :

عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، صـــ٢٤٤ – صـــ٢٥٣ .

وعن المعاهدة المذكورة نجد إشارة إليها لدي أبن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيـــق عبد العزيز الخويطر ، ط . الرياض ١٩٧٦م ، صـــ ٢٨٣ .

(٣٩) عن معركة حطين أنظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشـــيال ، ط . القـــاهرة ١٩٦٤م ، صـــ٧٥ – صـــ٧٦ .

The Old French Continuation of William of tyre 1194- 1197, in the Conquest of Jerusalem and the Third Crusade, sources in Translation ,ed., by P.W. Edbury, Hampshire 1996, pp. 158-163.

The Horns of Hattin ed., Kedar (B.), Jerusalem 1982.

Richard (J.), "La bataille de Hattin, Saladin defait L,Occident," L,Histoire, T. XIVII, Annee 1982 , pp. 104 - 111

ديفيد جاكسون ، " معركة حطين والإستيلاء علي القدس " ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد ، ط . القاهرة ١٩٨٩م ،صـــ٨٦ – صـــ١١٠ ، جوزيف نسيم يوسف ،" معركة حطين ، خلفياتها ودلالاتها" ، عالم الفكر ، م (٢٠) الكويت ١٩٨٩ م ، صـــ ٢٣٥ – صـــ٢٥١ .

(٤٠) عن صلح الرملة أنظر :

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of lion ,Trans . by Hubert, New york 1943, P 429 .

Geoffrey of Vinsauf , Crusade of Richard Coeur de Lion , In Chronicles Of The Crusades , London 1908 , p . 429- 430

Richard Of Devizes, Crusade of Richard Coeur de Lion in Chronicles of the Crusades, London 1908,1 64 - 65.

محمود سعيد عمران ،" المدن بين المسلمين والصليبيين في عصر الدولة الأيوبية" ، ضمن كتاب دراسات في بحوث تاريخ العصور الوسطي ، ط ، الإسكندرية ١٩٩٦ م ، صـ٢٦ – صـ٢٧ .

(٤١) عن اتفاقية يافا ١٢٢٩ م/ ٦٢٥هـ ، أنظر :

ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، حـ٤ ، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور ، ط بيروت ب ، ت ، صـ٢٤١ – صـ٢٤٣ .

ابن نظيف الحموي ، التاريخ المنصورى تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، ط ، دمشق ١٩٨٢م ، صـ١٧٦ ، عادل عبد الحافظ ، العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٥٢ – ١٢٥٠ م / ٥٤٧ – ٦٤٨ هـ ، ط ، القاهرة ١٩٨٩م ، صـ٢٩٢ – صـ٢٩٥ ، نظير حسان سعداوي ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط ، القاهرة ١٩٦١م، صـ٩٧ .

Van cleve (T.C.) ," The Crusade of Frederick Π" , in Setton , A History of The Crusades, Vol. ,Π, Madison 1969, p. 455.

(٤٢) عن إغارات أسراب الجراد علي بلاد الشام عصر الحروب الصليبية أنظر :

العظيمي ، تاريخه ، تحقيق علي سو يم ، الجمعية التاريخية التركية ، ط ، أنقرة ١٩٧٦م، صـ٣٤ .

William of tyre, Vol .I, P.535

عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط ، الإسكندرية ١٩٥٨ م ، صـ٩٤ ، محمد مؤنس عوض ، إغارات أسراب الجراد وأثرها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤ – ١١٥٩ م / ٥٠٩ – ٥٥٤ هـ ، ط ، القاهرة ٢٠٠٢ م .

(43) Anonymous, Chronicle of The Third Crusade A translation of the Itinerarium peregrinorum et Gesta Regis Ricardi, Trans. by Helen J. Nicholson, London 1997, P. 109.

(٤٤) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مق ١٤ : ١١-١٩

Pax (W.), Sur les Chemins des jesus, tell Aviv 1970, P. 107, with jesus In The Holy Land, tell Aviv 1979, P. 36.

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧ ميلادية. ط. القاهرة ١٩٩١م، ص ١٠٠.

(45) Daniel, P.62

(٤٦) أنيس فريحه، أسماء المدن والقرى اللبنانية. ط. بيروت ١٩٥٦م، ص ٢٠٣.

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامي، ط. الإسكندرية ١٩٨٦م. ص١٧-ص١٨.

(٤٧) الإدريسى، المصدر السابق. ص ٣٧١.

(٤٨) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٤٩) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٥٠) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م. ص ٢٧-ص٢٨.

(٥١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامى الدهان، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بدمشق، ط. دمشق ١٩٥٦م، ص ٩٨.

(٥٢) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٥٣) الحميرى، المصدر السابق، ص ٣٧٣.

أيضاً : القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، حـ ٤، ط. القاهرة١٩١٨م، ص ١١١.

(٥٤) العثمانى، تاريخ صفد، تحقيق برنارد لويس B. S. O.A. S. Vol. XV, London 1953، ص٤٨١.

(٥٥) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٥٦) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٥٧) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(58) Burchard of Mount Sion, P. 28, note (6).

(59) Ibid, P. 28, note (6).

(٦٠) بوركهارد أوف مونت سيون Burchard of Mount Sion راهب ألمانى دومينكانى قام بزيارة فلسطين فى القرن الثالث عشر م/ السابع هـ وبالتحديد فى عام ١٢٨٣م/٦٧١هـ وزار العديد من المواقع الجغرافية ويقرر نقولا زيادة أن ذلك الرحالة يمتاز على غيره من الرحالة بعنايته بالآثار خاصة فى تلك المناطق المتصلة بذكريات المسيحية المبكرة الواردة فى الكتاب المقدس؛ غير أن ذلك الاتجاه وجد بصور مختلفة لدى كافة الرحالة الأوربيين الذين زاروا فلسطين خلال عصر الحروب الصليبية بصفة عامة ومع ذلك من الانصاف التقرير بأن ذلك الرحالة عنى عناية خاصة بالزوايا الجغرافية الطبيعية، والبشرية، والاقتصادية على نحو جعل لرحلته أهمية خاصة من بين مؤلفات الرحالة الأوربيين حينذاك، عنه وعن رحلته انظر :

Grabois (A.), "Christian Pilgrims in the Thirteenth Century and the latin kingdom of Jerusalem : Burchard of Mount Sion", in Outremer studies in The History of the Crusading kingdom of Jerusalem presented to Joshua prawer, Jerusalem 1982, PP. 285-295.

نقولا زيارة، رواد الشرق العربي فى العصور الوسطى. ط. بيروت ١٩٨٦م، ص١١٣-ص١١٤.

محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون فى العصور الوسطى ، ط . القاهرة ٢٠٠٤م ، ص٨١-٨٩ .

(61) Burchard of Mount Sion, P. 28, note (6)

(٦٢) عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، ص ١٠٩.

(٦٣) فرنان بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حمص ٢٠٠١م. ص ٤٥. وعن البحر المتوسط أنظر : Siegfried (A.), the Mediterraneau, trans. by Dorvs Hemmings, London 1948 يسرى الجوهرى جغرافية البحر المتوسط ١ط. الإسكندرية ١٩٨٤م.

(٦٤) نفسه، نفس المرجع، ص ٤٧.

(٦٥) نفسه، نفس المرجع، ص ٥١.

(٦٦) القزوينى، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط. بيروت ب. ت، ص ١٣٨.

(٦٧) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٦٨) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٦٩) إميل لودفيج، نهر النيل، ت. عادل زعيتر، ط. القاهرة ب- ت، ص ٦٧- ص٦٨، سليمان حزين، "توسع العرب وانتشار الاسلام"، ضمن كتاب إسلاميات لمجموعة من الباحثين، ط. القاهرة ب- ت، ص٨٠.

وعن نهر النيل من الزاويتين الجغرافية والتاريخية أنظر : محمد عوض محمد، نهر النيل، ط. القاهرة ١٩٦٣م، محمد حمدى المناوى، نهر النيل فى المكتبة العربية، ط. القاهرة ١٩٦٦م، قاسم عبده قاسم، نهر النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

(٧٠) حسن أبو العينين، المرجع السابق، ص ٤٤٩.

(٧١) جوده حسنين جوده، جغرافية البحار والمحيطات، ط. الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص ٥٦٥.

(٧٢) الغسانى، المعتمد فى الأدوية المفردة، صححه وفهرسه مصطفى السقا، ط. بيروت ب. ت. ص ٢٤٢.

(٧٣) نفسه، نفس المصدر، ص ٢٤٣.

(٧٤) نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد فى عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢١٩.

(٧٥) ابن القيم الجوزية، معجم التداوى بالأعشاب، ط. بيروت ب. ت، ص ٥٨.

(٧٦) نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص ٢٢٩.

(٧٧) موريس لومبار، الإسلام فى مجده الأول من القرن٢ إلى القرن ٥ هـ ٨-١١م، ت. إسماعيل العربى، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م. ص ٢٨٢.

يلاحظ ان حوت العنبر Sperm —Whale امتاز بضخامة الرأس نظراً لوجود وسادة كبيرة من الشحوم تقع أمام محفظة المخ، وتقوم خلايا كبيرة بإفراز هذا الشحم على طول الممر الأنفى، وقد ظنه البعض أنه مخ الحيوان، حتى اكتشف علماء الحيوان حقيقة الأمر عن ذلك أنظر :

أحمد حماد الحسينى، المرجع السابق، ص ٤٢.

(٧٨) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، جـ٣، ط. القاهرة ١٢٩١هـ، صـ ١٣٤.

(٧٩) موريس لومبار، المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٨٠) موسى بن ميمون Moses Maimonides طبيب وفيلسوف يهودى ولد فى قرطبة بالأندلس عام ١١٣٥م/ ٥٢٩هـ، وفيما بعد انتقل مع أسرته الى فاس بالمغرب الأقصى، كذلك اتجه الى بلاد الشام، ومنها إلى مصر، وارتبط بالسلطان صلاح الدين الأيوبي حيث عمل طبيباً خاصاً به، وقد حقق شهرة كبيرة فى المجال الطبى، ومن المعروف أنه عمل فى عيادته فى الفسطاط حيث استقبل مرضاه، باشر علاجهم ويقال أنه مكث فى مصر نحو ثلاثين عاماً عكف خلالها على علاج مرضاه، والتأليف الطبى والفلسفى، وقد ترك عدداً من المؤلفات نذكر منها فصول القرطبى، والمختصر لكتاب جالينوس، والرسالة الفاضلية فى السموم، والتحرز من الأدوية القتالة، مقالة فى الربو، وأخرى فى البواسير. وثالثة فى الأعراض، ولا نغفل تأليفه لكتابه الفلسفى الشهير دليل الحائرين الذى تأثر فيه بالفيلسوف الأندلسي ابن رشد، وقد توفى موسى بن ميمون عام ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ، ودفن بفلسطين عند طبرية عنه أنظر:

ابن أبى أصيبعه، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب. ت، ص٥٨٢–ص٥٨٣، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٣٩.

Goitein (S. D.), "Moses Maimonides Man of action : A revision of the Master's Biography in light of the Geniza Documents," Hommage a George Vajda, ed. By G. Nahom and ch. Touati, louvain 1980, P1. 156-167.

Cohen (M.), The Burdensome Life of A jewish physician and communal leader : A Geniza Fragment From The alliance Israeli Universelle Collection in J. S. A. I., Vol. XVI, 1993, the institute of Asian and AFrican studies, the Hebrew university of Jerusalem 1993, PP. 125-136.

Lev (Y.), Saladin in Egypt, leiden 1999, P. 189.

إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط. القاهرة ١٩٣٦م، كمال السامرائى، مختصر تاريخ الطب العربى، جـ٢، ط. بغداد ١٩٨٥م. ص٥٤ – ص٦٠، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، دراسة وثائقية، ط. القاهرة ١٩٧٩، ص ٦١–ص٦٢، محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٠١. وانظر أيضا الفصل الأخير من هذا الكتاب .

(٨١) موسى بن ميمون، المقالة الفاضلية، ت. عائشة زيدان، حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس، م (٢٥)، جـ (١٢)، عام ١٩٩٦–١٩٩٧م. ص ٤٠٥.

(٨٢) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٨٣) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٨٤) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٨٥) القزويني، المصدر السابق، ص١٣٣؛ الدميرى، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٩. Anonymous, Chronicle of the Third Crusade, P. 109.

(86) Wright (T.), Anglo Saxon and old English Vocabularies, vol. I, London 1884, P. 88.

(87) Ibid, P. 88.

(88) Ibid, P. 88.

(89) Fulcher of Chartres , p. 284 .

(90) Ibid, P. 284.

(٩١) هيلين موبل ومارى كاروز، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٩٢) الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٤٣.

(٩٣) الغساني، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

(٩٤) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٣٧١.

(95) Benvenisti (M.), The Crusaders in the Holy land, Jerusalem 1976, P. 316.

على السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٤٠–ص١٤١.

ويلاحظ أن الصليبيين تناولوا الأسماك حتى ملوكهم، ومن ذلك ما نعرفه من أن الملك الصليبي بلدوين الأول تناول وجبه سمك في عام ١١١٨م/ ٥١٢هـ بعد انتهاء حملته على مصر وقد توفى على أثرها عن ذلك أنظر : William of Tyre, Vol. I, P. 515 صلاح الدين نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ٤٩٠–٥١٥ هـ/ ١٠٩٧–١١٢١م، ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، ص ٣٤٤.

(٩٦) ابن العديم، الوصلة إلى الحبيب في ذكر الطيبات والطيب، تحقيق سلمى محجوب ودرية الخطيب، معهد التراث العلمي العربي جامعة حلب، ط. حلب ١٩٨٨م، ص ٧٤٩.

(٩٧) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٩٨) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٩٩) نفسه، نفس المصدر والصفحة وأنظر الملاحق.

ويقرر نبيل عبد العزيز أن السكباج وصف بأنه شيخ الأطعمة وزين الموائد، أنظر

نبيل عبد العزيز، المطبخ السلطاني، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص ١٠، حاشية (١٥).

(١٠٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ١٨٠.

(101) Anonymous, The City of Jerusalem, trans. by Conder in P. P. T. S., Vol. London 1894, P. 287.

Prawer (J.), The Latin kingdom of Jerusalem european colonialism in the Middle Ages, London 1973, P. 409.

(١٠٢) ابن بطوطة، الرحلة، ط. بيروت ب. ت، ص ٣٣.

(١٠٣) على السيد على، "طرق القوافل القاهرة – دمشق فى عصر الحروب الصليبية"، ندوة التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص ٤٨٠.

(١٠٤) حاتم الطحاوى، "القانون البحرى لمملكة بيت المقدس الصليبية – قراءة فى مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كية الآداب – جامعة القاهرة، م (٥٨)، عدد (٤)، أكتوبر ١٩٩٨م، ص ٤٨١.

وعن هذا النوع من السفن أنظر :

فايد حماد عاشور، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي فى العصر الأيوبي، ط. الإسكندرية ١٩٨٠ ص ٥١، حاشية (٣٦)، حاتم الطحاوى، بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية ١٠٨١–١٢٠٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٤١، كوبر، جغرافية النقل البحرى، ت. محمود ربيع الملط، ط. الإسكندرية ١٩٧٨م، ص ٢٩.

(١٠٥) فايز نجيب إسكندر، الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى، ط. الإسكندرية ب. ت ص٢٧.

(١٠٦) حاتم الطحاوى، الاقتصاد الصليبي فى بلاد الشام. ط، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٤٦.

والبيزنت Bezant هو فى الأصل السوليدس Solidus عمله ذهبية بيزنطية، وأول مرة تم سكها كان ذلك عهد الإمبراطور انستاسيوسAnastasius فى عام ٤٩٨م، وقد وردت الكلمة بصور أساسية فى وثائق رجعت إلى المرحلة بين القرنين ١٠، ١٣م/ ٤،٧هـ ويلاحظ أن من الباحثين من وصف البيزنت بأنه دولار العصور الوسطى، عنه انظر :

O. D. B, Bezant, Vol. I, Oxford 1991, P. 287.

رأفت النبراوى، النقود الصليبية فى الشام ومصر، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٣٣، حاشية (٢)، محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص ٦٤، حاشية (١)، الحملة الصليبية الخامسة، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص ٢٧١، حاشية (٧) حسين محمد عطية، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ٣٢٨، حاشية (٣٧).

(١٠٧) حاتم الطحاوى، المرجع السابق، ص١٦١.

(108) Livre des Assisses de Jerusalem ed. Par Beugnot, paris 1881, PP. 173-181.

ونجد الترجمة العربية للنص المذكور ضمن ملاحق الدراسة القيمة التى أعدها الزميل د. حاتم الطحاوى.

(١٠٩) ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ٤، ط. بيروت ١٩٧٩م، ص ١٧.

(١١٠) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(١١١) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(١١٢) الرحلة، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢٨١.

يقول النص : ".. رجلين من مياسر التجار وكبرائهم وأغنيائهم المنغمسين فى الثراء أحدهما يعرف بنصر بـــن قوام والثانى بأبى الدرياقوت مولى العطافى وتجارتهما كلها بهذا الساحل ولا ذكر فيه لسواهما ولهما الأمناء من المقارضين فالقوافل صادرة وواردة ببضائعهما، وشأنها فى الغنى كبير وقدرها عند أمراء المسلمين والإفــرنجيين خطير".

(١١٣) عنها أنظر : سونيا هاو، فى طلب التوابل. ت، محمد عزيز رفعـــت، ط. القـــاهرة ١٩٥٧م ص١٣ – ص ٧٣.

سعيد عاشور، "قالوا طريق الحرير ونقول طريق الفلفل محور التجارة العالمية فى العصور الوســطى"، نــدوة التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ اتحاد المؤرخين العرب، ط. القــاهرة ١٤٢١هـــــ-٢٠٠٠م. ص١١–ص١٥، زكى نقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العـــرب والافـــرنج خلال الحروب الصليبية، ط، بيروت ١٩٥٨م، ص ١٨٨.

محمود الحويرى، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشــر مــن المــيلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩م. ص١٣٢.

(١١٤) هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، جـــ١، ت. محمـــد رضـــا، ط. القـــاهرة ١٩٨٥م، ص١٨٢.

(١١٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣١٩.

محمد مؤنس عوض، "الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية ٥٤١–٥٦٩هـــ/ ١١٤٦–١١٧٤م"، الدارة العدد (٣)، السنة (١٦)، عام ١٤١١هـــ، ص٦٤.

(١١٦) هايد، المرجع السابق، ص ١٨٧.

(١١٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١م(٢)،جـــ (١)، تحقيق صلاح الدين المنجد. ط. دمشق ١٩٥٤م. ص ٦٣.

ومن أمثلتها : معصرة السيرج فى درب كنيسة مريم ومعصرة الزيت بقرب دار ابن المهمار النصرانى، عن ذلك انظر :

ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م (٢)، م (١)، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق ١٩٥٤م، ص ٦٣.

ومن المفترض – بطبيعة الحال – أن عدد المعاصر زاد زيادة كبيرة فيما بعد عصر المـــؤرخ المـــذكور، بحكـــم الزيادة السكانية والعمرانية التى شهدتها عاصمة الشام التاريخية خلال عصر الحروب الصليبية.

(١١٨) شيخ الربوة، المصدر السابق، ص٢٠٠– ص٢٠١.

سعيد البيشاوى، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصـــليبية ٤٩٢–٦٩٠هـــ/ ١٠٩٩–١٢٩١م، ط. عمان ١٩٩١م، ص ٢١٦، رئيسة عبد الفتاح العزة، نـــابلس فى العصر المملوكى، ط. نابلس – فلسطين ١٩٩٩م. ص ١٢٤–ص١٢٥

(١١٩) عن ذلك أنظر :

Riley - Smith (J. R), "Some lesser officials in the latin syria", E. H. R., Vol. LXXVII, 1972, PP. 1-26 The survival in latin Palestine of Muslim administration, in the eastern Mediterranean Lands in the period of the Crusades, ed, by Peter M. Holt PP. 9-22

(١٢٠) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة، تحقيق ليفى بروفنسال، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ص ٤٤.

(١٢١) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(١٢٢) ابن عبد الرؤوف، فى آدب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفى بروفنسال، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ص ٩٧.

(١٢٣) الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العرينى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص ٣٣.

(١٢٤) ابن الأخوة، معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق المطعنى، ط. القاهرة ١٩٧٦م. ص ١٧٩.

(١٢٥) القزوينى، عجائب المخلوقات، ص ١٣٨.

(١٢٦) الدميرى، المصدر السابق، ص٢٤٤ – ص٢٤٥.

(١٢٧) عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٨٣م. ص ٤٣.

(١٢٨) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(١٢٩) ابن القلانسي، المصدر السابق، ص٣٠٣.

(١٣٠) القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٣٣.

(١٣١) نفسه، نفس المصدر والصفحة.وعن ذلك النوع من الأسماك أنظر: موسى بن ميمون، شرح أسماء العقار، تحقيق ماكس مايرهوف، ط القاهرة ١٩٣٩م، ص٣٨، ويصفه بأنه "السمكة المخدرة" وكذلك "عقرب الماء" مع عدم إغفال لهذه الصفات عن الآلات من حيث تشابه تلك السمكة مع لدغة العقرب.

(١٣٢) يستفاد من إشارة أوردها المؤرخ الصليبي جاك دي فتري أن الرياح كانت تشتد في بحيرة طبرية وكثيراً ما تجمعت علي نحو أدي إلي هياج البحيرة وتحولت بالتالي إلي عاصفة بصورة أثرت علي السفن الصغيرة من جراء الأمواج العاتية ومن المفترض من خلال تلك الأوصاف حدوث حالات غرق للمراكب والصيادين عن ذلك أنظر :

جاك دي فتري، المصدر السابق، ص٦٥.

(١٣٣) الدمشقي، الإشارة إلي محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوربجي، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٣.

(١٣٤) نفسه، نفس المصدر، ص ٦٤.

(١٣٥) نفسه، نفس المصدر والصفحة .

— ٥ —

دراسات التاريخ الإجتماعى للحروب الصليبية

الصادرة فى الخمس والعشرين سنـــة الأخـــيرة

نتناول فى الصفحات التالية عرضًا للدراسات الخاصة بالتاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية التى صدرت فى الربع قرن الأخير ، على اعتبار أن مثل تلك الاتجاهات الببيلوغرافية النقدية من شأنها اثراء الدراسة فى المجال المذكور .

وقد شهدت مرحلة الحروب الصليبية خاصة فى بلاد الشام خلال القرنين ١٢، ١٣م مجالا واسعا للتأليف عنها خلال الربع قرن الأخير سواء ذلك فى الغرب الأوربى، أو فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك فى العالم العربى، وعلى نحو خاص أرض الكنانة.

ومن الملاحظ أن المرحلة المذكورة، تعددت فيها الدراسات الخاصة بتلك الحروب التى شهدت صفحة من تاريخ المواجهة بين الشرق والغرب فى القرون الوسطى، ومن المهم الإقرار بتطور تلك الدراسات، فبعد أن كان اهتمام مؤلفيها بالتطور التاريخى العام لأحداثها إلا أن المرحلة الأخيرة شهدت تعدد المؤلفات فى العديد من الزوايا التى لم يكن اهتمام بها فى مراحل سابقة من مسيرة التأليف التاريخى عن تلك المرحلة.

ومع ذلك، تواجه الباحث المتصدى بالكتابة عن الدراسات الخاصة بالتاريخ الإجتماعى للحروب الصليبية، خاصة خلال ربع القرن الأخير، عدة صعوبات يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولا : تعدد وتناثر ذلك الإنتاج بين العديد من الدول الأوربية خاصة انجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة الى عدة دول فى العالم العربى وعلى نحو خاص مصر على اعتبار أن الأخيرة كان ابناؤها من المؤرخين الرواد الأوائل، هم أول من ارتاد التأليف التاريخى العربى الحديث عن أحداث مرحلة الحروب الصليبية.

ثانيـــا : من الملاحظ تعدد الدراسات الخاصة بالجانبين السياسى والحربى سواء لدى المسلمين أو الصليبيين وندر الإهتمام بالجانب الإجتماعى وكثيرا ما وجد الجانب الأخير ضمن دراسات مسحية عامة عن تاريخ الحروب الصليبية واشتمل على صفحات قليلة العدد على الرغم من الأهمية الواضحة لذلك الجانب من أجل تحليل ظاهرة الحروب الصليبية من خلال البناء الإجتماعي لكل من الطرفين المتصارعين.

وسوف يتم تقسيم الدراسات الصادرة فى الربع قرن الأخير الى الآتى:

- المراجع والبحوث العربية.
- المراجع والبحوث المعربة.
- المراجع والبحوث الأجنبية.

أولا: المراجع والبحوث العربية .

حسن عبد الوهاب حسين (د.)، مقالات وبحوث فى التاريخ الإجتماعىللحروب الصليبية" – ط. الإسكندرية ١٩٩٧م.

ويعد أول كتاب متخصص باللغة العربية بالعنوان المذكور، وذلك على الرغم من قلة الدراسات التاريخية عموما فى ذلك المجال، وقد احتوى الكتاب على دراسات من تأليف المؤلف وأخرى قام بترجمتها عن الإنجليزية، والفرنسية، وبالتالى كان من المفترض الإقرار بأن الكتاب المذكور "تأليف وترجمة د. حسن عبد الوهاب حسين". كما يؤخذ على الكتاب أن عنوانه لا يتفق مع محتواه، فهناك دراسات لا تتصل بالجانب الإجتماعى تتمثل فى:

- دراسة بعنوان: " استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ١٠٩٩م فى ضوء رواية بطرس توديبود دراسة تاريخية مقارنة ".
- ودراسة أخرى بعنوان: " مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية ".
- دراسة ثالثة بعنوان: " وصايا المنصور قلاوون من خلال مخطوط الفضل المأثور لشافع بن على الكاتب ".
- ودراسة رابعة عنوانها: "أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الأولى وحتى معركة حطين ١٠٩٧– ١١٨٧م (٤٩٠ – ٥٨٣هـ)".

ومن الجلى البين، أن عناوين الدراسات الأربع لا تتفق مع عنوان الكتاب الأصلى.

أما عن الدراسات الإجتماعية التى وردت فى الكتاب فتتمثل فى الآتى:

- يوشع براور، استيطان اللاتين فى بيت المقدس وهى المنشورة فى مجلة سبيكولوم، م (٢٧) عام ١٩٥٢م
Prawer (J.), “The settlement of the latins in Jerusalem”, Speculum, vol.XXVII, 1952 .

- ايمانويل سيفان، " اللاجئون السوريون–الفلسطينيون فى زمن الحملات الصليبية" المنشورة فى مجلة الدراسات الإسلامية، العدد (٣٥) عام ١٩٦٧م
Sivan (E.), "Réfugiés Syro-palestiniens au temps des croisades", R.E.I., T. XXX

- جان. ريتشارد، " وضع المرأة فى الشرق اللاتينى" فريورم ربرنتس، لندن ١٩٧٦م
Richard (J.), " Le statut de la femme dans l'Orient latin" : Variorum Reprints, London 1976 .

- جيمس برونديج، " الزنا (الدعارة) واختلاط الأجناس والتطهير الجنسى فى الحرب الصليبية الأولى" ضمن مؤتمر الحروب الصليبية والإستقرار: نشر ب.و. إدبيورى، ط. كارديف ١٩٨٥م.

Brundage (J.), Prostitution, Misregenation and sexual purity in the First Crusade, in Crusade and settlement,
ed. By P.W. Edbury, Cardiff 1985.

ونظراً لصدور الأبحاث الثلاثة الأولى قبل عام ١٩٨٠م فلذلك لن يتم تناولها بالدراسة، وإنما سيتم التعرض للبحث الأخير الذى أعده جيمس برونديج ضمن الأعمال الأجنبية خاصة الأبحاث والمقالات.

أما الدراسة الوحيدة التى أعدها المؤلف وتوصف بالفعل بأنها تقع تحت بند التاريخ الإجتماعى فهى بعنوان:

" الرشوة فى المجتمع الصليبىّ فى بلاد الشام من الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس ١٠٩٥– ١١٨٧م (٤٨٨– ٥٨٣هـ).

وتعد دراسة رائدة باللغة العربية عن موضوع الرشوة فى المجتمع الصليبى من كليرمونت Clermont حتى معركة حطين الحاسمة وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية على إثرها.

وجدير بالذكر، أن دراسة الكيان الصليبى الدخيل على المنطقة من الداخل ومن خلال الأمراض الإجتماعية التى استشرت فيه يمثل أمرا على جانب كبير من الأهمية من أجل معرفة العوامل الداخلية التى مهدت لضعفه ثم انهياره فى النهاية.

وقد عمل المؤلف على إبراز دور الرشوة فى تاريخ الصليبيين من خلال اعتماده على المصادر الصليبية لا سيما فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres، والبرت الأكسى Albert d'Aix، وكفارو Caffuro، ووليم الصورى William of Tyre، وأودو دى دول Odo de Deul، والمصادر البيزنطية مثل انا كومنينا Anna Comnena، وكيناموس Cinnamus، ونيكتاس

خونياتس Nicetas Choniates، بالإضافة الى المصادر التاريخية العربية مثل ما ألفه ابن الأثير، وأبو شامه، وابن واصل، وغيرهم.

وقد تمكن الباحث باقتدار من ابراز دور الرشوة فى مختلف جوالب حياة الصليبيين فى بلاد الشام على نحو عمق لدينا الصورة الواقعية لذلك الدافع بعيدا عن الشعارات الدينية، ومحاولة المصادر التاريخية الصليبية المبكرة إظهار الصليبيين على انهم جند المسيح Militia Christi ومن الأطهار، وهكذا، تأكد لنا أنه أمام بريق المال تساقط العديدون من الصليبيين من أجل تحقيق مكاسب لهم على حساب المشروع الصليبى ذاته.

– قاسم عبده قاسم (د.)، "الدوافع الإجتماعية فى الحركة الصليبية"، ضمن كتاب لندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م(٢) عام ١٩٨٣م

وتعد اول دراسة باللغة العربية متخصصة عن الدوافع الإجتماعية، وقد عمل مؤلفها على إبراز أوضاع الغرب الأوربى الكاثوليكى فى أخريات القرن ١١م فى ظل النظام الإقطاعى Feudal System، واهمية البحث المذكور– فى تصورى– انه يعبر عن أوضاع الفقراء من العامة الذين ظلوا مهمشين ولا تهتم بهم الدراسات التاريخية ، إذ بدون دراسة ذلك القطاع الذى استجاب بصورة جماعية وفورية للمشروع الصليبى ليس فى مقدورنا فهم طبيعة تلك الحركة التاريخية الكبرى فى العصور الوسطى.

ويلاحظ أن المؤلف لم يعتمد على المراجع الحديثة فقط، بل وثق مادته من المصادر التاريخية الأوربية الخاصة بالغرب الأوربى ومن أمثلتها خطابات البابوات مثل البابا نيكولاس الثانى Nicholas II – على سبيل المثال – وما ألفه جيبر النوجنتى Guiber de Nogent تحت عنوان:

" Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos "

وكذلك رالف جلابر Ralph Glaber تحت عنوان:

"Historiarum Libri Quinque"

على أية حال، اتصور أن قيمة البحث المذكور تتمثل فى دراسته للدوافع والجذور من أجل التوصل الى حقيقة الحدث التاريخى ذاته وكما قال أستاذنا أ. د. قاسم عبده قاسم فى مقدمة بحثه، "ولأن المؤرخ اليوم مطالب بأن يجيب على السؤال الذى يبدأ بكلمة " لماذا " ، بدلا من أن يحكى لنا " ماذا "حدث ، فإنه سوف يسعى بالضرورة وراء الدوافع والأسباب".

– حسين عطية (د.)، " طبائع الفرنج فى الحملات الصليبية فى ضوء المصادر اللاتينية " ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م

دراسة علمية قيمة، اعتمد فيها مؤلفها على العديد من المصادر اللاتينية – ومن هنا تكمن أهميتها – وفى هذا الصدد أفاد من مؤلفات مؤرخ الجستاGesta المجهول، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres، والبرت الإكسى Albert d'Aix، ورادولف أوف كان Radolph of Caen، وجاك دى ڤترى Jacques de Vitry، مع عدم إغفال المصادر التاريخية العربية عندما احتاج الأمر منه ذلك، ومن امثلتها ابن القلانسى، وابن الأثير، وبهاء الدين بن شداد، وغيرهم.

وقد حرص المؤلف على ابراز حقيقة مفادها، أن محاولة البابوية إظهار الحملات الصليبية التى تم تغليفها بإطار دينى لم تمنع الصليبيين من إظهار بربريتهم، والقيام بأعمال تنطوى على الفسق والفجور، كذلك آكد على أن العديدين من الذين شاركوا فى الحملات الصليبية سواء من رجال الدين أو العلمانيين قاموا بارتكاب الفواحش.

وجدير بالذكر، أن أهمية البحث المذكور تتمثل فى اتجاه المؤلف الى دراسة الجانب الأخلاقى لدى الصليبيين ومن خلال مصادرهم التاريخية فى المقام الأول. ويلاحظ هنا، ان إشارات تلك المصادر لها أهمية قصوى من خلال انها تقرر واقعا معاشا معترفا به من جانب الصليبيين انفسهم، بعكس روايات المصادر التاريخية العربية التى من المتوقع وجود تحامل من جانبها على الصليبيين من خلال العداء المستعر بين الطرفين على مدى قرنين كاملين من الزمان (١٢، ١٣م).

أما وجه النقد الذى يمكن توجيهه لتلك الدراسة العلمية القيمة، أن الأفضل دراسة موضوعها من خلال مرحلة زمنية أكثر تحديدا مثل تلك الواقعة من ١٠٩٥ الى ١١٨٧م، من أجل معرفة مدى صورة وتطور أخلاقيات الغزاة حتى كارثة حطين التى حلت بهم، أو أن تدرس من خلال القرن الثالث عشر الميلادى على اعتبار ان ذلك القرن شهد تدهورا واضحا فى تلك الأخلاقيات على نحو عجل بطردهم النهائى من بلاد الشام فى أخريات القرن المذكور وتحديدا عام ١٢٩١م.

– ابراهيم بن حمود المشيفح (د.)، "دراسة مقارنة لمشاهدات الرحالة عن الأحوال الإقتصادية والإجتماعية فى مدينة صور أثناء الحروب الصليبية (١١٢٤م/٥١٨هـ – ١٢٩١م/٦٩٠هـ)"، بحث فى العدد (٢٤) من مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق – أبريل ١٩٩٩م. يقع البحث المذكور فى (٢٢) صفحة، وعلى الرغم من تخصصه فى مدينة لبنانية ساحلية هى صور من خلال الجانبين الإقتصادى والإجتماعى، إلا أن البحث يوصف بعدم التعمق ولم يتناول من الرحالة المسلمين سوى المقدسى، والإدريسى، وابن جبير، وابن بطوطة، أما الأوربيين منهم فقد أفاد فقط بما ألفه الرحالة اليهودى الإسبانى بنيامين التطيلى Benjamin of Tudela، وقد فاته الإفادة من العديد من الرحالة الأوربيين الآخرين الذين أشاروا إلى تلك المدينة اللبنانية التى

اشتهرت بحصانتها التقليدية وكذلك وفرة نشاطها الإقتصادى وثراء وضعها الإجتماعى ومن أمثلتهم سايولف Saewulf ، ودانيال Daniel ، وبتاحيا الراتسبونى Petachia of Ratisbon، ويوحنا الورزبرجى John of Wurzburg ، وثيودريش Theoderich ، وبوركهارد من جبل صهيون Burchard of Mont Sion، وصمويل بن شمشون Samuel ben Samson وغيرهم.

من الملاحظ أن الدراسة المذكورة جاءت موجزة للغاية، كما أن عنصر المقارنة الوارد فى العنوان لم يلتزم به الباحث، وكان من المفترض وجود منهج تحليلى مقارن فإذا به يفاجئنا بمنهج سردى وصفى تقليدى لمشاهدات الرحالة وبالتالى غابت المقارنة، وكذلك التحليل.

وعلى الرغم من ذلك، من الأهمية بمكان الإقرار بأن البحث احتوى على جوانب لها اهميتها مثل ما ذكره عن أمر الجاليات التجارية الإيطالية، وأشار الى وجود أحياء لعناصرهم فى ميناء صور سواء بالنسبة للبنادقة أو البيازنة، كذلك ذكر أن من عناصر سكانها المسلمين الذين عاشوا بأعداد قليلة بها بعد سقوطها فى قبضة الصليبيين عام ١١٢٤م، ثم نوه الى أمر اليهود الذين كان عددهم بها قليلا.

أما الإحتفالات فى صور، فقد أشار الباحث الى الدينية منها وهى التى كانت خاصة بالقديسين، وتم فيها عمل الشموع، وترديد التراتيل، والأناشيد الدينية. كذلك أورد إشارة أفادت أن تلك المدينة اللبنانية كانت مقرا للإحتفالات الخاصة بزواج الملوك الصليبيين، وخلالها، تم عقد حفلات للرقص، والموسيقى ومنها ما استمر أسبوعين كاملين. كما لم يفته الإشارة الى احتفالات عامة الصليبيين ولذلك أورد أمر " العرس الفرنجى " الذى ورد فى رحلة الرحالة الأندلسى ابن جبير.

– محمد الحافظ النقر (د.)، " التغيرات الإدارية والعمرانية والسكاية فى مدينة القدس فى فترة الإحتلال الفرنجى (الصليبى)، ٤٩٢– ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩ – ١١٨٧م، ضمن كتاب مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩٣ – ٦٩٠هـ ، ط. جامعة اليرموك إربد ٢٠٠٠م.

تناول المؤلف فى بحثه القيم المتغيرات السكانية والإجتماعية التى طرأت على مدينة بيت المقدس خلال مرحلة الإحتلال الصليبى، وقرر أنها أصبحت حينذاك مدينة فرنجية فى أغلب البنى الإجتماعية التى سادتها، وقرر أن بداية تكون الطبقة الوسطى من السكان اللاتين فى المدينة المقدسة ترجع الى مرحلة حكم الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠– ١١١٨م) الذى سمح لرعيته من النبلاء

والفرسان والطبقة الوسطى بوهب جزء من مداخيلهم الى كنيسة القيامة، وقد قرر ما نصه: " .. والواقع فإن مكان الطبقة الوسطى فى التنظيم الإجتماعى للقدس تحددت بعدد من العوامل اهمها العدد الكبير لأفرادها مقارنة بمجموع السكان اللاتين، إضافة الى الحرف، والمهن التى كانوا يعملون بها". وابستشهد بآراء المؤرخ الفرنسى المتخصص فى تاريخ الصليبيات جان ريتشارد Jean Richard عندما قرر أن الطبقة الوسطى (البورجوازية) كان لها دور كبير فى مدينة بيت المقدس حيث كانوا يقدمون فى وقت الحرب ٥٠٠ من عناصر السرجنت Sergeants ، ونظرا لأهمية تلك الطبقة كان يتم تنظيم حياتها من خلال قوانين خاصة تقوم بتنظيمها محاكم البورجوازية Burgesses.

كذلك تطرق المؤلف الى عناصر الرهبان الفرسان Fighting Monks مثل الإسبتارية Hospitallers، والداوية Templars وقرر وجود مكانة متميزة لهم فى المدينة المقدسة، وذكر أن بعض الدارسين رأوا أنها لم تكن تشكل جزءا عضويا مكملا لبعض فئات المجتمع الصليبى فى المدينة المذكورة، وإنما ظلت تمثل مجتمعات صغيرة متكاملة داخل الكيان الصليبى.

من زاوية اخرى، أشار الى وضع النصارى المحليين من سكان المدينة المقدسة، وقد ذكر أنهم شكلوا المجموعة الأكبر من العناصر غير الأوربية التى قطنت المدينة، وقد عاملتهم المملكة الصليبية من خلال عدم الثقة بهم خاصة فيما اتصل بالعمليات العسكرية.

كذلك نجد أن المؤلف تعرض للإحتفالات التى شهدتها المدينة المقدسة خلال الحكم الصليبى، ومنها عيد الفصح الذى عدّ أهم الإحتفالات، حيث أوردت مؤلفات الرحالة الأوربيين ومنهم دانيال الروسى ذكرا لذلك العيد وطقوسه.

ويضاف الى ذلك، عيد خاص باحتفال يوم ١٥ يوليو وهو يوافق يوم سقوط المدينة المقدسة فى قبضتهم، كذلك أدخل الصليبيون احتفالا بمناسبة جديدة هى الذكرى السنوية لإنتخاب جودفرى دى بويون كأول حاكم لمملكة بيت المقدس الصليبية، وهكذا، ازدهرت احتفالات قديمة مثل عيد الفصح، وبعضها استحدثه الغزاة، وعكست تلك الإحتفالات جانبا من الحياة الإجتماعية حيث حرص الملوك الصليبيون، وكبار رجال الدولة، ورجال الدين والحجاج على المشاركة فيها.

ويلاحظ، أن البحث المذكور امتاز فيه مؤلفه بالإعتماد على العديد من المصادر التاريخية والجغرافية الصليبية مثل ما ألفه وليم الصورى William of Tyre وكذلك مؤلفات الرحالة الأوربيين مثل دانيال الروسى وغيره، كذلك امتاز البحث بثرائه الكمى، والكيفى ناهيك عن

سلاسة عرض المؤلف. ويعد من أهم البحوث التى قدمت فى مؤتمر الصراع الإسلامى الصليبى الذى عقد فى جامعة اليرموك بالأردن ونشر فى إربد عام ٢٠٠٠م.

– موضى عبد الله السرحان، " بيروت تحت الحكم الصليبى وعلاقتها بالمسلمين ٥٠٤–٦٩٠هـ / ١١١٠– ١٢٩١م "، ط. الرياض ٢٠٠١م.

تناولت الباحثة السعودية المذكورة الموضوع على مدى خمسة فصول، الفصل الأول، "سقوط بيروت فى قبضة الصليبيين وتأسيس إقطاع بها عام ٥٠٤هـ/١١١٠م، والثانى، فترة الحكم الصليبى الأول لبيروت ٥٠٤– ٥٨٣هـ ١١١٠– ١١٨٧م، والثالث، فترة الحكم الصليبى الثانية لبيروت حتى نهاية العصر الأيوبى ٥٩٣– ٦٤٨هـ/١١٩٧– ١٢٥٠م، والرابع، الجهاد ضد الصليبيين حتى استرداد بيروت ٦٤٨– ٦٩٠هـ/ ١٢٥٠– ١٢٩١م وجاء الفصل الأخير تحت عنوان: "الأحوال الإقتصادية، والنظام السياسى، والأحوال الإجتماعية"، وتعرضت للأوضاع الإجتماعية على مدى الصفحات من ص. ٣١٨ إلى ص. ٣٣٣

ويلاحظ أن من المفترض الا يحتوى الفصل المذكور على الجانب السياسى بل الجانب الإجتماعي فقط، وعلى أية حال، جعلت الباحثة تحت العنوان المذكور عنصرين هما:

أولا: فئات السكان وطبيعة العلاقة بينها.

ثانيـــا: العمارة المدنية والدينية فى مدينة بيروت.

ومن المتصور أن العنوان لا يتفق مع محتويات الفصل كما هو واضح ويلاحظ أن الباحثة فى معرض حديثها عن عناصر المجتمع فى مدينة بيروت ذكرت أمر العناصر الإسلامية وأشارت الى ما نصّه: " وقد شارك فى سكنى المدينة بعض العناصر الإسلامية التى استقرت بأعداد كبيرة بعد أن جذبتهم المطامع الإقتصادية فى المدن الساحلية". أنظر ص ٣٢٥، والواقع أنها تعبر عن الأمر وكان أهل البلاد الأصليين من المسلمين غزاة لها وطامعين فيها، والمفروض العكس، فالصليبيون هم الذين طمعوا فى ثروات المنطقة ولذلك قدموا اليها رافعين شعار الصليب ومن ورائه الأهداف الإقتصادية، والسياسية، والتنصيرية التى اعترف بها المنصفون من الباحثين الغربيين المحدثين.

وفى تصورى، أن من أسباب ذلك التعبير وصدوره من باحثة عربية مسلمة مأزق الترجمة من اللغات الأوربية الحديثة إلى لغة الضاد دون إدراك أبعاد ومرامى المؤرخ الأوربى عندما يعبر عن تصورات وأفكار مغايرة.

وفى موضع آخر من الفصل المذكور، أشارت المؤلفة الى أن المسلمين شاركوا النصارى فى بيروت على حد سواء فى أعيادهم فخرجوا الى نهر بيروت ويدعونه عيد النهر وتاريخه يوافق ٢٣ أبريل من كل عام، وخرجت من ذلك بانطباع نصه: "مما يدل على مدى التكيف والإندماج بين الفئتين الإسلامية والصليبية فى مدينة بيروت فى تلك الفترة ".

وحقيقة الأمر، أن مثل تلك الحادثة لا ينبغى أن تجعلنا نتصور نجاح الغزاة فى خلق ما يعرف بالأمة الفرنجية- السورية، إذ أن طبيعة الكيان الصليبى ذاته بحكم كونه يمثل مشروعا استيطانيا متعصبا يرفض الحوار مع أبناء الديانات الأخرى، كل ذلك جعل الصليبيين عاجزين عن التواصل مع السكان المحليين، وينبغى عدم الإنسياق وراء إشارات متناثرة هنا وهناك دون إدراك مراميها الحقيقية، ويلاحظ فى هذا الشأن أن مثل تلك الروايات حرص المؤرخون الفرنسيون فى آخريات القرن ١٩م والنصف الأول من القرن الماضى على ترديدها من أجل إثبات نجاح الصليبيين فى خلق نموذج للتعايش بين الغزاة والسكان المحليين تدعيما لدور فرنسا المزعوم على المستوى الحضارى فى العصر الحديث تجاه الدول العربية التى خضعت لها مثل سوريا، ولبنان، وتونس، والجزائر، والمغرب.

من ناحية اخرى، يؤخذ على المؤلفة اعتمادها الى حد كبير على التوثيق المرجعى دون المصدرى فى العديد من الموضوعات التى تناولتها خاصة ما اتصل بالجانب الإجتماعى، مع عدم إغفال أن الأهمية تعلق على التوثيق المصدرى الذى هو الحجة الحقيقية، أما التوثيق المرجعى فيعكس وجهة نظر مؤلف ما عن ذلك العصر.

- راغب حامد البكر (د.)، " الإستيطان الفرنجى فى القدس ". ضمن كتاب مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩١- ٦٩٠هـ / ط. جامعة اليرموك، إربد ٢٠٠٠م

تناول المؤلف فى بحثه اتجاه الصليبيين فى صورة الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠- ١١١٨م) إلى استقدام العناصر السكانية خاصة من النصارى الشرقيين، ودعوتهم للإستيطان فى بيت المقدس ومنهم عناصر من نصارى منطقة شرق الأردن، وقرر الباحث حدوث هجرة واستيطان فى بيت المقدس بين عامى ٥٠٩هـ/ ١١١٥م ، ٥١٠هـ /١١١٦م.

ويلاحظ هنا، أن الكيان الصليبى عانى من مشكلة مزمنة ظلت تلاحقه منذ بداية تاريخه على أرض بلاد الشام حتى طرده من هناك فى أخريات القرن ١٣م، فى صورة نقص العنصر البشرى. ولذلك عمل الغزاة على إقامة القلاع والمستوطنات فى الضفة الغربية مثل القبيبة، والبيرة، وكفر

مالك، وغيرها، وإعادة توزيع السكان فى المنطقة لصالحهم من خلال تقديم مغريات، وحوافز اقتصادية لعناصر المسيحيين الشرقيين.

– محمد مؤنس عوض (د.)، " أضواء على مستوطنة البيرة الصليبية ١١١٥– ١١٨٧م ". مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، عدد عام ٢٠٠٠م.

تناول المؤلف فى البحث المذكور، نشأة وتطور تلك المستوطنة الصليبية التى أقامها الغزاة فى الضفة الغربية لنهر الأردن فى منطقة البيرة الواقعة على بعد ١٦ كم من بيت المقدس، وأهم ما احتواه البحث أمر الطبقة البورجوازية التى تكونت من عناصر الأوربيين الأحرار الذين هاجروا الى مملكة الصليبيين لا سيما من العناصر الفرنسية، وقد عملوا بالزراعة وعدد من الحرف الأخرى مثل التجارة، والحدادة، وغيرها. واستقروا فى مناطق توافرت فيها مصادر المياه سواء من مجارى الأنهار او من خلال المياه الجوفية او عن طريق تساقط الأمطار.

واهتم الباحث بإبراز دور تلك الطبقة فى مجال الإستيطان، وقد أفاد المؤلف من كتابات يوشع براور وعدد من المراجع الحديثة بالإضافة الى التوثيق المصدرى من خلال وثائق كنيسة الضريح المقدس وهى أساسية من أجل فهم مثل تلك المستوطنات التى أقيمت من خلال تلك الكنيسة.

– فؤاد الدويكات، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، إقطاعية طبريا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى ١٠٩٩– ١٢٩١م / ٤٩٢– ٦٩٠هـ، ط. إربد ٢٠٠٢م.

إنقسم الكتاب إلى خمسة فصول، الفصل الأول بعنوان: طبرية منذ الفتح الإسلامى وحتى بداية الغزو الصليبى، أما الفصل الثانى، فقد اختص بتأسيس إقطاعية طبرية الصليبية ونظام الحكم والإدارة فيها، وجاء الفصل

الثالث يختص بالتعرض للدور العسكرى لإقطاعية طبرية فى محاربة المسلمين، أما الفصل الرابع، فتناول طبرية فى العصر الإسلامى ٥٨٣– ٦٩٠هـ / ١١٨٧– ١٢٩١م، وأخيرا تعرض الفصل الخامس للحياة الإقتصادية، والثقافية، والإجتماعية، والعمرانية، فى إقطاعية طبرية فى العصر الصليبى.

والملاحظ أن الفصل الأخير، تعرض فيه المؤلف للناحية الإجتماعية خاصة فى الصفحات من ٢٩٨ وإلى ٣٠٩ أى على مدى (١٢) صفحة فقط على الرغم من أن العدد الإجمالى لصفحات الدراسة يبلغ ٣٧٢ صفحة، ولا تعليل للوضع القائم إلا من خلال إدراك أن إقطاعية طبرية احتوت على تاريخ ثرى على المستويين السياسى، والحربى، ولذلك اهتم الباحث بإبرازهما وعمل

على اختصار الجانب الإجتماعى الذى لا نجد عنه إشارات وافية فى نصوص المصادر التاريخية بالإضافة الى قلة الدراسات الحديثة بصفة عامة عنه.

مهما يكن من أمر، تناول المؤلف فى الجانب الإجتماعى فئات السكان، والدين، واللغة، وأحوال المسلمين فى طبرية فى ظل الحكم الصليبى، ثم العادات، والتقاليد فى الإقطاعية، ومدى تأثيرها فى البيئة السكانية.

وجدير بالذكر، اهتمام المؤلف بتفنيد اتجاهات بعض الدارسين الإسرائيليين المحدثين الذين عملوا على المبالغة فى أعداد اليهود فى إقطاعية طبرية حيث أرادوا إثبات الإستمرارية التاريخية للتواجد اليهودى فى فلسطين وذلك من أجل إقناع الأجيال القادمة بالحق التاريخى لليهود فيها.

أما فيما يتصل بالسكان، فقد قرر أن السمة العامة للبناء السكانى فى الإقطاعية امتاز بالتمزق والتشتت بصورة أعمق مما كانت عليه فيما قبل الغزو الصليبى، فلم يضف ذلك الغزو إلا عنصرا إضافيا فى صورة الصليبيين حيث ازدادت أعدادهم بصورة كبيرة من خلال تشجيع هجرتهم إلى فلسطين بصورة أدت الى الإخلال بالتوازن الديموغرافى بين فئات السكان فى طبرية.

وعند تناوله لوضع المسلمين فى إقطاعية طبرية الصليبية، قرر سوء أحوالهم بصفة عامة، خاصة أن الغزاة لم يسمحوا لهم ببناء المساجد، كما أن تلك التى أقيمت من قبل، تم تحويلها الى كنائس. وقرر المؤلف أن وضع أسامة بن منقذ الذى سمح له فرسان الداوية Templars بالصلاة فى المسجد الأقصى يعد حالة فردية وكان من قبيل "المجاملة السياسية" على حد قوله. ولذلك ينبغى عدم اتخاذ تلك الحالة وغيرها كدليل على تسامح الصليبيين تجاه المسلمين، ومن ناحية أخرى، لم يغفل الإشارة الى تحول عناصر المسلمين الى درجة الرقيق ولم يكن يسمح لهم باسترداد حريتهم إلا فى حالة اعتناق المسيحية.

بصفة عامة، الدراسة – باستثناء اختصار الجانب الإجتماعى – عمل علمى جدير بالتقدير، وأفاد المؤلف من العديد من المصادر الصليبية كمؤلفات الرحالة الأوربيين، وكذلك المؤلفات التاريخية مثل ما ألفه ريموندا جيل، ووليم الصورى، وجان دى جوانفيل، وغيرهم، بالإضافة إلى المصادر التاريخية العربية مثل ما ألفه ابن الأثير، وبهاء الدين بن شداد، وسبط بن الجوزى، وعز الدين بن شداد، وغيرهم. وذلك بالإضافة إلى المراجع الحديثة بالعربية وباللغات الأوربية.

– على أحمد السيد (د.)، " الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩– ١١٨٧م / ٤٩٢– ٥٨٣هـ "، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

إنقسم الكتاب المذكور إلى خمسة فصول، الأول بعنوان: بلاد الخليل من غزو الصليبيين لبلاد الشام، والثاني: تخصص فى تأسيس إقطاعية الخليل وحكامها الصليبيون، أما الفصل الثالث فدرس الدور العسكرى لإقطاعية الخليل الصليبية ضد المسلمين، وجاء الفصل الرابع ليتعرض للحرم الإبراهيمى والمزارات فى بلاد الخليل أثناء الوجود الصليبى بها، أما الفصل الخامس، فقد اختص بأهم المظاهر الحضارية فى بلاد الخليل تحت الحكم الصليبى.

وقد تعرض المؤلف للحياة الإجتماعية على مدى صفحات ٣٢٧ إلى ٣٢٩، أى بصورة بالغة فى الإختصار، فى دراسة وقعت أصلا فى ٤٥٦ صفحة، مما عكس الإهتمام بالجوانب السياسية، والحربية، والإقتصادية، وتهميش الجانب الإجتماعى مثلما هو الحال فى الدراسة السابقة.

ويلاحظ أن المؤلف عمل على ذكر الأعياد فى الخليل خلال مرحلة الدراسة ومنها عيد احتفل به الصليبيون تحت إسم عيد الثالوث المقدس Holy Trinity Feast of the، كما وجد عيد خاص بذكرى النبى ابراهيم عليه السلام كل عام وذلك على مدى الأيام من ٦ إلى ٨ أكتوبر، وخلال ذلك أقيم قداس وصلوات طيلة تلك الأيام طلبا للشفاعة من أبى الأنبياء عليه السلام، وبدأ الإحتفال به فى عام ١١١٩م / ٥١٣ هـ كذلك وجد عيد خاص بالنبيين يعقوب، وداود فى يوم ٢٦ من ديسمبر من كل عام، وذلك بالإضافة الى الأعياد الدينية التى احتفل بها المسلمون كعيد الأضحى،وعيد الفطر، والإحتفال بالمولد النبوى الشريف، ومولد النبى صالح عليه السلام.

ويلاحظ أن الدراسة المذكورة بذل فيها مؤلفها جهدا كبيرا، واعتمد على قائمة ثرية من المصادر الصليبية والعربية إلا أنه همش الجانب الإجتماعى على الرغم من أهميته عند دراسة الخليل فى المرحلة موضوع الدراسة.

- رئيسة عبد الفتاح العزة، " نابلس فى العصر المملوكى"، ط. نابلس ١٩٩٩م.

نظرا لكون العصر المملوكى قد شهد ما يزيد على أربعة عقود من الزمان ١٢٥٠- ١٢٩١م فى مواجهة الوجود الصليبى فى بلاد الشام، فلذلك تم الإهتمام بمثل تلك الدراسات التى تتناول بعض مدن ذلك الإقليم خلال العصر المملوكى ومنها مدينة نابلس كبرى مدن الضفة الغربية لنهر الأردن.

إحتوى الكتاب على خمسة فصول، الأول بعنوان: جغرافية نابلس، والثانى تناول الحياة السياسية فى نابلس، وجاء الثالث بعنوان: المجتمع النابلسى فى عصر الدولة المملوكية، كما أن الفصل الرابع عنوانه: الحياة الإقتصادية فى نابلس، وأخيرا جاء الفصل الخامس بعنوان: الحياة العلمية والعمرانية فى نابلس.

وقد اختص الجانب الإجتماعى بالصفحات من ص٨٧ إلى ص١١٠ وفيه تعرضت المؤلفة لفئات السكان العرقية وكذلك فئاتهم الدينية. كما درست أقسام السكان من خلال أنماط المعيشة، كذلك بحثت فى فئات المجتمع النابلسى، ثم أنها تعرضت أيضا للعادات، والتقاليد، ووسائل التسلية، والأعياد، والإحتفالات فى ذلك المجتمع، وأخيرا بحثت فى أثر الكوارث الطبيعية، والأحداث السياسية على سكان نابلس.

وبصفة عامة، على الرغم من اعتماد المؤلفة على العديد من المصادر العربية، إلا أن دراستها اتسمت بالإيجاز فى الجانب الاجتماعى. ولا ينفى ذلك بطبيعة الحال الجهد الكبير المبذول فى ذلك العمل العلمى القيم.

ولعل من أهم ما تعرضت لها المؤلفة فى الجانب الإجتماعى، أمر التوزيعات السكانية، وقد ابرزت سياسة الصليبيين الديموغرافية، وقررت أن الأخيرين فى بداية أمرهم نفذوا قاعدة "أرض بلا سكان" لذلك ارتكبوا المذابح البشعة ضد السكان الأصليين من أجل تفريغها منهم، وفيما بعد لجأ الغزاة الى إعادة إعمار المناطق الخاضعة لسيطرقم، ولذلك قرر الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠- ١١١٨م) جلب أعداد من المسيحيين من بعض القرى الواقعة فيما وراء الأردن من البلقاء، وعمان، ومنحهم مميزات معينة من أجل إلزامهم بالبقاء. وقررت أنه من الطبيعى الا يسمح الصليبيون لمن بقى من السكان بمغادرة البلاد من أجل الإستمرار فى مشاريع الإعمار المختلفة فى مملكة بيت المقدس الصليبية.

ويلاحظ فى هذا الصدد، أن الغزاة توقفوا عن سياسة المذابح حوالى عام ١١١١م، ولم يكن ذلك من خلال دوافع إنسانية بل من خلال دوافع اقتصادية، إذ أن السكان الأصليين كانوا يمثلون طاقة انتاجية زراعية، وحرفية، وتجارية، ولذلك حرصوا على إبقائها دعما لمشاريع الصليبيين فى النهب المنظم لثروات المنطقة.

- سعيد عبد الله البيشاوى (د.)، نابلس الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ / ١٠٩٩- ١٢٩١م، ط. عمان ١٩٩٠م.

إنقسم الكتاب الى دراسة تحليلية للمصادر ثم خمسة فصول، الأول عنوانه: "نابلس منذ أقدم العصور وحتى بداية الغزو الصليبى للأراضى المقدسة"، أما الفصل الثانى فعنوانه: "نابلس تحت حكم أسرة ميللى الصليبية وعلاقتها بالمسلمين (١١٠٨- ١١٦١م / ٥٠٢- ٥٥٦هـ)، واتجه الفصل الثالث الى دراسة نابلس تحت حكم مريم كومنينا وباليان دى ابلين وعلاقاتهما بالمسلمين (١١٦١- ١١٨٧م / ٥٥٦- ٥٨٣هـ)، اما الفصل الرابع، فجاء عنوانه: " تطور أحوال نابلس حتى نهاية الحركة الصليبية (١١٨٧- ١٢٩١م / ٥٨٣- ٦٩٠هـ)، وأخيرا كان عنوان

الفصل الخامس: "الحياة الإجتماعية ، والثقافية ، والأحوال الإقتصادية فى نابلس فى عصر الحروب الصليبية".

وقد اعتمد المؤلف على قاعدة ببليوغرافية ثرية سواء من المصادر التاريخية الصليبية كالوثائق مثل وثائق كنيسة الضريح المقدس والمصادر الأخرى مثل: ألبرت الإكسى Albert d'Aix ، وامبروز Ambroise ، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres ، ووليم الصورى William of Tyre وغيرها من المصادر التاريخية بالإضافة الى كتابات الرحالة الأوربيين مثل دانيال الروسى وغيره، وذلك بالإضافة الى المصادر التاريخية العربية المتعددة مثل ابن الأثير، وابن شداد، وابن العديم، وغيرهم.

وفى مجال التاريخ الإجتماعى لنابلس ، نجد أنه أورد قطاعات السكان التى سكنت المدينة فأشار الى المسلمين وكذلك المسيحيين الشرقيين ثم عناصر السامريين، ثم تعرض لعناصر المجتمع الصليبى، وقرر أن سكان نابلس من الصليبيين كانوا من الفرسان، والنبلاء، ورجال الدين، والتجار.

وقد قرر المؤلف حدوث تأثير من جانب المسلمين فى عادات وتقاليد الصليبيين وكذلك فى أسلوب معيشتهم. وعلى نحو خاص فى مجال الطعام، والشراب، والملابس. ثم ذكر أمثلة على ذلك التأثير من خلال اتجاه الصليبيين الى الإستحمام فى الحمامات العامة.

من ناحية أخرى ، أشار الى جانب من السلوكيات الخاصة بالصليبيين مثل انتشار التحلل الخلقى فى صفوفهم معتمدا فى ذلك على نصوص أسامه بن منقذ الشهيرة على الرغم من أنه بالرجوع الى قوانين مجمع نابلس عام ١١٢٠م، تأكد صدور قوانين صارمة من جانب الصليبيين لمعاقبة مقترفى جريمة الزنا، ومن المفترض أن رواية أسامه بن منقة فى ذلك الشأن لا تنطوى على حقيقة تاريخية.

وليس معنى ذلك نفى تلك الجرائم فى صفوف الصليبيين، فالملاحظ حدوث حالات مرجحة كما قرر المؤرخ وليم الصورى William of Tyre عندما ذكر وجود علاقة آثمة بين البطريرك هرقل مع باشيا دى ريفييرى زوجة أحد التجار الصليبيين فى نابلس.

بصفة عامة، الدراسة جهد علمى رفيع المستوى إلا أن الجانب الإجتماعى جاء مختصرا وموجزا إذ لم يتجاوز الصفحات من ١٩٣ الى ١٩٨ من بين عدد صفحات الدراسة وعددها ٢٧٩ صفحة.

- اسامه محمد نعيرات، إقطاعية بيسان ودورها فى الصراع الإسلامى الفرنجى (٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩- ١٢٩١م)، ط. عكا ٢٠٠٢م

إنقسم الكتاب الى خمسة فصول مرتبة كالآتى: الفصل الأول عنوانه: "بيسان منذ أقدم العصور وحتى بداية الغزو الفرنجى للأراضى المقدسة ٤٠٠٠ق.م". ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م"، أما الفصل الثانى فيها بعنوان: "تأسيس إقطاعية بيسان الفرنجية ونظام الحكم والإدارة فيها ٤٩٢-٥٨٣هـ / ١٠٩٩- ١١٨٧م"، وجاء الفصل الثالث بعنوان: "دور إقطاعية بيسان العسكرى فى محاربة المسلمين ٤٩٤- ٥٨٣هـ / ١١٠١- ١١٨٧م"، وكان عنوان الفصل الرابع: "بيسان فى العصر الإسلامى ٥٨٣-٦٩٠هـ/ ١١٨٧- ١٢٩١م، وأخيرا، جاء الفصل الخامس والأخير تحت عنوان: "الحياة الإجتماعية والعلمية والإقتصادبة والعمرانية فى إقطاعية بيسان خلال فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩٢- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩- ١٢٩١م.

وقد تناول المؤلف الحياة الإجتماعية على مدى الصفحات من ص ٢٠١ الى ص ٢١٣، وتعرض فيها لعدة نقاط منها البنية السكانية، وقد قرر أن بيسان عاش فيها حينذاك العربى، والتركى، والأرمنى، والسريانى، إلى جانب عناصر الصليبيين. وفيما يتعلق باليهود، أكد الباحث قلة عددهم اعتمادا على ما ورد فى المصادر اليهودية المعاصرة مثل بنيامين التطيلى Benjamin of Tudela وبتاحيا الراتسبونى Petachia of Ratisbonne.

ومن زاوية أخرى، وضح الباحث ظاهرة التمشرق التى سادت الصليبيين معتمدا فى ذلك على النص الشهير للمؤرخ الصليبى فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres حيث أشار الى أن الصليبيين الذين كانوا غربيين صاروا شرقيين.

وعندما تعرض المؤلف لطبقات المجتمع الصليبى قرر أنه كان مجتمعا مقسما على أساس دينى طبقى عنصرى ترأسه الملك ويليه النبلاء الذين شكلوا طبقة متميزة، ومن بعدهم الفرسان ثم عامة الشعب من البورجوازيين وبعد أولئك جميعا يأتى سكان البلاد الأصليين، وقد قرر أن الأخيرين تحولوا تدريجيا الى درجة العبودية وصارت أراضيهم ملكا للنبلاء، والفرسان، من خلال المنح والهبات.

على أية حال، الدراسة المذكورة بذل مؤلفها جهدا واضحا واعتمد على قاعدة ببليوغرافية ثرية سواء من المصادر الصليبية او العربية وكذلك الدراسات التاريخية المتخصصة عن الحروب الصليبية، لكن يؤخذ عليه تهميش الزاوية الإجتماعية، كما أنه قدم عرضا عاما عن الجانب الإجتماعى لمملكة بيت المقدس الصليبية دون تخصيص ذلك على المنطقة الجغرافية موضوع

الدراسة وهى بيسان، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال تناوله للعادات والتقاليد حيث قدم عرضا عاما لا يلتزم بالخصوصية التاريخية المفروضة من دراسته.

– قاسم عبده قاسم (د.)، " ماهية الحروب الصليبية "، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٤٩)، ط. الكويت ١٩٩٠م.

القسم الكتاب الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. أما الفصل الأول فعنوانه: "فكرة الحروب الصليبية: منظور تاريخى"، وجاء الفصل الثانى بعنوان: " الظروف التاريخية والدوافع "، أما الفصل الثالث فعنوانه: " الحملات الصليبية: عرض تاريخى "، واخيرا جاء الفصل الرابع تحت عنوان: "الحصاد: أثر الحروب الصليبية فى العالم العربى".

وتمتاز الدراسة بالتوثيق المصدرى والمرجعى سواء من المصادر الصليبية أو المصادر العربية، وقد اهتم مؤلفها أستاذنا أ. د. قاسم عبده قاسم بالتعرض فى الفصل الأخير لتأثير الحروب الصليبية من الناحية الإجتماعية. ويعد تناوله فى تلك الناحية على نحو خاص من أهم ما تميزت به الدراسة.

وقد قرر أن البنية السكانية وعلاقات القوى الإجتماعية والنظام القيمى والإخلاقى قد اهتزت بصورة كبيرة كنتيجة للإستيطان الصليبى الذى استمر وجوده على أرض المنطقة لمدة قرنين من الزمان، وكذلك تركت الحروب المستمرة آثارها السلبية.

وقد أفاد أن منطقة بلاد الشام عرفت من قبل مقدم الغزاة بتنوعها العرقى والسكانى بصورة كبيرة على نحو جعلها متحفا حيا للأعراق والأقوام من خلال قدوم العديد من الهجرات السكانية إليها، وهكذا، عندما قدم الصليبيون اليها وجدوا بها عناصر عديدة عربية، وتركية، وكردية، وسيريانية، بالإضافة الى عناصر من الأرمن، والبيزنطيين، وأضاف الصليبيون الى ذلك عناصر من الغرب الأوربى فكان هناك الفرنسيون، والإيطاليون، والألمان، والإنجليز، والإسكندنافيون وغيرهم.. ويقرر ما نصه: " منذ أن جاء الصليبيون جاءت معهم عناصر جديدة زادت من تنوع الفسيفساء السكانية فى بلاد الشام من جهة كما أدت الى جعل هذه التركيبة الفسيفسائية فى حالة من السيولة وعدم الإستقرار من جهة أخرى".

وقد تعرض لأمر المذابح التى ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين، وقرر أنها أدت الى تفريغ سكانى وكذلك إحلال سكانى أوربى فى المقابل، وكان ذلك من أسباب السيولة السكانية التى أشار إليها المؤلف، وقد قدم مثالا دالا على ذلك من خلال حالة مدينة القدس، إذ عندما أخضعها الغزاة كانت خاوية تقريبا ولم تكن أعداد الصليبيين تكفى لملء شارع واحد من شوارعها، كما قرر مؤرخهم البارز وليم الصورى William of Tyre ، وهكذا قاموا بنقل سكان القرى المسيحية

من أجل الإستقرار فيها، وقرر أن ما حدث فى المدينة المقدسة تكرر أيضا فى سائر المدن التى استولوا عليها، وكذلك أشار إلى أن المسلمين الذين هجروا المدن الشامية والفلسطينية المحتلة لم يلبثوا أن عادوا لسكن المدن نتيجة لإستقرار ونمو الإمكانات الإقتصادية فى المدن الساحلية على نحو خاص. وأكّد على نقص الإشارات المصادر التاريخية بشأن أعداد أولئك العائدين ونسبتهم العامة بالقياس إلى سكان المدن التى احتلها الصليبيون.

من زاوية أخرى، قرر أن تأثير تلك الحروب تمثل فى النظام القيمى والأخلاقى فى العالم العربى، ونظرا للعجز عن صد الغزو الصليبى فى المرحلة المبكرة من تاريخه، إمتلأت النفوس بمشاعر الإحباط والمرارة خاصة مع قدوم أعداد كبيرة من اللاجئين الفارين من مذابح الصليبيين، وهكذا، شاعت ما أسماه المؤلف بروح التقوى السلبية، والتديّن العاطفى الهروبى. وفى ذلك الإطار، انتشرت الطرق الصوفية، وقرر أن هناك من المتصوفين من اتجه وجهة عقلانية كما نجد ذلك فى السهروردى الحلبى الذى أفتى الفقهاء الحلبيون بقتله فى عهد صلاح لدين الأيوبى، وكان مصرعه مؤشرا على ظهور اتجاه يناصر الدراويش الذين التفت حولهم أعداد غفيرة من المريدين.

ويضاف إلى ذلك، أن عانت المجتمعات العربية كما يقرر المؤلف، من مظاهر التدهور الإجتماعى حيث انتشر الشذوذ الجنسى على نطاق متسع، وعدّه من أخطر الأمراض الإجتماعية مطلقا، كذلك صارت الدعارة من أكثر المهن من حيث الرواج والتنظيم.

ومن زاوية أخرى، كان من بين التأثيرات السلبية الإجتماعية للحروب الصليبية ما لمسناه من توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، خاصة فى بلاد الشام.

ولا نغفل هنا، مشاركة عناصر الموارنة، والسريان، والأرمن، فى بلاد الشام فى مساعدة الصليبيين. وقد أدى ذلك الى تزايد الشكوك والمرارة التى تولدت ونتج عنها أحداث عنيفة ضد المسيحيين خلال عصرى الأيوبيين والمماليك.

كذلك تعرض المؤلف الى اختلال القوى الإجتماعية فى بعض المناطق، حيث تحول المسلمون إلى عناصر أقلية فى المدن الخاضعة للسيادة الصليبية، ووجدت عناصر منهم ترتد عن الإسلام وتعتنق المسيحية خوفا على أرواحهم، بينما وجد من حافظ على عقيدتهم فى مواجهة الصليبيين.

وفى تقديرى الشخصى، أن الدراسة المذكورة رائدة باللغة العربية خاصة فيما يتصل بالفصل الأخير المعنون بـ" الحصاد". أثر الحروب الصليبية فى العالم العربى، ونظرا لإتجاه المؤلف من قبل لدراسة الزوايا الإجتماعية من خلال النيل وأهل الذمة فى مصر سلاطين المماليك، أفاده ذلك كله فى التعامل مع الأثر الإجتماعى للحروب الصليبية، ومن ثم جاء عرضه المتميز عن المؤثرات التى

احدثتها تلك الوقائع الصاخبة التى شهدتها ساحة العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى وأثرها على العالم العربى. ويلاحظ أنه تناول التأثير الإجتماعى دون أن يعزل التأثيرات الأخرى الإقتصادية والأدبية وغيرها والتى لا مجال هنا لتناولها بالعرض.

– مصطفى الحيارى (د.)، القدس فى زمن الفاطميين والفرنجة . المعهد الملكى للدراسات الدينية، ط. عمان ١٩٩٤م.

تناول الكتاب موضوعا واحدا هو القدس فى عصر الفاطميين والفرنجة، وتم تقسيمه الى ستة عناصر هى: ١– القدس والأتراك السلاجقة، ٢– القدس والإحتلال التركمانى، ٣– احتلال الفرنجة للقدس، ٤– القدس فى ظل الإحتلال الفرنجى أ– العمران والسكان. ب– المجتمع والحياة الإجتماعية. ٥– بعد حطين: أ– القدس والحملات الفرنجية بعد حطين. ب– الحملة الفرنجية الثالثة. ٦– القدس والفرنجة فى فترة خلفاء صلاح الدين. كذلك احتوى الكتاب على عدد كبير من الملاحق منها نصوص عربية وأخرى لنصوص مترجمة عن اللغة الإنجليزية شملت الصفحات من ١٠٢ الى ١٨٤.

واقع الأمر أن الجانب الإجتماعى وجد فى العنصر الرابع، فئة (ب) وشمل الصفحات من ٥٩ الى ٧١، وقد قرر المؤلف أن مدينة القدس قبل الإحتلال الصليبى لها عام ١٠٩٩م كان تكوينها الإجتماعى مثل أية مدينة إسلامية أخرى، وإن وجدت بعض الإختلافات من خلال كونها مدينة مقدسة للأديان الثلاثة اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وقد ذكر أن السكان الصليبيين الجدد لها كان منهم، رجال الدين، وهناك فئة الخاصة التى تكونت من الملك، وخاصته، وكبار النبلاء، وتابعيهم، والبارونات، والفرسان، وأشار الى الطبقة البورجوازية التى اهتم بها المؤرخ الإسرائيلى يوشع براور، كذلك تعرض لعناصر الهيئات الدينية الحربية الصليبية مثل الإسبتارية، والداوية وغيرهما، كما أورد أمر المسيحيين الشرقيين، وكانوا يشكلون المجموعة الأكبر من العناصر غير الأوروبية التى قطنت المدينة ولم تصل مكانتهم الإجتماعية إلى مستوى أقل المجموعات الأوربية وأدناها فى السلّم الإجتماعى فى عاصمة الكيان الصليبى وكان أساس تعامل الدولة معهم عدم الثقة خاصة فيما يتصل بالجانب العسكرى.

ومن ناحية أخرى، تعرض المؤلف لأمر الإحتفالات والأعياد فى المدينة المقدسة، وقرر تعددها وأهمها عيد الفصح وهناك الإحتفال السنوى بيوم استيلاء الفرنجة على المدينة فى ١٥ يوليو من كل عام، وكذلك احتفال بذكرى انتخاب جودفرى دى بويون حاكما للمدينة بعد ذلك بثلاثة أيام، وكذلك الإحتفال بتتويج الملك عند اختيار ملك جديد.

وعلى أية حال، كان الإحتفال بعيد الفصح أهم تلك الإحتفالات على الإطلاق، وهو احتفال يوصف بالقدم، ومن طقوسه خلال مرحلة السيادة الصليبية، إلتقاء رجال الدين والبطريرك فى وادى يوشفاط مع الجماهير الغفيرة المختلفة، ويتقدمون صوب البوابة الذهبية The Golden gate (ويقابلها باب الرحمة كما ورد فى المصادر العربية)، والتى كانت تفتح مرة كل عام من أجل ذلك الإحتفال على نحو خاص، ثم يتم الدخول الى ساحة قبة الصخرة.، وبعد أن يتم إدارة الصليب المحمول فى ساحة المسجد الأقصى يتم اختتام الإحتفال بإقامة الصلوات فى ساحة قبة الصخرة.

أما الإحتفال بذكرى يوم ١٥ يوليو، ففيه كان البطريرك يقود مسيرة من كنيسة القيامة الى قبة الصخرة، وتتوقف المسيرة من أجل إقامة الصلوات أمام المدخل الجنوبى لقبة الصخرة فى تلك الساحة الواقعة بينها وبين المسجد الأقصى، ومن بعد ذلك كان المحتفلون يتجهون صوب مقابر الصليبيين الذين سقطوا خلال أحداث حصارها.

ومن بعد الإحتفل المذكور، أقيم احتفال آخر بذكرى تولى جودفرى دى بويون منصبه كحاكم للمدينة المقدسة، وفيه حرص السكان على منح الصدقات الوفيرة.

بصفة عامة، قدم المؤلف عرضا لأهم الأعياد فى المدينة المقدسة، وأفاد من ذلك مما ورد لدى الرحالة الأوربيين دانيال Daniel ويوحنا الورزبرجى John of Wurzburg ، كذلك أفاد من الكتابات الحديثة.

ومع ذلك، يؤخذ على الجانب الإجتماعى طابع الإيجاز الغالب عليه، كما لم يبرز دور المسلمين فى المدينة المقدسة تحت الإحتلال الصليبى.

- حسين عطية (د.)، " المسلمون فى الإمارات الصليبية فى بلاد الشام".ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩١- ٦٩٠هـ ، جامعة اليرموك، ط. إربد ٢٠٠٠م

تناول المؤلف فى بحثه أوضاع المسلمين داخل مناطق الصليبيين فى بلاد الشام، وهم الذين سكتت عنهم المصادر التاريخية العربية المعاصرة إلا نادرا على الرغم من انهم كانوا بمثابة العناصر التى تحملت العيش تحت الإحتلال الصليبى، وظلوا يقاومونه بالمقاومة الإيجابية، والسلبية، وحافظوا على هويتهم اللغوية، والدينية، دون أن يذوبوا فى الكيان الصليبى الدخيل.

على أية حال، تعرض المؤلف لوجود المسلمين فى المدن الخاضعة للسيادة الصليبية وكذلك فى المناطق الريفية، وقد أوضح صعوبة ذكر أرقام إحصائية عن أعدادهم، ومع ذلك فقد قرر أن

المسلمين شكلوا غالبية عددية بين سكان الريف فى مملكة بيت المقدس اللاتينية وكذلك الإمارات التابعة لها.

وقد أفاد الزميل الفاضل أ. د. حسين عطية من ملاحظة المؤرخ الفرنسى البارز كلود كاهى Claude Cahen عندما فسّر نص رحلة ابن جبير بشأن المنطقة الواقعة من تبنين إلى صور، حيث قرر ان أوضاع المسلمين الخاضعين للسيادة الصليبية أفضل من أوضاع إخوانهم تحت حكم المسلمين، وقرر أن ذلك يمثل حالة خاصة استثنائية ولا ينطبق على كافة المناطق، وأن ذلك يرجع الى الشروط التى من خلالها تم إستسلام صور فى قبضة الصليبيين عام ١١٢٤م.

وقد ألقى المؤلف أضواء ساطعة على حياة المسلمين الإجتماعية خاصة القطاع الفلاحى تحت السيادة الصليبية، وفى هذا الشأن قرر أن الفلاح فى نظر الصليبيين ارتبط بالأرض حتى فى حالة انتقال ملكيتها من سيد إقطاعى الى سيد آخر، وبالتالى كان الفلاحون ينتقلون ليكونوا تحت سلطة السيد الصليبى الجديد، وهكذا، تم اعتبارهم "أقنانا" غير أحرار، ولم يكن يسمح لهم بترك الأرض دون إذن سادهم.

ويضاف الى ذلك، قرر المؤلف أن الفلاح المسلم لم يكن يسمح له بالإنتقال من قرية ليعيش فى قرية أخرى تابعة لسيد إقطاعى آخر، وأشار الى أن السادة الصليبيين عملوا على عقد اتفاقات مع بعضهم البعض من أجل مواجهة محاولات الفلاحين الهرب من الإقطاعات التى أحالت حياهم الى سجن كبير، ودل ذلك بالطبع على الوضع الغريب لمملكة الصليبيين التى ضمت اليها أغلبية مسلمة فى الريف ولم تستطع إخضاعها فعليا خاصة أنهم تعلقوا بإخوانهم المسلمين فيما وراء الحدود، وهو أمر يذكرنا بوضع عرب فلسطين حاليا تحت السيطرة الإسرائيلية.

كذلك تعرض المؤلف الى الضرائب التى أثقلت المسلمين الخاضعين للإحتلال الصليبى، ومن أمثلتها ضريبة العشر التى فرضت على الممتلكات والمنقولات عام ١١٨٣م فى عهد بلدوين الرابع (١١٧٤– ١١٨٥م) على كافة سكان مملكة بيت المقدس من أجل مواجهة تكاليف الدفاع عنها بعد تنامى فعاليات حركة مركز الجهاد الإسلامى بقيادة صلاح الدين الأيوبى.

ولا نغفل إبراز المؤلف لزاوية السخرة، إذ أن الصليبيين عملوا على الإستفادة من طاقات المسلمين بالعمل بالسخرة فى مناطقهم دون أى مقابل، ودل ذلك على مدى التعسف فى معاملتهم.

وبصفة عامة، اعتمد المؤلف على كم كبير من المصادر اللاتينية، والعربية بالإضافة الى المراجع العربية، والأجنبية، والدراسة المذكورة بصفة عامة سلطت الضوء على سوء الأوضاع الإجتماعية التى عاشها المسلمون الخاضعون للسيادة الصليبية.

- حسن عبد الوهاب (د.)، "الجريمة والعقوبة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٧م/ ٤٨٨- ٥٨٣هـ)"، أعمال المؤتمرالدولى بعنوان "الصليبيون فى الشرق" التابع للجمعية اللبنانية للدراسات والبحوث التاريخية، المنعقد فى الفترة من ٢-٤ ديسمبر ١٩٩٩م.

تناول المؤلف فى دراسته، وهى تعد دراسة رائدة باللغة العربية، أمر الجريمة والعقوبة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام خلال المرحلة من ١٠٩٥ إلى ١١٨٧م، وقد تطرق للعديد من الموضوعات، ومنها أنواع الجرائم، مثل بيع المناصب الدينية أو ما عرف بالسيمونية والقتل، والسرقة، والدعارة، والخيانة، والتآمر على الملوك الصليبيين، وقدم العديد من الأمثلة لوقائع تاريخية احتوت على تلك الجرائم المتعددة، ثم تناول كذلك، العقوبات التى سنها الصليبيون من أجل الحد من تلك الجرائم، كذلك تعرض للجريمة والعقوبة فى طبقة رجال الدين، والجماعات الرهبانية العسكرية، ومن بعد ذلك إتجه إلى دراسة الجريمة والعقوبة بين الأقليات الخاضعة للصليبيين.

وقد اعتمد المؤلف على حشد من المصادر اللاتينية مثل فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres، ووليم الصورى William of Tyre، وارنول Ernoul، وجاك دى فترى Jacques de Vitry، وغيرهم، بالإضافة إلى المصادر العربية مثل أسامة بن منقذ، والعماد الأصفهانى، وغيرهما، كذلك استعان بقائمة ثرية من المؤلفات الأوربية والأمريكية فى مجال الصليبيات.

وقد خلص المؤلف إلى ثلاث نتائج من بحثه أجملها فى الآتى:

أولا: أن تلك الجرائم التى انتشرت بين الفئة الحاكمة جاءت كنتيجة للترف الذى صار فيه الصليبيون لا سيما بعد نهاية الجيل الأول منهم.

ثانيا: على الرغم من المحاولات التى بذلت من أجل إيجاد تشريعات للحد من تلك الجرائم، وذلك منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى مجلس نابلس الذى عقد عام ١١٢٠م، إلا أن تلك العقوبات لم تكن رادعة على الرغم من شدتها.

ثالثا: إن مدتى حكم كل من بلدوين الثانى Baldwin II (١١١٨- ١١٣١م)، وعمورى الأول Amaury I (١١٦٢- ١١٧٤) تحتلان مرحلة من أهم الفترات فى تاريخ التشريع بالنسبة للمرحلة موضوع الدراسة.

وقد قرر أن قوانين بيت المقدس التى أشارت إلى بعض ما صدر فى عصريهما من قوانين لم تسن لإرتباطها بحادثة معينة كما هو الحال خلال المرحلة من عام ١٠٩٩ إلى ١١٢٠م، بل كان الهدف إيجاد تشريع ثابت تلتزم به المملكة الصليبية، وقد استندت تلك القوانين على مجموعة من

الأعراف السائدة فى المملكة المذكورة وعلى مجموعة قوانين جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م) فى صورة الكودكس Codex، والنوفيلاى Novellaes، والدايجست Digest، وكذلك قوانين الغرب الأوربى، بالإضافة إلى قدوم مجموعة من رجال القانون الغربيين من فرنسا على نحو خاص من أجل المعاونة على سن تلك القوانين.

والدراسة المذكورة قيمة ورائدة، غير أن هناك بعض أوجه النقد التى توجه إليها فى صورة الآتى:

أولا: كان الأجدر بالمؤلف الفاضل أن يجعل عنوان دراسته قاصرة على الأعوام من ١٠٩٧ إلى ١١٨٧م، لأمر يسير، وهو أنه فى عام ١٠٩٥م لم يكن هناك صليبيون فى بلاد الشام، ويمكن إتخاذ عام ١٠٩٧ على اعتبار حصارهم لأنطاكية حاضرة شمالى ذلك الإقليم.

ثانيا: كان من الممكن للمؤرخ الفاضل، الربط بين معدلات الجريمة فى المجتمع الصليبى خلال المرحلة موضوع الدراسة، من أجل الإفادة منها كمؤشر مهم للغاية على الإنهيار الذى حل بالكيان الصليبى، وجاءت معركة حطين الفاصلة عام ١١٨٧م كدليل على ذلك.

وعلى أية حال، فإن ذلك لا يقلل البتة من الجهد العلمى البارز الذى اتضح فى الدراسة المذكورة.

- محمد فتحى الشاعر (د.)، أحوال المسلمين فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م، ط، بورسعيد ١٩٩١م.

إحتوى الكتاب على خمسة عناصر يمكن إجمالها على النحو الآتى: المسلمون والصليبيون غداة استيلاء الصليبيين على القدس، النشاط الزراعى للمسلمين فى مملكة بيت المقدس، الوظائف التى شغلها المسلمون فى المملكة الصليبية، معاناة المسلمين فى المملكة الصليبية، موقف المسلمين من الصليبيين فى المملكة الصليبية.

وقد اعتمد المؤلف على ستة مصادر عربية فى صورة مؤلفات ابن القلانسى، وابن الأثير، وابن جبير، وسبط بن الجوزى، وابن طولون الصالحى، كذلك أفاد من ثلاثة مصادر لاتينية فى صورة مؤرخ الجستا المجهول Gesta، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres، وتاريخ وليم الصورى William of Tyre، كما أفاد من ثلاثة عشر مرجعا أجنبيا سواء بالإنجليزية، أو الفرنسية، فى صورة مؤلفات سيفان (.Sivan (E، وماير (.Mayer (H، وكذلك رايلى سميث (.Riley Smith (J ، وبنيامين كيدار (.Kedar (B)، وغيرهم.

ويلاحظ أن المؤلف، قدم لنا أول دراسة باللغة العربية عن أوضاع المسلمين داخل الكيان الصليبى، وقد سبق بذلك، دراسة قيمة قدمها لنا فيما بعد أ. د. حسين عطية عن نفس الموضوع، واشترك بها فى مؤتمر الصراع الإسلامى- الفرنجى التابع لجامعة اليرموك بالأردن الشقيق وصدر عام ٢٠٠٠م.

ولعل أهم ما ورد فى الكتاب المذكور، ما اتصل بالعنصر الرابع، وهو بعنوان: معاناة المسلمين فى المملكة الصليبية، وفى هذا الصدد تعرض لأمر عدم تمكن المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية بحرية، فى المناطق الخاضعة للإحتلال الصليبى، نظرا لأن الغزاة لم يسمحوا لهم ببناء المساجد، كما أن المساجد المقامة تم تحويلها إلى كنائس، وهكذا افتقدت الحياة الإجتماعية للمسلمين زاوية رئيسة فى صورة حرية إقامة الشعائر الدينية، خاصة الصلاة، ونجد أمثلة دالة على ذلك فى صورة مدينتى عكا، وصور.

ولم يفت المؤلف أن يذكر إشارة وردت فى رحلة ابن جبير أفادت ما نصه: "الذلة والمسكنة الذميمة ومنها سماع ما يفجع الأفئدة."، واصفا بذلك وضع المسلمين تحت الإحتلال الصليبى.

كذلك أشار، إلى أن المملكة الصليبية حرّمت على المسلمين دخول مدينة بيت المقدس والإقامة بها، مع ملاحظة بعض الإستثناءات، فى صورة القيام ببعض الأعمال التجارية، أو زيارة المسجد الأقصى.

ومن زاوية أخرى، تعرض المؤلف إلى تحول المسلمين إلى عبيد تحت ذلك الحكم الجائر، وكان الصليبيون يحتفظون بالأسرى من أجل مبادلة الأسرى المسلمين بأسرى صليبيين، وكذلك من أجل الحصول على الفدية أو بيعهم فى أسواق الرقيق، وقرر أن اعتناق المسيحية كان الحل الأمثل من أجل التخلص من الرق، وهكذا، وجدنا حالات متعددة للزواج بين الصليبيين والنسوة المسلمات اللائى أكرهن على التنصّر.

ثانيا : المراجع والبحوث المعربة .

- كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ت. أحمد الشيخ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

إنقسم الكتاب إلى (١٧) فصلا عناوينها على النحو التالى، "الشرق حتى بداية القرن الحادى عشر "، "الشرق الأدنى فى القرن الحادى عشر" (افريقيا الغربية)، "الغرب عشية الحرب الصليبية بداية الحملة"، "الصليبيون فى آسيا"، "الإتصالات الأولى"، "الشرق اللاتينى"، "الأوضاع السياسية

حتى الحملة الصليبية الثانية"، "النصف الأول من القرن الثانى عشر"، "التجارة والتطور الروحى"، "تطورات أواسط القرن الثانى عشر"، التجارة فى القرن الحادى عشر تنظيمها"، "العملة"، "صلاح الدين"، "مؤسسات الشرق اللاتينى"، "السكان المحليون"، "الجيوش"، "الفترة الأيوبية"، " التنظيم التجارى والنقدى"، "الفترة المغولية".

الدراسة المذكورة اهتم مؤلفها، وهو أكبر وأشهر مؤرخ فرنسى فى مجال الحروب الصليبية فى النصف الثانى من القرن ٢٠م، ولا يزال يحتلّ مكانة سامية حتى بعد رحيله أخيرا. وقد إهتم بالجانبين السياسى والإقتصادى لا سيما التجارى على نحو خاص، وهكذا نجد ان الجانب الإجتماعى محدود، ويمكن ملاحظته على مدى الصفحات ص ٢١٥ إلى ص ٢١٨ فى الفصل المعنون بـ" السكان المحليون "، وقد قرر فيه ما نصه " أن الصليبيين اعتبروا أغلب المحليين وحتى المسيحيين منهم هراطقة غير جديرين بالإحترام ولم يجدوا حرجا فى نهب كنائسهم وأعيانهم، غير ان أحكام الضرورة والتعايش جعلتهم يتخذون تدريجيا مسلكا أكثر مرونة"، وفى هذا اعتراف واضح من جانب مؤرخ فرنسى بارز يفيد بأن الشعارات الدينية التى رفعتها الحركة الصليبية كانت مضللة، والواقع التاريخى الفعلى عكس ذلك.

ومن ناحية أخرى، قرر ما نصه: " كان المسلمون إذا محرومين فى أغلب الوقت من أطرهم الإجتماعية، والدينية الرسمية، والتقليدية "، ويلاحظ أنه أوضح تفسيرا مهمّا لنص رحلة ابن جبير عندما قرر أن أوضاع المسلمين تحت السيادة الصليبية أفضل من أوضاع إخوانهم تحت حكم القيادات المسلمة. وكشف كلود كاهن أن ذلك النص فسر خطأ فى "غمرة الغبطة التى صاحبت العصر الإستعمارى"، والصواب أن ذلك ارتبط بمقاطعة صور التى زارها ذلك الرحالة الأندلسى من خلال شروط تسليمها للصليبيين عام ١١٢٤م.

وفى المقابل، كنوع من المقارنة قرر ان اليهود نعموا بالأمن والأمان خاصة فى مصر فى القرن السابق على الحروب الصليبية، أى القرن ١١م، وقرر ما نصه: "كانت مصر تعتبر دائما جنة اليهود ".

ويلاحظ أنه قرر تعرض اليهود للتضييق من جانب الصليبيين. وهكذا، يتأكد لنا أن الأخيرين عجزوا عن التواصل مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى فى صورة اليهودية والإسلام، وكان ذلك من أهم عوامل إخفاق المشروع الصليبى فى النهاية.

ومع ذلك، يلاحظ أن الجزء الإجتماعى فى الكتاب يعد محدودا نظرا لغلبة الجانبين السياسى، والإقتصادى، وهو أمر أمكن ملاحظته فى الدراسات الحديثة سواء العربية، أو االمعربة، أو

الأجنبية، كما نلمح فى كتابه ميلا الى اليهود بحكم يهوديته والسعى لإبراز تاريخهم بصورة أو بأخرى، حتى بصورة مفتعلة أحيانا.

ويلاحظ أن المؤرخ الفرنسى البارز اعتمد فى تأليف كتابه على رؤية غربية حديثة كاملة، فالمراجع فرنسية، وانجليزية، وألمانية، وإيطالية، ولم يستفد من أية دراسات حديثة باللغة العربية عن الحروب الصليبية على الرغم من إجادته التامة لها، وفى عبارة وردت فى الكتاب يقرر ما نصه: "باستثناء بعض الحالات النادرة لم يفعل الشرقيون سوى استخدام الأبحاث الغربية فى دراستهم بعد تغيير رموزها بحيث تصبح الإنتصارات هزائم والعكس بالعكس".

ولا تعليق على هذا الكلام غير العلمى سوى أنه يعكس غرور قطاع من المستشرقين وتعاليهم، ومن المؤكد أن الإستعلائية الغربية هى التى أملت على ذلك المستشرق تلك العبارة. ومن الواضح انه اعتمد على رؤية واحدة وهى الرؤية الغربية على الرغم من أن العرب والمسلمين يكتبون دراساتهم الأكاديمية وغير الأكاديمية ويعبرون عن وجهة نظر الفريق الذى تعرض للغزو الصليبى.

وهكذا، يتأكد لنا انه ليس كل ما يكتب فى الغرب الأوربى يتسم بالموضوعية، بل ان الرؤية المتعصبة تحرك قطاعا من المستشرقين هناك، وذلك مع تقديرى الشخصى لجهد ذلك المستشرق الفرنسى الراحل البارز، وزاد الأمر سوءا بطبيعة الحال بعد أحداث ١١ سبتمبر.

– يوشع براور، "عالم الصليبيين" ت. قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

قسم المؤلف كتابه إلى تسعة فصول، الأول بعنوان: "ثلاث امبراطوريات وأربع دعاوى". والثانى اختص بعنوان: "المملكة الصليبية"، والثالث تناول الصليب والهلال، أما الرابع فبعنوان: "الشرق"، وجاء الفصل الخامس ليتعرض للمثال والواقع، وبالنسبة للفصل السادس نجده يتعرض للحياة فيما وراء البحار، ونجد الفصل السابع بعنوان: "قصص الفرسان والأنظمة العسكرية"، أما الفصل الثامن فعنوانه: "القلاع والشؤون الحربية"، وجاء الفصل التاسع والأخير بعنوان: "مقامرة التجارة والعالم المتسع".

والواقع أن الفصل السادس امتد من ص ١٠٧ إلى ص ١٢٥، تناول فيه المؤلف أضواء كاشفة عن الحياة الإجتماعية داخل الكيان الصليبى.

وينبغى ملاحظة أن المؤلف هو رائد مؤرخى الحروب الصليبية الإسرائيليين، والكتاب المذكور إتسم بالإيجاز بصفة عامة مقارنة بدراسته الموسعة عن مملكة بيت المقدس اللاتينية، وقد أدرك أستاذنا أ. د. قاسم عبده قاسم، وأ.د. محمد خليفة حسن أهمية ترجمته، فكان أول كتاب يترجم الى لغة الضاد من مؤلفات ذلك المؤرخ .

على اية حال، نجد أن المؤلف اهتم بإبراز زوايا معينة عن الحياة الإجتماعية فى الشرق اللاتينى Latin Orient ، فتناول المنازل، وانماط الحياة التى تباينت حسب كل طبقة من طبقات المجتمع الصليبى، واهتم بأمر طبقة البولانى Poulains أو الأفراخ الذين نتجوا عن التزاوج بين الصليبيين، والمسيحيين الشرقيين، وحرص على إبراز انتقادات المؤرخ الصليبى جاك دى ڤترى Jacques de Vitry ، لهم على اعتبار أنهم من المخنثين وأن حياة الترف التى عاشوا فيها أفسدتهم. وقد قرر كذلك ارتفاع معدلات الجريمة داخل الكيان الصليبى وذكر أن حوادث القتل بصورة سرية أو جهرا كانت تحدث فى كل ليلة وكذلك فى كل يوم، وخلالها كان الرجال يخنقون الزوجات، كما اقدمت الأخيرات على الفتك بأزواجهن من خلال أنواع السموم، وقرر أن احدا لم يكن يثق فى الآخر، إذ أن أعداء الإنسان فى داخل بيته فى صورة أهله، كما قرر براور نقلا عن ذلك المؤرخ إشارة تفيد انتشار الإنحلال الخلقى وأن من الرهبان من قاموا بتأجير منازلهم للمومسات نظرا لما يدفعنه من أموال وفيرة، ودل ذلك كله على مدى الإنحطاط الذى وصل اليه ذلك المجتمع الذى سقط بالفعل من الداخل قبل سقوطه على أيدى قادة حركة الجهاد الإسلامى من الخارج.

ويلاحظ أن المؤلف عمل على إبراز اهمية دور الطبقة الوسطى البورجوازية التى قدمت إلى بلاد الشام مهاجرة من الغرب الأوربى والتى عمل أفرادها فى عدة مهن، وحرف، وقرر أنها وظائف من النادر أن كانت متميزة، ومنهم كان الصاغة، والنجارون، والحدادون، والطحانون، والطباخون، والخبازون، وصناع الشموع، وغيرهم.. ومن المقرر أن براور يعلق أهمية بارزة على تلك الطبقة فى الإستيطان الصليبى فى فلسطين خاصة فى الضفة الغربية لنهر الأردن.

وبصفة عامة، على الرغم من أن المؤلف يعد مؤرخا بارزا وصاحب إسهامات علمية بارزة فى مجال تاريخ الحروب الصليبية، إلا أنه من الملاحظ حرصه بين الحين والآخرعلى المبالغة والفتعال دور لليهود خلال أحداث تلك الحروب على الرغم من أنهم كانوا كما قرر أ. قاسم عبده قاسم فى مقدمة الترجمة ما نصه: " إذا كان ثمة دور لليهود زمن الحروب الصليبية فإنه كان دور المفعول به لا غير ".

– يوشع براور، " الإستيطان الصليبى فى فلسطين مملكة بيت المقدس "، ت. عبد الحافظ البنا ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

إحتوى الكتاب على ثمانية عشر فصلا مرتبة بالترتيب فى الموضوعات التالية: عشية الحروب الصليبية، الحملة الصليبية الأولى، الغزو الصليبى وتأسيس الكيان الصليبى، مملكة بيت المقدس الصليبية– طبيعتها واتجاهاتها، الشعوب التى سكنت المناطق الصليبية فى بلاد الشام وفلسطين، الغزاة الصليبيون والتقسيم الطبقى للمجتمع الصليبى، التاج الملكى وسلطة الملك الصليبى، آلية الحكومة الصليبية، الإدارة الصليبية المحلية، الكنيسة، أعمال الحج والمزارات المقدسة فى فلسطين، الكنائس الشرقية، اليهود، الهيئات الدينية العسكرية، أسلحة الحرب والتحصينات الصليبية، الحياة الإقتصادية والتجارة، الفنون الصليبية، تراث الفترة الصليبية (الحصاد).

وجدير بالذكر، أن الفصل السادس المعنون بـــ "الغزاة الصليبيون" يمكن وصفه بأنه يتناول الجانب الإجتماعى ويقع على مدى الصفحات من ص ٨٣ إلى ص ١١٩ فى كتاب وصلت عدد صفحاته الى ٦٣٥ صفحة. وقد قسم فيه طبقات المجتمع الصليبى الى طبقة النبلاء، والطبقة البورجوازية Bourgesses ، والكوميونات الوطنية الأوربية. والواقع أن أهم ما أورده ذلك المؤرخ البارز ما اتصل بالطبقة البورجوازية، وقرر أن تلك الكلمة فى الشرق اللاتينى كانت تطلق على أولئك الأفراد الذين لم ينتموا الى طبقة النبلاء، ولم يكونوا "أقنانا" Serfs ، ولم يفته التقرير باختلاف المدلول عن الغرب الأوربى، إذ كانت كلمة بورجوازية فى أوربا اشتقت من كلمة البرج Bourg ، أو الضاحية Suburb- borough .

ويقدم براور إشارات على جانب كبير من الأهمية عن تلك الطبقة التى لا نجد عنها ذكرا فى مؤلفات المؤرخين المحدثين الأوربيين السابقين مثل رينيه جروسيه René Grousset ، وستيفن رنسيمان Steven Runciman، وغيرهما، وقد قرر خضوع أفرادها لسيادة القانون العرفى، وذكر، أن تلك الطبقة شكلت حجما كبيرا من سكان المدن فى مملكة بيت المقدس الصليبية، وقد عملوا فى كافة المهن والحرف الحضرية وعملوا جزارين، وصانعى أحذية، ونجارين، وخياطين، وصائغين، وصانعى أسلحة، وكذلك فى مهن الدباغة، وصنع الخمور، والطهى، وبائعى بهارات، وعطور، وقرر الإستفادة من أفراد تلك الطبقة فى الجهاز الإدارى الصليبى، كما ذكر أنه على الرغم من إقامة بعض عناصر البورجوازيين فى المدن، إلا أنهم مارسوا حرفهم القديمة كمزارعين فى المناطق الريفية المحيطة بالمدن وكان ذلك بمثابة أمر مألوف فى أغلب مدن المملكة اللاتينية.

من ناحية أخرى، اهتم بإيراد إشارات على الدور الذى لعبته تلك الطبقة فى أمر حركة الإستيطان الصليبى فى فلسطين، وقد اتفق الباحثون المحدثون فى مجال الصليبيات أن الإسهام الأكبر ليوشع براور كمؤرخ، يتمثل فى اهتمامه بتلك الزاوية على نحو خاص. وقد أشار الى بعض النماذج الإستيطانية مثل مستوطنة البيرة (ماجنا ماهومريا) Magna Mahumeria والتى قامت على أكتاف العناصر البورجوازية، وقد عمل سكانها فى الأصل بالزراعة بالإضافة الى المهن والحرف الأخرى السالفة الذكر.

ويلاحظ، أن المؤلف يحرص بين الحين والآخر على إقحام دور مفتعل لليهود وهنا مكمن الخطأ القتّال الذى وقع فيه هو وغيره من المؤرخين الإسرائيليين مثل بنيامين كيدار Benjamin Kedar ، وميرون بنفنستى Meron Benvenisti وغيرهما.

ولا يغفل عن الذهن، أن اهتمام براور فى الأصل رجع الى أوجه التشابه بين المشروعين الصليبى فى العصور الوسطى، والصهيونى فى العصر الحديث من حيث أن كلا منهما قام على أساس فكرة أرض الميعاد والإستيطان والدعم المادى، والبشرى، والمعنوى من الغرب، بالإضافة الى عوامل التشابه الأخرى التى لا موضع هنا لتفصيل أمرها.

مجمل القول، أن الكتاب يعد من أهم المؤلفات عن تاريخ الحروب الصليبية ويعد مكسبا للغة العربية أن تتم ترجمته على الرغم من أن المترجم لم يعلّق على النصّ التعليقات اللازمة من أجل الرد على المؤلف فى بعض الزوايا التى افتعل فيها دورا لليهود. ومع ذلك يظل إسهام المترجم يدعو الى تقديره حيث أقدم على ترجمة ذلك العمل الكبير الذى يعد أهم إسهام علمى بارز لبراور فى مجال الحروب الصليبية.

– جيمس برونديج، " الزنا (الدعارة): واختلاط الأجناس والتطهير الجنسى فى الحرب الصليبية الأولى ". ت. حسن عبد الوهاب ضمن كتاب " مقالات وبحوث فى التاريخ الإجتماعى للحروب الصليبية " – ط. الإسكندرية ١٩٩٧م.

تناول المؤرخ الأمريكى فى بحثه المذكور أربعة عناصر كالآتى:

- مشاركة المرأة فى الحرب الصليبية الأولى ودورها فى الجيش الصليبى.
- علاقات الصليبيين الجنسية غير المشروعة.
- زواج الصليبيين من النساء غير اللاتينيات.
- الإعتداء الجنسى المتبادل خلال الحرب الصليبية.

وأهمية البحث المذكور، أنه يكشف لنا عن قسم من التاريخ الواقعى للصليبيين، وليس كما حرصت كتب الحوليات المبكرة على تصويرهم على أنهم أطهار وجند المسيح ولا تحركهم سوى الزاوية الدينية على الرغم من أنهم عمليا كانوا أشخاصا عاديين تحركهم ذات الدوافع والمشاعر التى حركت غيرهم.

كما يلاحظ أن أهمية البحث تتأتى من خلال أن مؤلفه تطرق الى ما يعرف بالتاريخ الجنسى Sexual History ، وهو اتجاه حديث فى الدراسات التاريخية فى الغرب الأوربى والأمريكى خاصة، تلك التى اهتم أصحابها بالجوانب الإجتماعية، ومما يذكر فى هذا الصدد، أن اختيار المؤلف للحملة الصليبية الأولى يعود الى وفرة المصادر التاريخية خلالها كما هو الحال فى المصادر اللاتينية، وقد أفاد عدد كبير منها مثل فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres ، والبرت الأكسى Albert d'Aix ، وجيبرت النوجنتى Guibert of Nogent ، وتوديبود Tudebode ، ورايموندا جيل Raymond d'Aguilers .

على أية حال، أوضح جيمس برونديج وجود عناصر العاهرات ضمن صفوف الجيش الصليبى وأن الصليبيين عندما كانت تحل بهم الهزائم قاموا بطردهن، أما عندما حققوا الإنتصارات حرصوا على إعادتهن مرة أخرى. وتكرر ذلك الأمر عدة مرات من خلال وقائع الحملة الصليبية الأولى.

وقد قرر المؤلف أن المؤرخين الصليبيين حرصوا على ذكر سلوك المسلمين الجنسى واتهموهم بالإنحلال غير أنهم كصليبيين وقعوا فى ذات الدائرة، وأشار إلى عدة وقائع فى هذا الشأن عندما مارسن الجنس من النساء البيزنطيات بالإضافة الى الغلمان اليونانيين الذين توافروا فى بيوت الدعارة التى كانت الدولة البيزنطية تديرها.

من زاوية أخرى، قرر المؤلف حدوث حالات الإعتداء الجنسى من جانب الصليبيين ضد نساء مسلمات، وبصفة عامة، إتجه الى دراسة العقوبات الرادعة التى حرص مجمع نابلس Council of Nablus على إصدارها وذلك فى عام ١١٢٠م، وقد أفاد أن المجمع المذكور قرر عقوبات رادعة ضد الرجال اللاتين إذا ما سعوا الى إقامة علاقات جنسية غير شرعية مع النساء المسلمات، ومن أمثلتها:

- إذا ما ثبت أن أحدا ضاجع امرأة مسلمة برغبتها الشخصية يتم إخصاء الرجل كما يقطع أنف المرأة.

-كذلك تقرر أنه إذا رغبت إمرأة مسيحية بأن تمارس الجنس مع رجل مسلم، يتم تطبيق عقوبة الزنا على كل منهما، أما إذا تعرضت للإغتصاب فهى فى هذه الحالة غير مذنبة، ويتم إخصاء الرجل.

ويخلص جيمس بروندیج إلى القول بأن قرارات مجمع نابلس هدفت على نحو خاص إلى الحد من العلاقات الجنسية بين المسيحيين اللاتين والأهالى المحليين الذين ظلوا على دين الإسلام ولم يتحولوا الى الديانة المسيحية.

وهكذا، ألقى بحث المؤرخ المذكور الأضواء الكاشفة على ذلك الجانب من حياة الصليبيين خلال الحملة الصليبية الأولى. مع ملاحظة أن تطور تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام حتى طردهم عام ١٢٩١م يحتاج الى دراسات مستقلة من أجل تتبع ذلك الجانب ومعرفة الفجوة التى كانت قائمة بين المثال والدافع فى حياة الصليبيين هناك، إذ أن مثل تلك الدراسة من شأنها تتبع ظاهرة " التاريخ الجنسى للصليبيين " ليس على مدى الحملة الصليبية الأولى بل على مدى تاريخ وجودهم فى بلاد الشام.

أما وجه النقد الذى يوجه للبحث المذكور، فيتمثل فى أن مؤلفه – وهو من أبرز المؤرخين الأمريكيين حاليا– اعتمد بصورة أساسية على المصادر اللاتينية، وأغفل تماما رؤية الطرف المعادى للصليبيين وهم المسلمون، فلم يستعن بأى مصدر عربى معاصر لأحداث الحملة الصليبية الأولى أو متأخر نسبيا عنها، واكتفى بترديد الإتهامات –أحيانا– للمسلمين من خلال المصادر الصليبية، ولم يفد من المصادر التاريخية العربية لعرض وجهة نظرها حيال السلوك الجنسى العدوانى للصليبيين ضد المسلمين.

ثالثا: المراجـــع والبحوث الأجنبية :

Constable (G.), "The Historiography of The Crusades", in the Crusades from the prospective of Byzantium and the Muslim World, ed. By Angeliki E. Laiou and Roy Parviz Mottahedeh, Dumberton Oaks, 2001

جيلز كونستابل، الكتابة التاريخية عن الحروب الصليبية ضمن كتاب الحروب الصليبية من وجهة النظر البيزنطية والعالم الإسلامى، نشر انجليكى و. لاو وروى برويز متحديه ، دمبرتون أوكس ٢٠٠١م.

البحث المذكور، يتعرض فيه مؤلفه لتطور الكتابة التاريخية عن الحروب الصليبية حتى وقت صدوره فى عام ٢٠٠١م، ويكشف لنا بجلاء غلبة المؤلفات السياسية والحربية حتى بالنسبة للباحثين الأوروبين، والأمريكيين وندرة الدراسات ذات البعد الإجتماعى.

وعندما تعرض كونستابل للزوايا الخاصة بالإستيطان والحركة الصليبية كظاهرة تاريخية استيطانية، أشار الى إسهامات المؤرخ الإسرائيلى البارز يوشع براور Joshua Prawer

وقد أوضح أن العديد من المؤلفات ظهرت عن تاريخ الحروب الصليبية بصورة تفوق أية ظاهرة أخرى فى التاريخ الأوربى الوسيط، وقرر أن تلك الحروب كانت بمثابة المرآة التى كشفت كيف رأى الغرب الأوربى نفسه، وكيف تمت رؤيته من جانب الآخرين مثل البيزنطيين، والمسلمين، وغيرهم، وقد تغيرت تصورات الأطراف المتصارعة مع مرور الوقت.

وعلى الرغم من أهمية دراسة كونستابل فى تتبع تطور الكتابة التاريخية الأوربية الحديثة منذ أخريات القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن الحادى والعشرين، إلا أن المأخذ الرئيسى عنها أن مؤلفها تجنب تماما ذكر أية إسهامات أو إصدارات فى العالم العربى وكأن الباحثين العرب لم يؤلفوا شيئا عن الحروب الصليبية منذ قرابة النصف الثانى من القرن العشرين، عندما بدأت المدرسة التاريخية المصرية الرائدة تؤتى ثمارها بفعل الرائد الكبير الراحل أ. د. محمد مصطفى زيادة ومن بعده أ. د. حسن حبشى، أ. د. سعيد عاشور، وغيرهم من المؤرخين الرواد، وبالتالى توصف دراسة كونستابل بأنها منحازة، وتعكس رفض الآخر وتعبر بصدق عن الإستعلائية الأوربية، على الرغم من أن الباحثين العرب عندما يكتبون دراساتهم البيليوغرافية لا يتجنبون دراسات المؤرخين الأوربيين والأمريكيين.

Lev (y.), Saladin in Egypt, Leiden, 1999 .

ليف (ى)، "صلاح الدين فى مصر" ط. ليدن ١٩٩٩م.

يعقوب ليف، وقد تناول فى كتابه عدة فصول، أما الفصل الأول فقد اختص بالمصادر، وفى الفصل الثانى نجده وقد جعله تحت عنوان: صلاح الدين فى مصر خلال المرحلة من ١١٦٩-١١٧٤م، وقد جاء فى الفصل الثالث بعنوان: تماسك وصلابة حكم صلاح الدين، أما الفصل الرابع فعنوانه: الجيش، والخامس اختص بالأسطول، وأخيرا الفصل السادس اختص بالمجتمعات غير المسلمة.

على أية حال، الموضوع ليس بجديد وقد أفنى عشرات الباحثين العرب المحدثين أعواما طويلة فى دراسة صلاح الدين الأيوبى سواء فى مصر أو فى بلاد الشام وشمالى العراق. ويلاحظ أن المؤلف لا يقدم رؤية جديدة عما هو معروف أصلا، ولا يمتاز بالتحليل والنقاش أو إثارة قضايا حقيقية من خلال كتابه.

وجدير بالذكر، أن الجانب الإجتماعي جاء محدودا إذ لم يتعرض له المؤلف إلا على مدى الصفحات من ص ١٨٥ الى ص ١٩٣ فى دراسة بلغت عدد صفحاتها صفحة.

على أية حال، يعنينا الفصل الأخير، وقد قرر فيه يعقوب ليف أن العناصر غير المسلمة تعرضت للإضطهاد وسعى ما وسعه السعي نحو تعميق ذلك التصور، وأورد بعض الحوادث التى انتقاها كي يصدر أحكاما تعميمية خاصة بالإضطهاد، من ذلك ما ذكره من أنه فى شهر مارس ١١٧٢م تم عزل عدد من الأقباط من مناصبهم، كما قرر أن هناك من الأقباط من تحول الى الإسلام، وضرب مثالا دالا على ذلك بابن مماتى الذى كان من أقباط أسيوط وتحول الى الإسلام.

الملاحظ أن المؤلف يهودى متعصب ألف كتابه ليدافع فيه عن فكرة اضطهاد العناصر غير المسلمة، على الرغم من أنه فى موضع آخر تعرض للأطباء اليهود وذكر أمر موسى بن ميمون Maimonides الذى كان أحد الأطباء الشخصيين للسلطان صلاح الدين الأيوبى.

ولا نغفل هنا الإقرار بأن عصر ذلك السلطان الأيوبى اتسم بالتسامح بصفة عامة ودليلنا على ذلك عدة اعتبارات:

أولا: عمل فى الإدارة الأيوبية عناصر من الأقباط، وإذا وجدت حالات استثنائية لعزلهم عن أعمالهم فما ذلك إلا من خلال المناخ العام الخاص بالصراع الإسلامى- الصليبى وخشية القيادة الأيوبية من أن يجد الصليبيون أعوانا لهم على أرض مصر.

ثانيا: تعاون الأقباط مع المسلمين معا فى صنع تاريخ مشترك فى ذلك العصر، ولا أدل على ذلك من أنهم رفضوا الحج الى بيت المقدس لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية هناك، طالما هى تحت السيادة الصليبية، ولم يذهبوا اليها إلا بعد عام ١١٨٧م عندما حررها المسلمون فى أعقاب معركة حطين الحاسمة.

ثالثا: احتل صلاح الدين الأيوبى مكانة سامية فى قلوب الأقباط، حيث رسموا صوره واحتفظوا بها فى الكنائس والأديرة.

رابعا: لم يشهد ذلك العصر أدنى إشارة تفيد بعمليات تطهير عرقى أو إجبار على اعتناق الإسلام، أما الحالات التى حدثت فهى من خلال رغبة شخصية دون أية ضغوط رسمية، وينبغى عدم اتخاذ حالة الأسعد بن مماتى كقرينة مزعومة لوجود تحول قسرى من المسيحيين الى الإسلام.

خامسا: نعم اليهود فى عهد ذلك السلطان المتسامح بمعاملة إنسانية رفيعة وقد سمح لهم بدخول المدينة المقدسة بعد أن حرّم الصليبيون عليهم ذلك. ويكفيه فخرا أن موسى بن ميمون اليهودى

وهو أشهر طبيب يهودى فى عصره وفى العصور الوسطى بصفة عامة، عمل كأحد أطبائه الشخصيين، وبذلك قدم دليلا على التسامح فى عصر شهد مظاهر التعصب الشديد الذى لمسناه فى مسلك الصليبيين من كل ما هو غير مسيحى كاثوليكى، فاكتوى بنارهم اليهود، والمسلمون، والمسيحيون الأرثوذكس.

Schein (S.), "Woman in Medieval Colonial Society: The Latin Kingdom of Jerusalem in the twelfth century", in Gendering the Crusades, ed. By Susan B. Edginton, New York 2002.

إهتمت المؤلفة الإسرائيلية التى تعمل فى جامعة حيفا بأمر الزواج فى مملكة بيت المقدس الصليبية، وقد نظرت الى الأخيرة نفس نظرة أستاذها المؤرخ البارز يوشع براور Joshua Prawer ككيان استعمارى على أرض بلاد الشام، وقد أشارت الى أن قانون الزواج لم يكتمل شكله النهائى حتى عام ١١٦٠م، وتاريخه امتد حتى عهد فيليب النفارى Philip of Navare الذى كتب مؤلفه فى حوالى عام ١٢٥٠م وراجعه عام ١٢٦٠م فى محاولة لإعادة تركيب القوانين التى صدرت فى القرن السابق وأعنى به القرن الثانى عشر م.

وقررت الباحثة، أن النساء فى العهد المبكر من تاريخ المملكة الصليبية كان بإمكانهن الزواج دون الإستئذان من سادتهم، ومن بعد ذلك صار ملوك المملكة الصليبية يدعمون حقهم فى التحكم فى الزواج.

من زاوية أخرى، أبرزت أن المرأة فى ذلك الكيان الصليبى وجدت نفسها أحيانا تقوم بأمور حربية دفاعية عن أوطانهم (هكذا تقول) ضد أعدائهم المسلمين، ومثال ذلك عام ١١٨٧م، إذ عندما تم تدمير الجيش الصليبى فى معركة حطين الفاصلة قامت ماريا كومنينا Maria Comnena وهى أرملة الملك الصليبى عمورى (١١٦٢- ١١٧٤م) وزوجة باليان صاحب الرملة Balian of Ramla – قامت بالدفاع عن نابلس، التى تسلمتها كعطية من عمورى، وذلك فى مواجهة قوات صلاح الدين الأيوبى.

Fridman (I.), Captivity and Ransom: The experience of Woman in gendering the Crusades, ed. By Susan B. Edginton, New York 2002

إيفون فريدمان، الأسر والفدية: "تجربة المرأة الأسيرة"، فى الدراسة السابقة الذكر،وقد أشارت المؤلفة الى عدد من المعارك فى بلاد الشام تم أسر النساء فيها، كما فى حالة عام ١١٢٦م عندما قام القائد المسلم برسق بن برسق بأسر بعض النسوة وأطفالهن بينما فر الرجال الذين كانت مدينتهم محاصرة من جانب قوات ذلك القائد.

كذلك تعرضت المؤلفة الى وسائل فداء الأسيرات، كما أوضحت ان مصير الأسيرة كان عادة يتحدد من خلال التمائها الطبقى، ثم قررت أنه بالنسبة للمسلمين فإن كتاب الحوليات الصليبية Crusader Chronicles أشاروا الى أنه للطرف الإسلامى، كانت المكانة الإجتماعية والمظهر الجمالى للمرأة اهمية كبرى، وقد أوردت بعض الأحداث التى تعرضت فيها المرأة للأسر كما حدث بالنسبة للفتاة الشامية رفول بنت أبى الجيش التى أورد أمرها الشاعر والفارس أسامه بن منقذ.

ومن ناحية أخرى، عبرت المؤلفة عن أنه من الملاحظ ندرة الإشارات فى المصادر التاريخية عن حياة الأسيرات على نحو لا يمكن الباحثين من إلقاء الضوء على تلك الزاوية المهمة من زوايا الدراسة.

Powell (J.), The Role of Woman in the Fifth Crusade, in The Horns of Hattin, ed. By B.Z. Kedar, Jerusalem 1992.جيمس بوفل ، "دور المرأة فى الحملة الصليبية الخامسة"، ضمن كتاب قرون حطّين، نشر ب.ز. كيدار، ط. القدس ١٩٩٢م.

اعتمد المؤرخ المذكور بدرجة كبيرة على خطابات جاك دى فترى Jacques de Vitry الذى كان أسقفا لمدينة عكا وقاد أمر التبشير لتلك الحملة الصليبية التى استهدفت الهجوم على مصر بعد أن تأكد للصليبيين أن الطريق الى استرداد القدس من قبضة أعدائهم، لا يتم إلا خلال إخضاع القاهرة لسيطرتهم العسكرية والسياسية، وقد ساعد المؤلف على دراستة، تخصصه فى أمر الصليبية المذكورة من خلال إسهامه العلمى السابق بعنوان:

Anatomy of a Crusade, 1213- 1221, Philadelphia 1986.

تشريح الحملة الصليبية ١٢١٣- ١٢٢١م، ط. فيلادلفيا ١٩٨٦م.

وقد أشار الى تحمس النساء فى الغرب الأوربى لا سيما فى ايطاليا وتحديدا جنوة للمشاركة فى تلك الحملة الصليبية، وقد تأثر ذلك الأسقف برؤية استجابة النساء للمشاركة فى المشروع الصليبى، ويقرر فى ذات الوقت ، ان النساء المعروفة أسمائهم وأقسمن على الإشتراك فى الحملة الصليبية الخامسة قليلة على نحو لا تمكن الباحث من تناولها بشىء من التفصيل، ويقرر انه على اية حال فإن عددا محدودا من النساء نجد انهن ذهبن الى الشرق دون صحبة أزواجهن، وأورد من أسماء المشاركات كاترين برتودوس Catherine Berthoudus شقيقة سيد مالين Lord Malines ، كما أن هناك مشاركة من جانب جوليت Guilletta زوجة بارسيليوس ماركسادروس صاحب

بولونا Barellus Merxadrus of Bolona، وليسيا Lecia التى كانت أم وليم William ، وماريون Marriotta

من المؤكد مشاركتهن لذلك الرجل من يوركشير Yorkshireman فى تلك الحملة الصليبية.

ويقرر المؤلف أن من بين تسع شخصيات نسائية معروفة أقسمن للمشاركة فى تلك الحملة فإن اثنتين فقط سافرتا الى الشرق دون عائلاتهن، وهكذا، سلط بوفل الضوء على دور المرأة الأوربية فى المشروع الصليبى حينذاك.

Kedar (B.), "The subjected Muslims of the Frankish Levant", in Muslims under Latin rule 1100- 1300, ed. J.M. Powell, Princeton 1990

كيدار (ب.)، "المسلمون الذين تم إخضاعهم فى الشرق الفرنجى، ضمن كتاب المسلمون تحت الحكم اللاتينى من ١١٠٠ إلى ١٣٠٠م، نشر ج. م. بوفل، ط. برنستون ١٩٩٠م.

فى البحث المذكور، تناول المؤلف بنيامين كيدار، المسلمين الذين خضعوا للسيطرة الصليبية، وتم نشر بحثه فى كتاب خاص بالمسلمين تحت الحكم اللاتينى خلال المرحلة الواقعة بين القرنين ١٢، ١٣.

ويلاحظ أن الباحث الإسرائيلى كيدار قد اهتم بالموضوع المذكور من أجل تأصيل تاريخى لموقف الفلسطينيين حاليا من الإحتلال الإسرائيلى، ونجد أنه تناول العديد من العناصر مثل أعدادهم السكانية، وتوزيعاهم، وأساليب المقاومة التى اتبعوها ضد المحتل الصليبى.

وجدير بالذكر، أن كيدار تعرض لزاوية مهمة فى بحثه من خلال ذكره أن من المسلمين من فر من المدن التى سكنها حتى من قبل مقدم الصليبيين إليها، خوفا على أنفسهم من المذابح المتوقعة، ومن أمثلة ذلك ما حدث فى الرملة وكذلك فى طبرية.

وفى معرض حديثه عن أعداد المسلمين فى ظل الحكم الصليبى، قرر أنه من العسير معرفة أعدادهم، غير أنهم كانوا يمثلون أعدادا كبيرة فى المناطق الريفية، وهناك شواهد دالة على ذلك، من أمثلتها أن كاتب الحوليات الصليبى الفارس أرنول Ernoul قرر أن الملك الأرمينى ثورس Thoros of Armenia قرر خلال زيارته لبيت المقدس فى أواسط عام ١١٦٠م أن المسلمين يسكنون كافة قرى المملكة الصليبية، ومن بعده قرر نفس الملاحظة الرحالة الأندلسى ابن جبير عام ١١٨٤م عندما زار منطقة الجليل بشمالى فلسطين.

وعند تناوله لأوضاع المسلمين تحت الإحتلال الصليبي، تعرض لأمر القنية Slavery ، وأشار إلى أن من المسلمين من خضع للعبودية من جانب الغزاة، ويلاحظ هنا أن الرحالة الأندلسي السالف الذكر، أورد فى رحلته أمر الأسيرات المسلمات فى مدينة عكا، وهن فى الأغلال التى تقيد أرجلهن، وكان ذلك من المناظر المؤلمة المؤثرة فى نفسه.

وأشار المؤلف إلى أنه وفق قوانين مملكة بيت المقدس كان من الممكن للعبد أن يعتق فى حالة اعتناق المسيحية، ويقرر أن بدايات مثل ذلك القانون ليست معروفة، وقرر أن من دوافعه زيادة أعداد الصليبيين من خلال الأتراك الذين وصفتهم المصادر الصليبية الباكرة، على أنهم أكفاء من الناحية العسكرية، كما قرر مؤرخ الجستا Gesta المجهول.

وقد عمل كيدار على توضيح أن ذلك القانون المشار إليه وجد بصورة متوازية مع ما حدث فى غربي البحر المتوسط فى أسبانيا خاصة فى كتالونيا Catalonia، وبالنسيا Valencia .

وتعرض المؤلف لصور المقاومة التى أظهرها المسلمون ضد الصليبيين خاصة، بمجرد إدراكهم أن الأخيرين قدموا من أجل البقاء والإستقرار على حساب السكان المحليين.

وقرر، وجود حالات للمقاومة أوردها أسامة بن منقذ فى كتابه الإعتبار، كما أن هناك حالات للفرار إلى مناطق المسلمين من مناطق الصليبيين، كذلك أشار إلى تمرد عنيف واسع النطاق حدث فى منطقة جبل بحرا Jabal Bahra إلى لشرق من جبلة Jabala فى إمارة أنطاكيا Antioch حيث ثارت عناصر النصيرية فى عام ١١٣٠م، وتكرر ذات الأمر عام ١١٨٠م.

ومن زاوية أخرى، حدثت بعض الأحداث التى عكست تعاطف المسلمين مع اخوانهم الذين هاجموا مناطق الصليبيين، فى ظروف الهجوم السلجوقى عام ١١١٣م بقيادة أتابك الموصل شرف الدين مودود، وقد أرشدوا اخوانهم فى الدين، على مناطق الصليبيين، كما أنهم زودوهم بالإمدادات.

ويضاف إلى ما سبق، أشار بنيامين كيدار إلى أمر التهجير الذى اضطر إليه المسلمون، من خلال ضغط الحكم الصليبي عليهم، مما عكس استحالة الإستقرار الإجتماعى، والتعايش، مع الغزاة فى بعض الحالات، وأشهر حادثة دالة على ذلك، ما وقع من جانب الفقيه الحنبلى أحمد بن محمد بن قدامه الجماعيلى من قرية جماعيل، من أعمال نابلس، الذى رفض تسلط الصليبيين، وفرضهم للضرائب الباهظة على المسلمين، بل والتضييق عليهم فى الصلاة، خاصة من جانب الأمير بلدوين الأبلينى Baldwin of Ibelin سيد ميرابيل Lord of Mirabel .

وما لم يذكر المؤلف، أن ذلك الفقيه الحنبلى، انتقل مع أهله إلى مشارف مدينة دمشق، كجزء من عملية النزوح الجماعى من داخل المناطق المحتلة، إلى الحواض الشامية الكبرى، التى لم يتم إخضاعها للسيطرة الصليبية، وعرف موقعهم بالصالحية، وهى منطقة امتد إليها العمران فيما بعد، وصارت أحد أحياء عاصمة بلاد الشام التاريخية، واهتم بها المؤرخ الدمشقى ابن طولون الصالحى، فألف عنها كتابه: "القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية"، وكان مصدرنا الرئيسى عن ظاهرة "الجفل" أو الإنتقال الجماعى من جانب المسلمين إلى دمشق، كما فى حالة أبناء قرية جماعيل.

من ناحية أخرى، تعرض المؤلف إلى زاوية لا تخلو من دلالة، وتتمثل فى عنصر التعاون مع الصليبيين، وقد اعترف صراحة بأن ذلك كان على نطاق محدود، ومن الأمثلة القليلة التى أوردها فى ذلك المجال، حاكم الرملة المسلم الذى تعاون مع الصليبيين، واشترك مع جودفرى دى بويون Godfrey de Bouillon فى معركة عسقلان Ascalon عام ١٠٩٩م، وقرر كيدار، أنه أخبر القائد الصليبى بعزمه على التحول إلى المسيحية، كذلك أوضح أنه فى عام ١١٠٠م، نصح أحد الذين تحولوا من الإسلام إلى المسيحية، الملك بلدوين الأول Baldwin I بتوجيه حملة إلى البحر الأحمر، ويلاحظ هنا، أن مسألة الإنسلاخ عن المجتمع الإسلامى إلى المجتمع الصليبى المختلف تماما فى الدين، واللغة، والعادات والتقاليد، كان أمرا نادرا حينذاك، ويكفى الآن التقرير بأن حالات اعتناق المسيحية كانت محدودة، وهو أمر اتضح بجلاء من خلال دراسة سابقة مفصلة لنفس المؤلف، تحت عنوان "الحرب الصليبية والتبشير"، Kedar (B.), "Crusade and Mission, European Approaches Toward the Muslims", Princeton 1982

من زاوية أخرى، تعرض المؤلف إلى أمر المسلمين الذين حققوا مكانة اجتماعية سامية لدى الكيان الصليبى، ومن أمثلتهم مؤرخ الحوليات حمدان بن عبد الرحيم الذى ألف كتابا عن الفرنج الذين غزوا بلاد الشام ولم يصل إلينا، ويبدو امتلاكه خلفية طبية حيث نجح فى علاج الأمير آلان Alan أول حاكم فرنجى للأثارب التابعة لإمارة أنطاكية، وقد تلقى منه كهدية فى صورة قرية مار بنيا Mar Buniya ، وبناء على ذلك صار من المسلمين القلائل الذين امتلكوا الأراضى فى الشرق اللاتينى، وهناك مثال آخر فى صورة أن روجر الأنطاكى Roger of Antioch قدم لبنى صليح وهم من العناصر الإسلامية التى تعاونت مع الصليبيين فى إمارة أنطاكية الصليبية هبة فى صورة ثلاث قرى وذلك عام ١١١٨م.

ومن المهم الإشارة، إلى أن المثالين اللذين ذكرهما بنيامين كيدار، لا يعنيان إلا الإستثناءات التاريخية البالغة الندرة، إذ أن الوضع الإجتماعى لباقى العناصر الإسلامية الخاضعة للإحتلال

الصليبى كان ترديا، وليس من الممكن جعل مثل تلك الحالات النادرة كمقياس عام لوضع المسلمين السيء بصفة عامة.

وبصفة عامة، ألقى البحث المذكور الأضواء الكاشفة على وضع المسلمين تحت الحكم الصليبى، وقد تعددت أدوات المؤلف بين المصادر المعاصرة اللاتينية، والعربية، والمراجع الدينية بالعديد من اللغات الأوربية.

وبعد عرض الدراسات السابقة التى تناولت التاريخ الإجتماعى للحروب الصليبية بصورة أو بأخرى يمكن التوصل إلى عدة ملاحظات تجمل فى الآتى:

أولا: إتجهت أغلب الدراسات التاريخية الأوربية والأمريكية، خلال الربع قرن الماضى، فى مجال تاريخ الحروب الصليبية، إلى الإهتمام الجانبين السياسى والحربى، وندرت الدراسات الخاصة بالتاريخ الإجتماعى، وتكرر ذات الأمر لدى الكتابة التاريخية العربية، إذ لم يتم الإهتمام بالجانب الإجتماعى إلا متأخرا من خلال إسهامات عدد من المؤرخين المصريين، ومن أمثلتهم د. محمد فتحى الشاعر وأ.د. حسين عطية وأ. د. حسن عبد الوهاب كما اتضح من الصفحات السابقة، ويضاف إلى ذلك إسهامات ما يمكن وصفه بالمؤرخين الفلسطينيين الجدد الذين عملوا على دراسة تاريخ فلسطين عصر الحروب الصليبية، وتناولوا بعض الجوانب الإجتماعية ضمن دراساتهم، ومن أمثلتهم، أ. د. سعيد البيشاوى، وفؤاد الدويكات، وأسامة نعيرات، وقد اتجه ذلك الفريق إلى تفنيد اتجاهات المؤرخين الإسرائيليين الذين بالغوا فى حجم الدور اليهودى فى ذلك العصر.

ثانيا: كان المؤرخ الإسرائيلى يوشع براور، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بالجامعة العبرية بالقدس سابقا، من أهم من اتجه إلى دراسة الكيان الصليبى إجتماعيا، وقد عنى بإبراز دور الطبقة الوسطى الصليبية، فى مجال الإستيطان من خلال دراسة المستوطنات الصليبية فى الضفة الغربية لنهر الأردن، مثل البيرة، وكفر مالك، والقبيبة، وغيرها، واتجه من بعده عدد من المؤرخين الإسرائيليين إلى الإهتمام بالناحية المذكورة مثل: بنيامين كيدار، وسيلفيا سكين، وغيرهما، مع ملاحظة أن أولئك المؤرخين، يؤخذ عليهم إبراز دور اليهود خلال أحداث ذلك العصر فى صورة مفتعلة، ويلاحظ هنا أن أوجه التشابه بين مملكة بيت المقدس الصليبية وإسرائيل، من حيث افتقاد مشروعية الوجود، ومشكلتى الأمن، والحدود، ومواجهة مقاومة باسلة من السكان الأصليين، الذين أنهكوا الكيانين من الداخل، كل ذلك، دفع ببراور وتلاميذه لدراسة البنية الإجتماعية الصليبية، والمشكلات التى واجهت الصليبيين، والوسائل التى على إسرائيل اتباعها حاليا، من خلال الإستفادة من التجربة

الصليبية، وليس غريبا والأمر كذلك أن سعى براور قبل وفاته، فى ٣٠ أبريل ١٩٩٠م إلى إقامة مركز دراسات تاريخ الحروب الصليبية فى الجامعة العبرية بالقدس.

ثالثا: على مدى الربع قرن الأخير، عقد مؤتمران على المستوى العربى، الأول أقامه إتحاد المؤرخين العرب، برئاسة المؤرخ الرائد أ. د. سعيد عاشور أستاذ العصور الوسطى بجامعة القاهرة عام ١٩٩٥م، والثانى عقد فى إربد من خلال جامعة اليرموك، ونشرت أعماله فى عام ٢٠٠٠م، والأخير ظهرت فيه دراسات ذات بعد اجتماعى من جانب مؤرخين مصريين، وفلسطينيين، وأردنيين، ولبنانيين.

رابعا: يرى الباحث أنه من أجل تطوير دراسات التاريخ الإجتماعى للحروب الصليبية وغيرها من الموضوعات، من الأهمية بمكان، إقامة مركز دراسات تاريخ الحروب الصليبية، حيث يعمل على الرصد الببليوغرافى للمؤلفات الحديثة، والتحقيق، والترجمة، والنشر، وبالتالى يتم مواجهة فعاليات المركز الذى أسسه براور.

ذلك عرض عن دراسات التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية الصادرة فى الربع قرن الأخير.



إغارات أسراب الجراد وآثارها
فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية
دراسة عن المرحلة ١١١٤ - ١١٥٩م / ٥٠٩ - ٥٥٤هـ (*)

- العناصر -

يتناول هذا البحث بالدراسة : الإغارات التى تعرضت لها بلاد الشام من جانب أسراب الجراد خلال المرحلة من ١١١٤ إلى ١١٥٩م / ٥٠٩ إلى ٥٥٤هـ ، ويتعرض للتعريف بالجراد وإغاراته والآثار التى أحدثتها فى العديد من الزوايا والجوانب .

نكبت بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية - سواء فى المناطق الصليبية أو الإسلامية - بإغارات مدمرة من جانب أسراب الجراد [1] ، وعلى نحو خاص خلال المرحلة الممتدة بين عامى ١١١٤ - ١١٥٩م / ٥٠٩-٥٥٤هـ ، ويتجه هذا البحث إلى دراسة التعريف بالجراد ، وأطوار حياته ، والإغارات التى قامت بها أسرابه هناك خلال الأعوام المذكورة ، ثم يتعرض للاثار الناجمة عن ذلك على كافة الأصعدة والمستويات .

وبداية : من المقرر أن عصر الحروب الصليبية فى بلاد الشام شهد أحداثا طبيعية لم يكن للإنسان يد فيها ، وفرضت عليه نوعًا من التحدى البيئى لم يكن من السهل عليه مواجهته ، وذلك إلى جانب الصراع الأصلى الموجود على أرض بلاد الشام بين المسلمين من ناحية والصليبيين من ناحية أخرى .

ولاريب فى أن فهم تأثيرات الكوارث الطبيعية على الحوادث السياسية والاجتماعية - التى اتخذت أحيانًا شكل الكوارث - سوف يساعدنا فى تحليل الظروف التاريخية التى حكمت الصراع بين الجانبين.

ومن زاوية أخرى : من الممكن القول أن الإنسان كفاعل تاريخى لم يكن وحده له دوره فى ذلك العصر ، بل هناك كائنات صغيرة من بين عالم الحشرات كان لها تأثيرها ، وفعالياتها من خلال الظروف البيئية العامة ، ومن أمثلة ذلك دودة القز : التى أدت إلى إنتاج الحرير الطبيعى والذى دخل بدوره فى دائرة التجارة العالمية حيث وجد طريق الحرير الممتد من الصين

شرقًا حتى بلاد الشام وبيزنطة غربًا ، ومنهما إلى الغرب الأوربى ، وسعت القوى الدولية الكبرى من صليبيين، ومغول من بعدهم للسيطرة على أجزاء منه نظراً لأهميته الاستراتيجية البالغة .

وهناك أيضًا البعوض الذى أدى إلى الإصابة بمرض الملاريا على نحو فتك بالآلاف من البشر بصورة أثبتت أن تلك الكائنات المتناهية الصغر يمكن أن تحدث آثاراً كبيرة حتى على القاعدة السكانية ذاتها ، خاصة فى عصر انتفت فيه الأمصال الواقية .

ومن بين تلك الحشرات التى دخلت تاريخ تلك المرحلة ؛ الجراد الذى يتناوله هذا البحث بالدراسة ، بصورة تدل على أن هناك حشرات نافعة، وأخرى ضارة دخلت تاريخ تلك المرحلة من مراحل العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى على نحو يجعلها - وبحق - جديرة بالدراسة .

وجدير بالإشارة ؛ أن دراسة تاريخ إغارات الجراد خلال تلك المرحلة الزمنية تقابل عدة صعاب ، منها قلة إن لم يكن ندرة الإشارات المصدرية؛ حيث شغل مؤرخو ذلك العصر بالتأريخ للسلاطين والملوك والأمراء بأحداثهم السياسية والحربية . ولم تحظ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية حينذاك إلا بأقل القليل من الاهتمام . وإن وردت فى نصوص المصادر المعاصرة فإنها ترد بصورة عرضية ، ومحدودة فى الغالب الأعم ، وقد عبر المستشرق الفرنسى كلود كاهن Claude Cahen عن الموقف قائلاً ما نصه : " نحن فى التواريخ الإخبارية من حين لآخر نجد ذكراً لبعض غارات معينة للجراد ، ولكن هذه التواريخ لا تذكر تفصيلات ، والمعلومات التى يمكن أن نجمعها من هذه الإشارات هى - فيما يبدو - أمعن فى المصادقة ، وألصق بالمكان الذى تحدث فيه من أن تتيح لنا الخروج بنتائج فيما يتعلق بالتعديلات الممكنة فى عادات الجراد، ومواسم غاراته أو منطقة هجراته " (٢).

ويضاف إلى ذلك ؛ أن تلك الإغارات لم تكن موزعة بصورة متوازية، ومتساوية على مدى مرحلة زمنية طويلة على نحو يجعل مؤرخى ذلك العصر يبرزونها من حيث آثارها ، بل الملاحظ أنها أحيانًا كانت تحدث بعنف وضراوة ، وأحيانًا أخرى نجد أثرها ضعيفًا .

زد على ذلك ؛ أن إغارات أسراب الجراد على مناطق بلاد الشام كان بعضها مصحوبًا بظواهر جغرافية طبيعية أخرى مثل الزلازل ، على نحو جعل قطاعًا من المؤرخين يبرزون أمر الأخيرة أكثر من إبراز دور الجراد الفتاك فى ذلك العصر على أساس أن الزلازل أدت إلى هلاك العديدين وهدم منازلهم وهو الأمر الذى لم يحدث بالنسبة للجراد .

وبصفة عامة ؛ فعلى الرغم من اهتمام المؤرخين المعاصرين والمتأخرين بالجوانب السياسية والحربية ، وجد عدد من المؤرخين عمل على التعرض لأمر إغارات أسراب الجراد ، ومن أمثلتهم بالنسبة للجانب الصليبي نذكر فوشيه الشارترى[٣] Fulcher of Chartres فى كتابة عن تاريخ الحملة إلى بيت المقدس A History of the Expedition to Jerusalem ، وقد تعرض لأحداث تلك الإغارات خلال عامى ١١١٤م / ٥٠٩هـ ، ١١١٧م / ٥١٢هـ ويعد ذلك المؤرخ شاهد عيان معاصر لتلك الكوارث التى حلت بمملكة بيت المقدس الصليبية، وقدم إشارات مهمة فى هذا الشأن ، بل وأفادنا من حيث تقديم تفسير دينى لما حل بأملاك الصليبيين حينذاك ، ويلاحظ ؛ هنا أن ذلك التفسير كان بارزاً فى كتابات فوشيه الشارترى وغيره من المؤرخين الصليبيين المعاصرين الذين تلقوا فى الأصل تعليمًا كنسيًا فى الغرب الأوربى أو فى الشرق اللاتينى من بعد ذلك ، وأثر ذلك التعليم على كتاباتهم التاريخية .

ثم هناك أيضًا إسهام المؤرخ الصليبى وليم الصورى[٤] William of Tyre ، الذى يعد المؤرخ الرسمى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجري . فى كتابه تاريخ الأعمال التى جرت فيما وراء البحر A History of The deeds done beyond The Sea . وقدم تفصيلات مهمة عن إغارات الجراد خلال المرحلة من عام ١١٢٠ إلى عام ١١٢٤م / ٥١٥ - ٥١٩هـ ، وأورد لنا إشارات لها شأنها عن مجلس نابلس عام ١١٢٠م / ٥١٥هـ والذى كان نتاجًا لتلك الإغارات بالإضافة إلى عوامل أخرى معاونة بطبيعة الحال كالأوضاع الحربية ، والاجتماعية التى عاشها الصليبيون حينذاك .

وجدير بالذكر ؛ أن ذلك المؤرخ الصليبى البارز لم يكن شاهد عيان لتلك الوقائع ، على عكس ما وجدناه لدى سابقه فوشيه الشارترى ، وذلك على اعتبار أنه ولد حوالى عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ ، وبالتالى فإن مصادره تمثلت فى المصادر التاريخية الصليبية السابقة عليه ، وكذلك وثائق المملكة اللاتينية ، بالإضافة إلى شهود العيان المعمرين وإن عاصر الإغارات التى وقعت بعد العام المذكور .

كذلك قدم لنا المؤرخ الصليبى جاك الفترى[٥] Jacques de Vitry فى كتابه تاريخ بيت المقدس A History of Jerusalem إشارات مهمة - وإن كانت محدودة - خاصة بدور الجراد فى حياة عناصر الرهبان المسيحيين فى ربوع منطقة نهر الأردن .

أما على مستوى الكتابة التاريخية الإسلامية ؛ فنجد عدداً من المؤرخين ، والجغرافيين ، وعلماء الحشرات ، والحيوان ممن قدم لنا مادة لها شأنها أعانت على دراسة موضوع البحث ،

وذلك حتى لا تقتصر المعالجة على المصادر التاريخية الصليبية وحدها ، وفى هذا المجال نذكر المؤرخ الحلبى العظيمى[٦] (ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م) فى تاريخه وقد تعرض إلى أمر إغارات أسراب الجراد والتهامها غلة الشام مثلما حدث فى عام ١١١٧م / ٥١٢هـ ، وإن كانت تلك الإشارات بالغة الاقتضاب، ولا تتجاوز بضعة كلمات غير أنها أفادت فى إلقاء الضوء على تلك الوقائع خاصة مع الإفادة من المصادر التاريخية الأخرى سواء كانت صليبية أو إسلامية .

ولا نغفل كذلك المؤرخ العماد الأصفهانى[٧] (القاضى) (ت ق ٦هـ / ١٢م) فى كتابه البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان . وقد اتسمت إشارته – هو الآخر – بالاقتضاب وإن أوضح لنا النطاق الجغرافى لإغارات أسراب الجراد كما نجده بالنسبة لعام ١١٥٢م / ٥٤٧هـ .

ثم هناك أيضًا ابن قاضى شهبة[٨] (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م) فى كتابه الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، وعلى الرغم من أن المؤرخ المذكور كان متأخراً عن عصر الحروب الصليبية ، إلا أنه عمل على إيراد إغارات أسراب الجراد على نحو يعكس اهتمامه بالزوايا الاقتصادية والاجتماعية ، وعدم اقتصاره على الجوانب الحربية ، والسياسية فحسب.

ولا نغفل من بين المصادر الإسلامية ما ألفه القزوينى[٩] (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٢م) ؛ وهو العالم الجغرافى الموسوعى ، وذلك فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، حيث قدم زوايا مهمة عن الجراد ، وإغاراته ، وأساليب مقاومته ، وكذلك فوائده فى علاج عدد من الأمراض التى تصيب الإنسان .

أما الدميرى[١٠] (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ؛ فقدم لنا معلومات أساسية عن الجراد ، وإغاراته ،وأساليب تكاثره فى كتابه حياة الحيوان الكبرى .

إن كافة تلك المؤلفات قدم لنا مؤلفوها إشارات لها أهميتها بشأن طبيعة الجراد ، وإغاراته على نحو أفاد فى إلقاء الأضواء الكاشفة عن موضوع البحث فى عدد من جوانبه الجزئية .

ويلاحظ أن الجراد Locusts , Grasshopper حشرة تعرف الواحدة باسم جرادة سواءً بالنسبة للذكر أو الأنثى[١١] ، وهو من أنواع وأصناف مختلفة ، فالبعض منه كبير الحجم ، والبعض الآخر صغير ، وهو ذو ألوان متعددة ، فمنه ما له لون أصفر ، أو أبيض ، أو أحمر [١٢]، ومما يذكر هنا : أن حجم حشرة الجراد كبير ؛ إذ يبلغ طول الذكر حوالى ٤,٤٥ - ٥,٥ سم ، والأنثى نحو ٥,٥سم [١٣]، وذلك مقارنة بالأنواع الأخرى من الحشرات كالبعوض ، والنمل على سبيل المثال .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ؛ أن من أشهر أنواع الجراد ثلاثة أنواع نطاقها الجغرافي في مناطق ترتبط بموضوع البحث ويمكن إيرادها كالآتي:

١ - الجراد المراكشي (Dociostaurus Maroccanus (Thanb ؛ ويلاحظ أنه يهدد مناطق جنوبي وشمالي أفريقيا ، وكذلك أقاليم الشرق الأوسط ، وأيضًا أواسط آسيا (١٤).

٢ - الجراد الصحراوي (Schistoserca gregaria (Forskal ؛ وهو أهم الأنواع ، وعلى نحو خاص في منطقة الشرق الأوسط (١٥).

٣ - الجراد المهاجر Locusta Migratoria ؛ وله أنواع مختلفة ، وهي تعيش في بعض أقاليم قارتي أفريقيا وآسيا (١٦).

ومن المهم إدراك أن الجراد الصحراوي - على نحو خاص - كانت له خطورته على بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية ، وأحدث آثاره التدميرية أينما حل .

على أية حال ؛ لكي نتناول بالدراسة الجراد خلال المرحلة موضوع الدراسة ؛ يتحتم علينا التعرض أولاً لمراحل هجرته وتكاثره ، وفي هذا الشأن نعرف أن هناك مرحلة تسبق تكاثره في صورة هجرته ؛ وقد اختلف الباحثون في أمر هجرة الجراد من حيث دوافعها ، وأسبابها ، غير أن هناك من يقرر أن من أهمها البحث عن الغذاء ، كذلك توجد عوامل فسيولوجية حيث لوحظ وجود علاقة كبيرة بين هجرة الجراد ، وتمام استكمال نمو الأعضاء التناسلية الداخلية ، وقد ذكر البعض في هذا المجال أن حركة الجراد تساعد على رفع درجة حرارة الجسم فيتم احتراق الأجسام الدهنية وغيرها من المواد التي يتم اكتنازها ، فتكثر حركته ، وميله نحو الطيران ؛ على نحو يساعد على استكمال نمو الأعضاء التناسلية للجراد (١٧).

ويلاحظ أن الجراد يبدأ في التزاوج بمجرد وصوله إلى الأماكن الجديدة التي هاجر إليها ، وتقوم الإناث بوضع البيض في التربة التي توصف بأنها خفيفة ، وهشة . وتتوافر فيها الرطوبة مثل الوديان في الصحراء أو الأرض البور ، وكذلك الأرض الرملية المجاورة للأراضي الزراعية ، ثم هناك أيضًا جسور الترع ، والمساقي(١٨).

ومن المقرر ؛ أن الجراد يضع من البيض أكبر عدد يتم وضعه بعد الأسماك ، ويتم فقس البيض في أقل من سبعة أيام (١٩)، وتضع الأنثى في كل حفرة من الحفر ما بين ٢٠ ، ١٠٠ بيضة ، وقد يتم وضع البيض في أكثر من حفرة تصل إلى ٦ حفر ، وتقوم الأنثى بتغطية سطح الحفرة بمادة رغوية تفرزها من خلال غدد زائدة للجهاز التناسلي ، ومن بعد ذلك؛ تغطي الحفرة

بالرمل أو التراب بواسطة حركة البطن [٢٠] ، ولا ريب أن الجراد بذلك يتكاثر بكميات كبيرة خلال فترة زمنية قصيرة ودل ذلك على خطورته الشديدة .

أما أضرار الجراد وإغارات أسرابه ؛ فنجدها بجلاء من خلال إدراكنا أن الحشرة الكاملة تأكل ما يعادل وزنها يوميًا ، وعلى سبيل المثال ؛ إذا ما علمنا أن سربًا صغيراً يقوم بشغل مساحة من الأرض لا تتجاوز ثمانية أميال مربعة يحتوى على ١٠٠ مليون جرادة تقريبًا ، أمكن حساب كمية الغذاء التى يلتهما هذا السرب مع العلم بأن متوسط وزن الحشرة الكاملة من النوع الصحراوى حوالى ٢٠جم [٢١].

وبصفة عامة ؛ من الممكن إدراك خطورة الجراد من خلال إدراكنا للأعداد الهائلة من الحشرات الكاملة التى نجدها فى السرب الواحد ، ثم هناك الشراهة الكاملة فى الالتهام لكل ما هو أخضر ، ولا نغفل كذلك؛ سرعة تحرك أسرابه وانتقالها من مكان لآخر حاملة معها الخراب حينما حلت ، ثم نذكر أيضًا تهديده لكل المجموعة النباتية على نحو تقريبى ، ويتعدى الأمر إلى أنه يمكنه تجنب النباتات السامة التى تنتشر فى الصحرا ء مثل " العشار " ، ويفضل عليها الأنواع الأخرى ، وأخيراً ، ينبغى أن نضع فى الاعتبار أن خطورة الجراد تكمن كذلك فى سرعة تكاثره[٢٢] ؛ كما أسلفت الإشارة من قبل ، ولا ريب فى أن كافة تلك المواصفات الخاصة به تجعله عدواً لدوداً لبنى البشر يصعب مواجهة آثاره الفتاكة .

ولا نزاع فى أن تلك الحشرة التى عرفها الإنسان من العصور القديمة- حيث وجدت نقوش تمثل الجراد فى مقابر قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة (٢٧٣٠ - ٢٤٢٠ق.م)[٢٣] - تعكس تأثيرها المدمر ، وبالتالى أهمية دراسة آثارها تاريخيًا .

ومن المفيد أن نلقى رؤية عابرة عن الجراد فى التراث العربى من أجل تعميق دراسته فى بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية .

وبداية ؛ من المقرر أن الجراد ورد ذكره فى القرآن الكريم من خلال قوله جل شأنه { يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر } كذلك وردت إشارات عنه فى الأحاديث النبوية الشريفة [٢٤].

ومن ناحية أخرى ؛ وردت إشارات عن تأليف ثلاث رسائل لغوية صغيرة عن الجراد حملت جميعها عنوان : « كتاب الجراد » ألفها كل من أبى نصر أحمد بن حاتم (ت ٢٣١هـ / ٨٤٤م) ؛ وأبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) ، والأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ / ٩٢٨م) [٢٥]؛ مما عكس إدراك أولئك المؤلفين لأهمية التأليف عن تلك الحشرة خلال تلك

المرحلة المبكرة نسبيًا ، ونعنى بها مرحلة القرنين الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى ، والرابع الهجرى / العاشر الميلادى .

ومن زاوية أخرى ؛ وردت عدة أمثال تناولت أمر الجراد ، من ذلك قول العرب : " جاء القوم كالجراد المنتشر" ، أو " كانت السهام كالجراد " ليعنى الكثرة ، وكذلك تعبير كالجراد لا يبقى ولايذر ، وقيل أيضًا : أصفى من لعاب الجراد ، وأفسد من جراد ، وأعظم من جراد إلى نحو ذلك (٢٦). وكل ذلك يدل دلالة وضاحة على أن الجراد من فعالياته وتأثيراته دخل فى الأمثال العربية التى ظلت الألسن تتناقلها جيلاً بعد آخر .

زد على ذلك ؛ نعرف أن العرب أطلقوا على جماعات الجراد أسماء متعددة فهناك الثوالة ، والرِّجْل ، والرجلة ، والزحف ، والسد ، والخرقة، والجزقة ، والحرشف ، والرعيل ، والطبق ، والخيط ، والعيران (٢٧).

كذلك ، دخل الجراد فى طعام الناس فى أقاليم عديدة من بلاد الإسلام ، ويخبرنا أديب العربية الكبير الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م) والذى عمل بائعًا فى أسواق البصرة ، أن الجراد يطيب حاراً ، وبارداً ، ومشويًا ، ومطبوخًا ، ومنظومًا فى خيط (٢٨) ، ويلاحظ أن تعدد تلك الأشكال ، والأصناف يعكس لنا تعدد أذواق آكلى الجراد على نحو أدى إلى اختلاف طرق تقديمه لهم .

ومن زاوية أخرى ؛ أدرك الأطباء المسلمون فوائد طبية للجراد لاسيما فى علاج عسر البول ، وكذلك فى حالات الاستسقاء (٢٩)، ويقصد به تجمع الماء فى أجواف الجسم أو بين عناصر أنسجته (٣٠)، وقد أمكن علاجه إلى جانب استخدام الجراد من خلال نباتات أثبتت فائدتها العلاجية مثل الراوند (٣١). على نحو عكس اتساع نطاق وسائل العلاج حينذاك بحيث شملت الحشرات ، والنباتات . وكشف عن شمولية معارف المسلمين العلاجية فى العصور الوسطى بصفة عامة .

مهما يكن من أمر ؛ فالملاحظ أن عصر الحروب الصليبية على مدى القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر الميلاديين / السادس ، والسابع الهجريين ؛ شهد ظاهرة أسراب الجراد المهاجمة للبيئة حينذاك . ونجد مثالاً وضاحًا دالاً على ذلك خلال المرحلة الزمنية الممتدة من ١١١٤ - ١١٥٩م / ٥٠٩-٥٤٤هـ على نحو أشارت إليه عدة مصادر تاريخية معاصرة سواء من المؤرخين الصليبيين أو المسلمين .

وجدير بالذكر ؛ أن تلك الإغارات منها ما تركز فى عام واحد ، ومنها ما امتد ليشمل عدة

أعـوام ، وقـد تناثـرت تلك الإغـارات على مـدى الأعـوام التـاليـة : ١١١٤م / ٥٠٩ هـ [٣٢]، ١١١٧م / ٥١٢هـ[٣٣]، ١١٢٠ - ١١٢٤م / ٥١٥ - ٥١٩هـ [٣٤]، ١١٣٨م / ٥٣٣ هـ [٣٥]، ١١٤٧م / ٥٤٢هـ ، ١١٥٢ - ١١٥٩م / ٥٤٧ - ٥٥٤هـ [٣٦].

إن رؤية متـأنية للأعوام المذكـورة ؛ تكشف لنا عن عدة مـلاحظات ، تتـمثـل فى أنه خلال (٤٥ عـامًا) أو أربعـة عـقـود ونصف من الزمان تعرضت بلاد الشـام إلى ست إغـارات كـبيرة لأسراب الجراد ممـا يـدل على تركـزها ، وفعـالياتها خـلال المرحلة الزمنيـة المذكـورة ، ونجـد أن تلك الإغـارات تتـقـارب زمنيًا خـلال المرحلة الواقـعـة بين عـامى١١١٤م/٥٠٩هـ، ١١٢٤م / ٥١٩هـ . حيث كان الفاصل الزمنى بين كل إغـارة وأخرى يقدر بنحو ثلاث سنوات وذلك أمر له دلالته ؛ إذ يعنى أنه ما كاد المعاصرون ينتهون من مواجهة تلك الأسراب وآثارها الفتاكة حتى تعـود إليهـم مـرة أخـرى فى غـضـون ثلاث سنوات فـقـط ، ويبـدأ التبـاعـد الزمنى بعـد انتهـاء إغـارات عـام ١١٢٤م / ٥١٩هـ ووجـود مـرحلة أخـرى من عـام ١١٢٤م / ٥١٩هـ إلى عـام ١١٥٩م / ٥٥٤هـ ، حيث وجدنـا الفـاصل الزمنى بين كل إغـارة وأخـرى يتـسـع ليـتـراوح بين خمس وأربع عشرة سنة .

وبصفة عـامة ؛ من الممكن القول بأن المرحلة موضوع الدراسة الممتدة بين عامى ١١١٤م / ٥٠٩هـ ، ١١٥٩م / ٥٥٤هـ ، توصف بأنها شهدت نشاطًا كبيرًا لأسراب الجراد فى نطاق بلاد الشـام ، ولم يكن ذلك قاصرًا عليها بل إن العـراق - خاصـة القسم الشمـالى منه - شهـد نفس تلك الظاهرة ، ونفس الأمـر وجدناه بالنسـبـة لإقليم آخر مـتـبـاعـد عن بلاد الشـام فى صـورة الأندلس - كما سيتضح فيما بعد - مما يعكس شمولية الظاهرة واتساع نطاقها الجغرافى .

ويلاحظ أن هناك تفـاوتًا فى مـعـالجـة المصـادر التـاريخـيـة المعـاصـرة سـواء الصليـبـيـة أو الإسلامية لتلك الإغارات لأحداث الأعوام المذكورة ؛ فـأحيانًا تبرزها المصادر الصليبية بينما تتـغاضى عنها المصادر الإسلاميـة، والعكس صحيـح ، ولا تعليل لذلك سوى أن بعض الأعوام شهدت هجومًا لتلك الأسراب فى مناطق فريق على حساب فريق آخر ، وأن حجم الخسائر كان متفاوتًا ؛ فـهناك خسـائر كبيرة لدى طرف ، بينما انتفت لدى الطرف الآخر . ومن هنا ؛ جاء انعكـاس ذلك على المصـادر التـاريخـيـة ذاتهـا ، ناهيك عن الاهتـمـام بالزوايا السـيـاسـيـة ، والعسكرية الطابع بصفة عامة كما أسلفت الإشارة من قبل .

وجدير بالذكر ؛ أن المرحلة موضـوع البحث الواقـعة بين عـامى ١١١٤، ١١٥٩م / ٥٠٩ - ٥٥٤هـ كـان الصليبيـون قد تمكنوا من قبلها من غزو بلاد الشام وإقـامة إمـارات لهم فيهـا في

صورة إمارة أنطاكية Antioch، ومملكة بيت المقدس Jerusalem الصليبية ، وإمارة طرابلس Tripolis وذلك بالإضافة إلى إمارة الرها Edessa فى الجزيرة الفراتية، وهى أولى الإمارات التى تم تأسيسها على الأرض العربية . وخلال الأعوام الخمس والأربعين المذكورة تعاقب على مملكة الصليبيين أربعة ملوك فى صورة بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨م / ٤٩٤ - ٥١٢هـ) ، وبلدوين الثانى Baldwin II (١١١٨ - ١١٣١م / ٥١٢ - ٥٢٦هـ)، وفولك الأنجوى Fulk of Anjou (١١٣١-١١٤٤م/٥٢٦- ٥٣٩هـ)، وبلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤ - ١١٦٢م/ ٥٢٦ - ٥٤٤هـ)، أما باقى بلاد الشام ، فقد خضعت لسيادة عدد من القوى السياسية الإسلامية ، مثل أتابكية دمشق التى أسسها ظهير الدين طغتكين عام ١١٠٣م / ٥٠٩هـ والتى انتهت عام ١١٥٤م / ٥٥٤هـ بأخضاع نور الدين محمود لها بعد أن أخضع من قبل مدينة حلب حاضرة شمال الشام التجارية الاستراتيجية والتى كانت قد خضعت من قبل لوالده عماد الدين زنكى عام ١١٢٨م/ ٥١٥هـ، وكذلك هناك بنو منقذ فى شيرز ، وغيرها من القوى الثانوية .

على أية حال ؛ من الملاحظ أن أول إغارة لأسراب الجراد فى تاريخ بلاد الشام بعد احتلال الصليبيين لأجزاء منها ، حدثت عام ١١١٤م / ٥٠٩هـ(٣٧)، حيث هوجمت مملكة بيت المقدس الصليبية بعد قرابة عقد ونصف فقط من تأسيسها فى عهد الملك بلدوين الأول ، وكانت أعداد الجراد الذى هاجم تلك المملكة كبيرة على نحو جعل مؤرخًا صليبيًا معاصراً يقرر بأنه خرج عن الإحصاء (٣٨)، ومن الجلى البين ، أن الصليبيين عرفوا خلال تلك المرحلة المبكرة المصدر الذى قدمت منه تلك الأسراب فى صورة شبه جزيرة العرب ، وأدركوا أن ذلك النوع هو النوع الصحراوى الذى يوصف بأنه أشد فتكًا بالمقارنة بالأنواع الأخرى ، ولا أدل علي ذلك من أنه خلال بضعة أيام من شهرى أبريل ، ومايو من العام المذكور أصاب الجراد مزروعات الصليبيين بخسائر فادحة (٣٩).

وواقع الأمر ؛ أننا لا نعرف التحديد الزمنى اليومى لتلك الأحداث غير أننا من الممكن أن نرجح - دون إمكانية التأكد - حدوث ذلك فى أواخر شهر أبريل ، وأوائل شهر مايو ، وذلك اعتماداً على ما أورده المؤرخ الصليبى فوشيه الشارترى حيث ذكر أن ذلك حدث خلال بضعة أيام من شهرى أبريل ومايو ، وذلك ما لم تكن قد حدثت فى عدد قليل من الأيام من الشهر الأول ثم توقفت وعادت فى الشهر التالى .

وجدير بالذكر ؛ أننا كى ندرك عنف ما حدث من جراء أسراب الجراد خلال بضعة أيام من الشهرين المذكورين، لا نغفل أن الصليبيين بعد تلك النكبة التى نكبوا بها ؛ بنحو شهرين

فـقط، وبالتـحـديد في يوم ١٠ أغـسطس ١١١٤م / ٦ ربيع الأول ٥٠٨هـ ، نكبـوا بزلزال عنيف[٤٠]، كان أيضًا أول عهد لهم بالزلازل التى أصيبت بها بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبيين على مدى القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر الميلاديين / السادس والسابع الهجريين ، وذلك خلال الاحتفال بعيد القديس لورنس St. Lawrence ، وأحدث دماراً عنيفًا فى مدن أنطاكية، ودفن العديد من الناس تحت الأنقاض من جرائه [٤١] .

ومعنى ذلك ؛ أن مملكة الصليبيين خلال خمسة شهور من أبريل إلى أغسطس ١١١٤م ؛ نكبت بكارثتين طبيعيتين الأولى خاصة بهجمات أسراب الجراد ، والثانية متصلة بالزلازل ، واتفقت الحادثتان فى زوايا ، واختلفت فى أخرى ، إذ اتفقت الحادثتان فى أنهما كانتا أول عهد للصليبيين بهما ، وألحقتا أضراراً بالاقتصاد الصليبى على المستوى الزراعى ، والبنية السكانية الصليبية ذاتها، أما وجه الاختلاف فيتمثل فى أننا نملك إشارات عن الزلازل أوفر نسبيًا من تلك الخاصة بهجمات أسراب الجراد، ووجه الاختلاف الآخر ؛ يتمثل فى أن هجمات أسراب الجراد حدثت خلال بضعة أيام ، أما الهزات الزلزالية فقد وقعت خلال يوم واحد محدد فى صورة يوم ١٠ أغسطس عام ١١١٤م / ٦ ربيع الأول ٥٠٨هـ .

ومن الجلى البين ؛ أن الصليبيين كان عليهم أن يتأقلموا مع بيئة طبيعية جغرافية جديدة لها خصوصيتها اختلفت عن الغرب الأوربى ، من حيث ارتفاع درجات الحرارة ، وكذلك حدوث هجمات لحشرات فتاكة تأكل الأخضر ، واليابس بالإضافة إلى التقلبات فى القشرة الأرضية فى صورة الزلازل ، وكذلك انتشار أمراض معينة خاصة بها . وكان على الغزاة التعامل مع ذلك الواقع الجديد الذى كان عليهم مواجهته ، مع ملاحظة أن ذلك العصر لم تكن فيه مراصد علمية لرصد إغارات الجراد وكذلك وسائل لرصد الزلازل وتوقعها .

ويلاحظ ؛ أن المصادر التاريخية العربية المعاصرة - مثل ابن القلانسى - لا تلقى الضوء على أحداث تلك الهجمات الخاصة بأسراب الجراد . مما يضع احتمالاً - لا نستطيع تأكيده أمام صمت المصادر - خاص بأن تلك الإغارات - حينذاك - شملت مناطق الصليبيين فى بيت المقدس كما أقرت مصادرهم ، وأن تلك الأسراب مرت بشرق الأردن دون أن تحط إلا فى عاصمة الصليبيين الدينية ، ونعنى بها مدينة بيت المقدس .

وذلك يؤكد احتمال أنها قدمت للمملكة الصليبية من جهة الشرق أو الجنوب الشرقى ، ولم تأت لهم من جهة الشمال أو الشمال الشرقى ، لأنه فى حالة حدوث ذلك من خلال الاتجاهين الأخيرين خاصة مع هبوطها، والتهامها الغطاء الأخضر فى تلك المناطق ثم استمرارها إلى

مناطق الصليبيين – لما تردد مؤرخو المسلمين عن إيراد تلك الأحداث المدمرة فى حولياتهم المعاصرة .

وجدير بالإشارة هنا ؛ أن تلك الإغارات فى العام المذكور جاءت فى وقت كانت الأخطار تتهدد مملكة الصليبيين الوليدة التى لم يكن قد مر علي غرسها عنوة فى الأرض العربية سوى خمسة عشر عامًا تقريبًا فقط، وكان الأعداء المسلمون يحيطونها من الشمال والجنوب ، وأن تمكن الغزاة من فتح عدد من المدن الساحلية مثل عكا عام ١١٠٤م / ٤٩٨هـ(٤٢) ، وبيروت ١١١٠م / ٥٠٣هـ (٤٣)، وصيدا عام ١١١١م / ٥٠٤ هـ (٤٤)وغيرها ، وبصفة عامة ؛ عانى الصليبيون من محدودية أملاكهم ، وكذلك صغر مساحة الأراضى المزروعة بالتالى ، وهكذا ؛ كانت نكبة الجراد عليهم متضاعفة من خلال الأخطار العسكرية المحيطة بهم خلال تلك المرحلة.

على أية حال ؛ لم تكن لأسراب الجراد أن تتوقف عند حدود ذلك العام، فبعد انقضاء ثلاثة أعوام ، وبالتحديد فى شهر مايو من عام ١١١٧م / ٥١٢هـ ؛ عاودت الأسراب الهجوم بصورة أكبر من الأحداث السابقة ، ويقرر أحد المؤرخين الصليبيين المعاصرين – وهو فوشيه الشارترى(٤٥) – أنها كانت خارجة عن الإحصاء ، وهاجمت المحاصيل الحقلية ، وكذلك الأشجار بأنواعها المختلفة (٤٦)، ووصفت – نظراً لكثافتها – بأنها كانت أشبه شيء بالجيش الجرار المنظم (٤٧) ، وذكر أن أنواع الجراد منها ما كان يطير ، ومنها ما كان يزحف (٤٨).

ومن المهم ملاحظة ؛ أن وصف ذلك المؤرخ لأحداث إغارات الجراد فى مناطق الصليبيين عام ١١١٧م / ٥١٢هـ ، يتفوق فى تفاصيله على ما أورده عام ١١١٤م / ٥٠٩هـ ؛ وهو أمر يعكس أن أحداث عام ١١١٧م/ ٥١٢هـ فاقت سابقتها بمراحل على نحو جعل ذلك المؤرخ يوجه لها اهتمامه ويقدم للقارىء تلك التفاصيل ، بل إننا نجده يقدم تعليلاً وتفسيراً دينيًا لما وقع وهو أمر لم يذكره عندما تناول إغارات عام ١١١٤م / ٥٠٩هـ ؛ مما عكس أن حجم الإغارات فى المرة التالية كان أكبر وأخطر ، ومن خلال إشارة ذلك المؤرخ المعاصر الذى فسر ما حدث على أنه كان بمثابة العقاب الإلهى الذى حل بالصليبيين من جراء الآثام التى اقترفوها ، وعمليات السلب ، والنهب التى قاموا بها ضد جيرانهم من المسلمين (٤٩).

ومن الممكن تصور أن ذلك المؤرخ ما اتجه إلى تفسير تلك الأحداث بمثل هذه الصورة إلا من خلال إدراكه لفداحة ما حل باقتصاديات الصليبيين لاسيما فى النطاق الزراعى حيث منه غذاؤهم ، ولا نغفل أن ما حدث من جراء إغارات أسراب الجراد عام ١١١٧م / ٥١٢هـ جاء بعد ثلاثة أعوام فقط من الأحداث السابقة ، وهكذا ؛ لم تكد مملكة الصليبيين تفيق من

الإغارات الأولى ، حتى نكبت بأخرى أشد فتكًا ، ولا نغفل أن الحادثتين تمتا فى عهد الملك الصليبى المؤسس بلدوين الأول الذى حكم خلال المدة من ١١٠٠ إلى ١١١٨م / ٤٩٤ - ٥١٢هـ ، ويعد ذلك الملك بمثابة أول ملك صليبى تتعدد فى عهده إغارات الجراد ، حيث وقعت غارتان خلال عهده ، وإن زاد عليه الملك فولك الأنجوى بحدوث ثلاث إغارات خلال سنوات حكمه ، مع عدم إغفال أن الملك الأول حكم ثمانية عشر عامًا ، بينما الثانى حكم ثلاثة عشر عامًا ، مما يدل أن الغارات الثلاث المذكورة تركزت خلال سنوات أقل من تلك التى حكمها الملك الأول .

وتبقى زاوية أخرى ؛ فيما يتصل بأغارات أسراب الجراد عام ١١١٧م / ٥١٢هـ ، وهى تتمثل فى أنها تميزت بتعدد أنواع الجراد ذاته ، فالمؤرخ السالف الذكر أشار إلي أن هناك ، نوعين من الجراد هاجما مملكة الصليبيين الأول وهو الطائر ، والثانى الزاحف ، وذلك أمر لا يخلو من دلالة إذ أنه فى العام السابق وهو عام ١١١٤م / ٥٠٩هـ ، لم يكن هناك سوى نوع واحد لا يمكن تحديده أمام عدم إيراد المصادر إشارة صريحة بشأنه ، أما فى العام الأخير ، وأعنى به عام ١١١٧م / ٥١٢هـ فكان هجوم أسراب الجراد في صورة النوعين المذكورين ولذلك ذكرها ذلك المؤرخ تمييزاً لها عما حدث من قبل على ما هو مرجح .

على أية حال ؛ سواء كان الجراد قد هاجم المملكة الصليبية فى المرة الأولى أو الثانية ؛ فالملاحظ أن إغاراته لم ينجم عنها ما يوصف "بالمجاعة" ، فلم يرد فى نصوص المصادر التاريخية المعاصرة شيء عن ذلك ؛ مما يعكس أن الاثار الناجمة عن ذلك لم تصل إلى الحدود الخطيرة التى كان من شأنها تهديد الصليبيين في أمنهم الغذائى ، وكان من الممكن - بالتالى - احتواء تلك الاثار بصورة أو بأخرى .

أما بالنسبة لمناطق المسلمين ؛ فالملاحظ أن العظيمى يقرر أن الجراد عام ١١١٧م / ٥١٢هـ أكل غلة الشام والجزيرة [٥٠]، وأوضح أن ذلك أعقبه ارتفاع الأسعار [٥١]، ويلاحظ هنا أن تلك الإشارة تدل على أن إغارات أسراب الجراد حينذاك لم تكن قاصرة على بلاد الشام فقط ، بل امتدت لتشمل إقليم الجزيرة الفراتية المجاورة لها ، وأمام النقص فى المعروض من الحبوب ، والغلال من جراء تلك الإغارات ؛ كان أمراً متوقعًا أن أشار ذلك المؤرخ إلى ارتفاع الأسعار .

وهكذا ؛ اتضح لنا أن إغارات عام ١١١٧م / ٥١٢هـ ؛ وحدت بين الصليبيين والمسلمين فى مواجهة واحدة تجاه تلك الظاهرة الجغرافية الفتاكة ، وذلك على الرغم من المظاهر السياسية والحربية للصراع بين الجانبين .

مهما يكن من أمر ؛ توالت هجمات الجراد بعد توقف دام قرابة ثلاث سنوات ليستمر من بعد ذلك أربع سنوات ؛ إذ نلاحظ تجددها عام ١١٢٠م / ٥١٤هـ (٥٢)، واستمرارها خلال المرحلة من ١١٢٠ إلى ١١٢٤م / ٥١٤ - ٥١٨هـ ، وقد ألقى الضوء على أحداثها المؤرخ وليم الصورى ، ومن خلال ما ذكره فى حوليته نعرف أن أسراب الجراد انقضت على أملاك الصليبيين - وزاد عليها هجمات الفئران - واستمر ذلك طوال أربعة أعوام ، وقد أدت إلى إهلاك المحاصيل بصورة كاملة حتى ظهر وكأن العالم بأكمله سيتعرض إلى اختفاء الخبز (٥٣).

وتعد إشارات ذلك المؤرخ الصليبى البارز فى أمر تلك الهجمة على جانب كبير من الأهمية ، فالملاحظ أننا لأول مرة منذ وصول الصليبيين إلى المنطقة نجد استمراراً لإغارات أسراب الجراد طوال تلك المدة الزمنية الطويلة على مدى أربعة أعوام كاملة ، وزاد الخطر من خلال تواجد الفئران معها ، ومن الجلى البين ؛ أن نقصًا فى الحبوب لاسيما القمح قد حدث بدليل إشارته بشأن النقص فى الخبز - وهو الغذاء الأساسى - وهكذا فنحن أمام امتداد زمنى كبير إذا ما قارنا بين أحداث عامى ١١١٣م / ٥٠٩هـ ، ١١١٧م / ٥١٢ هـ التى استمرت الإغارات خلالها بضعة أيام . أما الآن ؛ فنحن فى مواجهة الظاهرة على مدى السنوات الأربع المذكورة ، والحقيقة أننا ينبغى إدراك استحالة حدوث ذلك على مدى تلك الأعوام بصورة يومية أو أسبوعية مثلاً ، بل من المفترض أن الإغارات كانت تحدث ثم تخفت ثم تعود مرة أخرى ، وهذا هو الافتراض الأقرب إلى المنطق .

وهكذا ؛ من الممكن تصور أن شبح المجاعة عاد للظهور أمام الصليبيين حينذاك ، وذلك بعد أن واجهوا بشراسة من قبل خلال حصارهم لأنطاكية عندما وصلت قواتهم إلى هناك عام ١٠٩٧م /٤٩١هـ، وأفاضت المصادر التاريخية فى الإشارة إلى ذلك(٥٤)، ومن المتصور أن هذه تعد ثانى أكبر مجاعة واجهتهم على أرض بلاد الشام خلال المرحلة المبكرة من تاريخهم .

ومن زاوية أخرى ؛ من المهم عدم الفصل بين أحداث إغارات أسراب الجراد ، وبين الواقع الحربى والسياسى الذى كانت تعيشه مملكة بيت المقدس الصليبية حينذاك ، فقد وقعت أحداث تلك الإغارات عام ١١٢٠م / ٥١٥هـ ، وكانت المملكة لاتزال تلعق جراح نتائج معركة حربية كبيرة جرت فى إمارة أنطاكية التابعة لها فى شمال الشام منيت فيها قوات تلك الإمارة بهزيمة قاسية فى صورة معركة البلاط أو ساحة الدم Ager Sanguinis (٥٥)، فى ٢٨ يونيو ١١١٩م / ١٦ ربيع الأول ٥١٣هـ ، وقد هزم فيها فى سهل قريب من ارتاح أمير أنطاكية روجر الأنطاكى Roger of Antioch (١١١٢ - ١١١٩م / ٥٠٦ - ٥١٣هـ) من جانب أتابك

الموصل ايلغازى وأتابك دمشق طغتكين ، وقد عدت تلك المعركة بمثابة هزيمة كبيرة لتلك الإمارة الصليبية التى قتل أميرها فى ساحة الوغى ، وتطلب الأمر : مقدم الملك الصليبى بلدوين الثانى Baldwin II من أجل حمايتها من الأخطار المحدقة بها من جانب المسلمين ، وكذلك حماية أمن مملكة بيت المقدس من جهة الشمال .

مهما يكن من أمر ؛ كان الخطر الذى أحدق بالكيان الصليبى كبيراً على كافة المستويات الحربية ، والسياسية ، والاقتصادية ، ولا نرتاب فى أن إغارات أسراب الجراد ، والنقص الحاد فى مخزون الحبوب قد جعل وليم الصورى مؤرخ الصليبيين البارز يورد صراحة التهدد بخطر المجاعة - كما أسلفت - وقد اتجه الصليبيون إلى مواجهة الموقف من خلال عقد مجلس فى مدينة نابلس بالضفة الغربية لنهر الأردن (٥٦) ، وذلك فى يوم ٢٣ يناير عام ١١٢٠م / ١٩ شوال ٥١٣هـ ؛ من أجل مناقشة أوضاع المملكة الصليبية المتدهورة ، وإعادة تنظيم أمورها ، خاصة أن التفسير الدينى ظهر بجلاء لدى قطاعات من قياداتها لاسيما الكنسية ، وهو أمر انعكس على كتابات المؤرخين الصليبيين المتأخرين عن تلك الأحداث، وتعرضوا لها فى كتاباتهم ، مثل وليم الصورى نفسه ، إذ أقر ما نصه : " .... صار واضحًا للكافة أن الذنوب التى يقترفها الناس أثارت غضب الرب، وتقرر بموافقة وقبول عام ضرورة التوبة والرجوع عن الآثام ، وكبح تجاوزاتهم ، وتمنوا أن يغفر لهم الرب عندما يعودون أدراجهم إلى الطريق القويم"(٥٧).

ويقرر نفس المؤرخ أن الصليبيين من خلال عقدهم لذلك المجلس اتجهوا إلى أن يرفعوا مستوى الأخلاقيات ، والعمل على المحافظة على النظام(٥٨)، وهكذا ؛ كان من أهم القرارات التى أصدرها المجلس المذكور تعهد الملك الصليبى بلدوين الثانى برد عشر دخل الملك من كل من بيت المقدس ، ونابلس ، وعكا (٥٩) ، كذلك تم إصدار قرارات ملزمة لها قوة القانون من أجل حماية الأخلاق ، ومواجهة جرائم الزنا ، واللواط ، والسرقة ، من ذلك أنه تقرر فى حالة أن ضاجع أحد الصليبيين زوجة صليبى آخر ، واعترف بذلك يتم نفيه خارج البلاد بأمر من القضاء ، ويتم قتل الزانية (٦٠) ، إلا إذا صفح عنها زوجها ، ويكون من اللازم على الزوج والزوجة مغادرة البلاد إلى الغرب الأوربى (٦١) ، كذلك هناك قرار آخر يواجه سلوكيات رجال الدين الصليبيين ومنع اتجاههم إلى الزنا ، ويتم عرض المجرم منهم على الكنيسة ، وإذا لم يتم إنصاف المجنى عليه يعرض الأمر على محكمة علمانية (٦٢) . كذلك تم فرض عقوبات على القوادين ، والقوادات ممن يسهل للرجال ، والنساء الزنا ، وتكون العقوبة هى ذاتها التى وجدناها فى حالة الزوجة الزانية (٦٣) ، أما فى حالة اللواط ؛ فقد اتجه ذلك المجلس المذكور إلى

معاقبة فاعله بالحرق (٦٤). وهكذا ؛ جاءت قرارات ذلك المجلس من أجل مواجهة التحلل الجنسى فى صفوف الصليبيين (٦٥)، واتسمت بالردع والحزم بصورة غير مسبوقة .

وواقع الأمر ؛ أن أهمية قرارات مجلس نابلس تتمثل فى أنها تكشف لنا عن جانب مهم ، ومحورى فى العقلية الصليبية حينذاك عند تعاملها مع الكوارث الحربية ، والسياسية ، والاقتصادية فى صورة هزيمة ساحة الدم ، وإغارات أسراب الجراد ، وتمثل الحل فى النقد الذاتى والعودة إلى الدين ، وفرض النظام ، والقانون بصرامة كاملة ، وهى ناحية لها شأنها فى توضيح أسلوب الغزاة فى التعامل مع تلك المشكلات الكبرى التى واجهتهم .

ومع ذلك ؛ يتبقى ملاحظة أن ذلك الاتجاه وجد منذ بواكير الحركة الصليبية ، فعندما كان الغزاة يتعرضون إلى هزيمة ما ، أو محنة حصار ما ، كانوا يرجعون ذلك إلى غضب الرب عليهم بسبب آثامهم ، ولذلك كانوا يطردون العاهرات من صفوف جيوشهم ، غير أنه عندما كانت هزائمهم تتبدل إلى انتصارات سرعان ما عادوا إلى سيرتهم الأولى ، وعادوا بالعاهرات مرة أخرى (٦٦)!!! .

وإلى جانب تلك السياسة القانونية والأخلاقية التى اتبعها الصليبيون؛ نجد أنهم لجأوا إلى سياسة ضريبية ناجحة تؤتى ثمارها لصالحهم ؛ فالملاحظ أن الملك الصليبى بلدوين الثانى اتجه إلى تقديم امتياز لسكان بيت المقدس ، فأمر بإعفائهم من الضرائب التى كانت تطلب من السكان الذين يقومون باستيراد السلع المختلفة ويتم ختم ذلك المرسوم بالختم الملكى لكى يصبح ساريًا فى مفعوله إلى الأبد (٦٧) ، ومن خلال ذلك المرسوم المهم ، لم يعد يتم إجبار أى من عناصر اللاتين على دفع أية ضرائب تحت أية ظروف وبذلك صار بإمكانهم البيع ، والشراء دون رسوم ضرائبية ، كذلك تم منح عناصر السريان ، والإغريق ، والأرمن ، وحتى عناصر من العرب أى المسلمين امتياز حرية نقل القمح، والشعير ، وأنواع الحبوب الأخرى إلى داخل بيت المقدس بلا ضرائب(٦٨) ، كذلك تم إلغاء الضريبة على الأوزان ، والمكاييل ؛ أى أن الصليبيين اتجهوا إلى " تحرير " التجارة من أية ضرائب أو رسوم تعوق تدفق السلع إلى المملكة الصليبية خاصة الحبوب .

وواقع الأمر ؛ أن القرارات السابقة تدل على أن السياسة الضرائبية الصليبية كانت عرضة للتغيير فى الأوقات التى كانت فيها مملكة الصليبيين تتعرض لخطر داهم كإغارات أسراب الجراد وغيرها ، وكان ذلك التغيير يراعى دائمًا تحقيق المصالح الصليبية العليا بصورة حازمة.

ومن زاوية أخرى ؛ تكشف لنا تلك القرارات عن حقيقة مهمة ، تتمثل فى أن إغارات تلك

الأسراب - حينذاك - لم تحل بمناطق المسلمين؛ بل بالمناطق الصليبية فقط - على ما هو مرجح - ففي حالة اشتمال تأثيرها على الفريقين لما كان هناك جدوى من تسهيل حركة انتقال الغلال ، والحبوب عن مناطق المسلمين إلى الصليبيين .

ومن ناحية أخري ؛ توضح لنا تلك القرارات جانبًا من العلاقات السلمية بين الفريقين المتحاربين المسلمين والصليبيين ، فها هى مملكة بيت المقدس الصليبية تمر بمحنة نقص الحبوب ويتهددها شبح المجاعة ، وها هى سياستها الضرائبية تخاطب ود جيرانها من المسلمين من أجل القدوم ومعهم ما ينقصها عن حبوب وغلال إنقاذاً لها ، خاصة أنهم مثلوا الجيران الأقرب من أهلهم في الغرب الأوربى . وذلك على الرغم من اشتداد نيران المعارك الحربية بين الجانبين بين الحين والآخر ، غير أن المصالح السياسية العليا علت على الصراع الحربى فى ذلك العصر ، وهكذا ؛ وجدت تلك الزوايا المتصلة بحركة التجارة بين الطرفين المتصارعين قبل أعوام عديدة من تلك الصورة التى رسمها لنا أمير الرحالة المسلمين فى عصر الحروب الصليبية وأعنى به ابن جبير فى رحلته عندما وصف لنا حركة القوافل التجارية بين دمشق ، وعكا[٦٩] ، على الرغم من اشتعال المعارك الحربية بين الطرفين .

نخلص إلى حقيقة مفادها ؛ أنه فى أوقات الأزمات ، والكوارث الاقتصادية التى كانت تحل بالصليبين خفت حدة العداء نسبيًا بين الطرفين وعمل الغزاة على طلب تدفق السلع التجارية لاسيما الغلال والحبوب من مناطق أعدائهم إليهم ، ودل ذلك على ضمان تدفق كميات كبيرة منها لمواجهة الوضع المتدهور الذى حل بالصليبيين ، ويلاحظ أن الأخيرين عملوا على تحقيق هدفين مزدوجين فى وقت واحد ، الأول تسهيل تدفق الحبوب إلى مناطقهم لمواجهة الأزمة الاقتصادية ، وكذلك تسهيل تدفق العناصر البشرية إلى مناطق الصليبيين لمواجهة نقص العنصر البشرى الذى ظل بمثابة المشكلة المؤرقة للغزاة على مدى تاريخهم فى المنطقة والتى من أجل مواجهتها عملوا على ترغيب عناصر المسيحيين الشرقيين مثل السريان ، والموارنة على الاستقرار داخل مناطق المملكة ، واتجهوا إلى طلب المهاجرين من الغرب الأوربى، وكذلك تشييد القلاع الحصينة على امتداد طول أملاكهم ، وعرضها .

وهكذا ؛ ينبغى إدراك أن البعدين تعاونا وسارا سويًا فى سبيل تحقيق الأهداف العليا الصليبية فى صورة ، الأمن الغذائى ، والجانب السكانى ، ولا ريب فى أن التسهيلات التى قدمتها المملكة حينذاك كان من شأنها تشجيع العديدين على القدوم والاستقرار إلى جانب تدفق الحبوب والغلال ، على نحو يعكس دهاء تخطيط الصليبيين حينذاك وتمكنهم من تحقيق

أهداف مزدوجة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم القلق .

وهكذا ؛ كانت رؤية مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد ملكها بلدوين الثانى من أجل مواجهة مشكلة النقص الحاد فى مخزون الحبوب لديها ، وهى فى تلك السياسة عمدت إلى إحداث نوع من الانتعاش الاقتصادى - لاسيما التجارى - فى مرافقها ؛ ولا نغفل هنا أن التجارة - على نحو خاص - شكلت عصب النشاط الاقتصادى الصليبى بحكم توافر مقومات الإنتاج الزراعى ، والحرفى، والموقع الجغرافى الفريد للكيان الصليبى فى أقصى غرب قارة آسيا وفى مواجهة قارتى أفريقيا ، وأوربا ؛ حيث سيطر على ختام العديد من طرق التجارة القادمة من شرق ووسط آسيا ، والمتجهة إلى الغرب الأوربى عبر البحر المتوسط أو الإمبراطورية البيزنطية .

ولا نغفل كذلك ؛ أن الإمارات الصليبية فى بلاد الشام منذ الأعوام الباكرة لقيام مملكة بيت المقدس لم تحقق كفايتها من المواد الغذائية ، وعلى نحو خاص من الحبوب عن طريق عمليات الزراعة الداخلية الكثيفة التى وقف عائقًا أمامها هجمات المسلمين الحربية المتكررة على الوجود الصليبى الوليد ، وفرار الفلاحين المسلمين من أراضيهم منذ الأعوام الأولى للغزو الصليبى (٧٠). وهكذا ؛ جاءت إغارات أسراب الجراد التى التهمت الأخضر واليابس لتزيد من صعوبة موقف الصليبيين على المستوى الغذائى ، ومن المتصور أنه فى أعقاب تلك الأحداث كان يتم استيراد الحبوب من العاصمة البيزنطية القسطنطينية ، وقبرص ، وصقلية ، وغيرها (٧١) ، وكان ذلك يعنى أنه مع الكوارث الاقتصادية التى عاني منها الصليبيون فى بلاد الشام ، زاد ذلك من اعتمادهم على جيرانهم من المسلمين ، والمسيحيين الشرقيين المحليين ، والغرب الأوربى لتعويض الخسائر التى حلت بهم .

زد على ذلك ؛ أن تلك السياسة الضرائبية الجديدة التى اتبعتها مملكة بيت المقدس اللاتينية كانت موجهة نحو ارتفاع أسعار الحبوب التى لا يرتاب المرء فى ارتفاعها فى أعقاب تلك الإغارات العنيفة التى هددت المملكة بالمجاعة .

وتبقى زاوية مهمة فى هذا الشأن ؛ وهى أن تلك السياسة التى سار عليها الصليبيون ، لجأت إليها أنظمة سياسية إسلامية أخرى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، من ذلك ما نعرفه من اتجاه الدولة النورية (١١٤٦ - ١١٧٤م / ٥٤١ - ٥٧٠هـ) - فيما بعد - نحو تخفيض الرسوم الجمركية المفروضة على حركة التجارة بين بلاد الشام ، والعراق فيما عرف بنقش باب الصغير ، وهو أحد أبواب مدينة دمشق العاصمة التاريخية لبلاد الشام (٧٢) ،

والذى يرجع إلى عـام ١١٥٦م / ٥٥١هـ ، وذلك من أجل دعم العـلاقـات التـجارية بين تلك الدولة والخلافة العباسية في العراق . مما يعكس بجلاء أن مثل تلك السياسة لم يكن قاصراً على مملكة بيت المقدس الصليبية ، بل شاركتها فى نفس الأمر قوى إسلامية أخرى معاصرة لها من أجل انعاش الحركة التجارية في ربوعها .

مهما يكن من أمر ؛ لم تكن إغارات أسراب الجراد لتتوقف خلال تلك المرحلة ، لأمد بعيد، فبعد ثلاث سنوات فقط ، عادت مرة أخرى بصورة أشد ضراوة ، وذلك عام ١١٣٥م / ٥٣٠ هـ ؛ حيث أصابت مدينة دمشق ، ووصف الجراد حينذاك بأنه " جراد عظيم " (٧٣)؛ مما يعكس ضخامة حجم أسرابه ، ونتج عن ذلك التهام الغلال على نحو كرر مرة أخرى الأزمة الاقتصادية ولكن هذه المرة في عاصمة بلاد الشام التاريخية بصورة أدت إلى ارتفاع الأسعار حتى أن أحد المؤرخين أشار إلى أن غرارة القمح بيعت بأربعمائة درهم (٧٤)، وقد تزايد خوف المعاصرين من أهلها من الآثار - الناجمة عن تلك الأحداث (٧٥)، خاصة أن الأمر تعلق بغذائهم اليومى الذى لاغنى لهم عنه ، ومن المتوقع فى تلك الظروف القاسية وجود عدد من التجار اتجهوا إلى اتباع سياسة احتكارية ، وهو أمر يحدث فى خلال تلك الأحداث من أجل استغلال تلك الظروف القاسية لرفع أسعار تلك الحبوب الرئيسية ، وهذا هو التعليل المنطقى لوصول غرارة القمح لذلك المعدل المرتفع ، وبالتالى إثارة مخاوف الدماشقة من عواقب ذلك .

ومع ذلك ؛ يلوح تساؤل على جانب كبير من الأهمية ويتعلق ببلاد الشام ، وهل كانت بمثابة الإقليم الجغرافى الوحيد المنكوب بتلك الإغارات المدمرة لاقتصادياته من الحبوب والغلال من بين الأقطار الإسلامية حينذاك ؟ ، وواقع الأمر ، أن نصوص المصادر التاريخية تكشف لنا عن أن هناك تشابهًا وثيقًا بين ما كان يحدث شرقى البحر المتوسط وغربه ، فالملاحظ أن بلاد الأندلس نكبت بأغارات للجراد مماثلة خلال مرحلة زمنية متقاربة ونعنى بها المرحلة الممتدة من ١١٣٢ إلى ١١٣٦م / ٥٢٧ - ٥٣١هـ (٧٦). ويذكر هنا أن دولة الإسلام فى الأندلس عرفت تلك الكوارث الطبيعية ويقرر البعض أن أمويى قرطبة كانوا يأمرون بعقر الجراد وهو دبيب (٧٧) ؛ على نحو يثبت أن مثل تلك الأحداث وحدث تاريخ الإقليمين المذكورين على الرغم من تباعدهما الجغرافى مع ملاحظة وجود حركة المقاومة الإسبانية ضد الوجود الإسلامى هناك ، بصورة تجعل المرء يتصور أن إغارات أسراب الجراد حينذاك تكاد تكون ظاهرة بحر متوسطية مع عدم إغفال أن الجراد الذى هاجم بلاد الشام من المرجح أنه كان من النوع الصحراوى أما الأندلس فقد أصابها الجراد المراكشى على ما هو مرجح .

على أية حال ؛ من بعد أحداث إغارات عام ١١٣٥م / ٥٣١هـ حدث توقف لها على مدي عامين ، وفي عام ١١٣٨م / ٥٣٣هـ تجددت مرة أخرى ، ووفق ما ذكره أحد المؤرخين لجد أن بلاد الشام ظهر فيها " جراد عظيم " (٧٨)، وهو تعبير يعكس ضخامة حشود أسراب الجراد التي هاجمت ذلك الإقليم حينذاك ، مع ملاحظة أنها ذات الأوصاف التي وصفت بها تلك الأسراب خلال إغارات عام ١١٣٥م / ٥٣١هـ .

ومن المهم ملاحظة ؛ أننا على الرغم من عدم معرفتنا بالتحديد الزمني لهجمات تلك الأسراب من العام المذكور ، إلا أن ذلك العام شهد أيضًا حدوث زلزال أصاب بلاد الشام في شهر أكتوبر ١١٣٨م / صفر ٥٣٣هـ (٧٩)، وبذلك تتشابه تلك الأحداث مع ما حدث عام ١١١٤م / ٥٠٩هـ ، حيث اجتمع على بلاد الشام الخطران معًا في نفس العام الزلازل ، والجراد ، وهما من الظواهر الجغرافية المدمرة والفتاكة . على نحو يكشف لنا أن تحديات الإنسان المعاصر حينذاك كانت من زوايا جغرافية بالإضافة إلى تحدى الحرب ذاتها .

مهما يكن من أمر ؛ من الملاحظ أن من بين هجمات أسراب الجراد الفتاكة في المرحلة موضوع الدراسة ، تلك الهجمة التي جرت عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ ، والتي خلالها حدثت بعض الظواهر المصاحبة لها ، مثل نقصان حاد في الأمطار ، وكذلك مياه الأنهار ، ومعها كان انتشار جراد وصف بأنه " عظيم " (٨٠)، بل وحدث ظروف مرضية ووبائية لاسيما بالنسبة للجهاز التنفسي وبالتحديد في الحنجرة على نحو أدى إلى الفتك بأعداد كبيرة من الناس (٨١)، ولعل هذه هي المرة الأولى التي تذكر فيها المصادر التاريخية المعاصرة تلك الظروف المناخية ، والبيئية المصاحبة لها بصورة تميز إغارات عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ عن إغارات الأعوام السابقة واللاحقة في المرحلة موضوع البحث .

ولا ريب في أن ذلك مثل صورة خاصة لإغارات ذلك العام حيث صوحبت بتلك الظواهر السالفة الذكر ، وكذلك بالمرض الذي اتخذ شكل الوباء ، وفتك بأعداد كبيرة من المعاصرين على نحو عكس كيف تحالف على بلاد الشام حينذاك هجمات أسراب الجراد ، والمرض الوبائي على نحو دفع ثمنه كل من المزروعات والبشر أنفسهم ، ولا ريب في أن الأمراض الوبائية في ذلك العصر كانت من عوامل الفتك بجانب من البنية السكانية ، وذلك يعني أن ظاهرة إغارات أسراب الجراد حينذاك لا تدرس بمعزل عن الظروف التاريخية المصاحبة لها على كافة الأصعدة والمستويات ومنها النواحي الصحية .

أما آخر إغارات أسراب الجراد في تلك المرحلة ما حدث عام ١١٥٢م / ٥٤٧هـ ؛ حيث نعرف أن نشاط تلك الأسراب اتسع ليشمل بلاد الجزيرة ، والموصل ، ودمشق (٨٢)، بصورة

نكشف لنا أن شمال العراق ، ووسط الشام تشابهت ظروف كل منهما فيما يتعلق بتلك الحشرة الفتاكة، وبصورة تدل على اتساع النطاق الجغرافى الذى تأثرت به تلك الظاهرة الطبيعية فى العام المذكور ، وإلى جانب الاتساع الجغرافى وجدنا اتساعًا زمنيًا فيقرر أحد المؤرخين المعاصرين أن تلك الإغارات استمرت سبع سنوات كاملة (٨٣) ، وهو أمر لم يرد من قبل ، ولعل أقرب مرحلة مشابهة له ما حدث من قبل خلال الأعوام الأربعة السالفة الذكر من ١١٢٠ إلى ١١٢٤م / ٥١٤ - ٥١٨هـ ، ولا ريب في أن تلك المرحلة تعد أطول مرحلة حدثت فيها وامتدت تلك الإغارات بالمقارنة بأية مرحلة أخرى خلال السنوات التى تعرض لها البحث بالدراسة .

وعند مقارنة الأحداث السابقة من أجل إدراك أى الإغارات كان أكثر ضرراً ، نجد أن إغارات المرحلة من ١١٢٠ - ١١٢٤م/٥١٥ -٥١٩هـ ، كانت هى الأكثر إلحاقًا بالضرر بالنسبة للصليبيين من خلال أوصاف المؤرخين أنفسهم والإجراءات التى اتخذتها قيادتهم السياسية حينذاك ، ومن الملاحظ أنه على مدى المرحلة موضوع الدراسة لم يحل بالصليبيين مثل تلك الإغارات التى حدثت خلال تلك الأعوام المذكورة على نحو يتفوق على الإغارات السابقة واللاحقة بالنسبة لهم .

أما بالنسبة للجانب الإسلامى :فأخطر ما حل بالمسلمين من إغارات يمكن تركيزه فى عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ ، المرحلة الواقعة بين عامى ١١٥٢م - ١١٥٩ / ٥٤٧ - ٥٥٤هـ ، من حيث تحالف فيروس مرضى إلى جانب الجراد فى العام الأول ، ثم اتساع النطاق الزمنى لإغارات تلك الحشرة الفتاكة فى الأعوام السبعة المذكورة خلال العقد الخامس من القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى . ويلاحظ أنه خلال المرحلة من ١١١٤ - ١١٥٩م / ٥٠٩ - ٥٥٤هـ ، لم يحل بالمسلمين مثل تلك الإغارات على المدى الزمنى المذكور .

وهكذا ؛ تأكد أن المرحلة الزمنية الممتدة من عام ١١١٤م / ٥٠٩هـ إلى ١١٥٩م / ٥٥٤هـ شهدت كثافة إغارات أسراب الجراد على بلاد الشام ، وإذا أدركنا أن الأعوام الخمس والأربعين المذكورة توازى نحو ربع تاريخ أحداث الصراع الصليبى - الإسلامى فى بلاد الشام لاتضح لنا أنها شملت نطاقًا زمنيًا له أهميته من بين الحقبة الزمنية التى حدثت خلالها أحداث الحروب الصليبية هناك .

ولا نغفل ؛ أن تلك الأعوام شهدت مرحلة التأسيس بالنسبة للكيان الصليبى الدخيل ، والتحديات الباكرة التى واجهت الصليبيين ، وهكذا اجتمع عليهم خطران ؛ خطر المسلمين

الذين أخذوا على عاتقهم مواجهة الغزو الأجنبي لبلادهم ، وكذلك خطر العوامل الجغرافية في صورة الجراد الذى هاجمهم على نحو ترك آثاره فى العديد من المجالات ، ثم أن القوى السياسية الإسلامية تعرضت هى الأخرى لتلك الإغارات في وقت كانت فيه فى أشد الحاجة للحفاظ على مواردها لكى تتمكن مواجهة الخطر الصليبى الجاثم على صدر المنطقة . وبالتالى تشابهت ظروف الصليبيين مع أعدائهم المسلمين مع ملاحظة وجود اختلافات بين الطرفين في قضية مواجهة الأضرار الناجمة عن تلك الإغارات من حيث أن العمق الاستراتيجى للمسلمين كان على أرضهم نفسها ومنها الظهير البرى فى بلاد الشام والأقطار المجاورة ومنها العراق . أما الصليبيين ؛ فإن عمقهم الاستراتيجى كان فى الغرب الأوربى بعيداً عن نطاقهم المحدود علي أرض بلاد الشام ، وفصل البحر المتوسط بين الشرق اللاتينى ، والغرب الأوربى المدعم للصليبيين .

على أية حال ؛ من الممكن رصد تأثير إغارات أسراب الجراد على العديد من المستويات .

ففى الجانب الزراعى ؛ أدت تلك الإغارات إلى التهام المحاصيل والغلات ، بل والأشجار على نحو يجعلنا نتصور نفس التصور الذى جعل أحد المؤرخين يصف الأمر بأنه من " النكبات الزراعية"[٨٤] . وترك التأثيرات السلبية على ذلك القطاع[٨٥] ، ولا ريب في أن التأثير شمل الفلاحين أنفسهم الذين عانوا من الظروف السيئة التى شهدها ذلك العصر بالنسبة للقطاع الفلاحى [٨٦] ؛ إذ من الملاحظ أن ذلك القطاع عانى بشدة من امتداد المعارك بين المسلمين والصليبيين إلى المناطق المنزرعة ، وبالتالي أدى إلى تدمير المحاصيل الزراعية ، وإصابة التربة ذاتها من جراء تلك العمليات الحربية ، ومن ثم لجأ العديد من الفلاحين فى مناطق الحدود إلى ترك مناطقهم ، واللجوء إلى المدن الأكثر أمنًا والتى لم تتضرر من جراء الصراع الحربى المحتدم بين الجانبين لاسيما خلال المرحلة موضوع الدراسة ، فإذا أضفنا إلى كل ذلك نظرة المجتمع المتدنية[٨٧] لهم حيث كانوا فى أسفل الهرم الطبقى وذلك سواء فى المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام أو المجتمع الصليبى - باستثناء المستعمرين الأوربيين الأحرار الذين عملوا فى المستعمرات الصليبية مثل الضفة الغربية مثل القبيبة ، وكفر مالك والبيرة وغيرها - لاتضح لنا كيف أن فلاحى ذلك العصر عانوا معاناة كبيرة ، وجاءت الكوارث الطبيعية مثل إغارات الجراد لتزيد من شقائهم وتعاستهم .

وحتى تتضح لنا الصورة ؛ من الملاحظ أن تلك الإغارات من أسراب الجراد كان من شأنها التهام الأخضر ، واليابس فى المناطق التى هاجمتها من أملاك الصليبيين ، وبالتالى هددت

مملكتهم بخطر التصحر Desertification ، ومعناه زحف العوامل الطبيعية كالرمال على سبيل المثال في المناطق الجافة، ونصف الجافة ، على نحو يؤدى إلى اكتساحها فتتحول في النهاية إلى أرض متدهورة طبيعيًا وإنتاجيًا (٨٨) .

وهنا ينبغي ملاحظة أن الصحراء كانت مفيدة أحيانًا للصليبيين ، وكانت كذلك تحمل الضرر لهم في حالة تزايد مساحتها ، فهي من الزاوية العسكرية شكلت درعًا طبيعيًا(٨٩) احتاج جهداً جهيداً ، ووقتًا كبيراً من أجل اختراقها ؛ إذ تطلب ذلك ممن يحاول اجتيازها الاحتفاظ بخطوط إمداد طويلة لتأمين احتياجات قواته لاسيما من الغذاء ، والماء خاصة خلال شهور الصيف شديدة الحرارة ؛ مع ملاحظة أنها كانت مكشوفة تمامًا لعدم وجود غطاء نباتي أو تضاريس جبلية بها - إلا في بعض المناطق بطبيعة الحال - وكان في مقدور الصليبيين رصد تحركات أعدائهم في تلك البيئة الجغرافية عن طريق القلاع ، والحصون التي شيدوها .

غير أنه من زاوية أخرى : كان الصليبيون يخشون زحف الصحراء ، وزيادة رقعتها وهو أمر كان يحدث من جراء نقص معدلات سقوط الأمطار في بعض الأعوام ، وكذلك نتيجة لإغارات المسلمين الحربية على المناطق الحدودية الفاصلة بينهم وبين الصليبيين بصورة صاحبتها عمليات السلب ، والنهب ، وتجريف التربة وتدمير البنية الاقتصادية الزراعية على نحو أدى إلى قحط الأرض الزراعية ، وزحف الصحراء على تلك المناطق، ثم هناك زحف إغارات الجراد التي التهمت المزروعات . ولا نغفل هنا ملاحظة أن الرقعة المنزرعة في مملكة بيت المقدس الصليبية كانت في الأصل محدودة وشكلت صحراء النقب نسبة ٤٦,٧٪ من مساحة فلسطين(٩٠) ، أي قرابة نصف مساحتها ، وجاء الجراد ليزيد من مساحة اللون الأصفر على حساب مساحة اللون الأخضر على نحو كان من الممكن أن يهدد الغزاة في مواردهم الغذائية خلال تلك المرحلة المبكرة حيث احتاجوا الغذاء لإطعام أعدادهم المدافعة عن كيانهم وسط محيط سكاني إسلامي معادي .

وما يقال بالنسبة للصليبيين يندرج أيضًا باتجاه المسلمين الذين أصيبت ثرواتهم الزراعية من جراء تلك الإغارات ، خاصة أن الأمر أصاب مناطق عرفت بازدهارها الزراعي التقليدي مثل دمشق - ذات الغوطة الشهيرة - وغيرها من الحواضر الشامية الأخرى الخاضعة للسيادة الإسلامية ، مع ملاحظة أن الناتج الزراعي قام بتغذية الأنشطة الاقتصادية الأخرى .

أما على المستوى الصناعي ؛ فمن المتوقع أن بعض الصناعات أصيبت في الصميم من جراء تلك الإغارات ، ومن أمثلة ذلك ؛ صناعة عصر الزيوت التي حققت بلاد الشام إسلامية

أو صليبية شهرة كبيرة فيها على نحو جعلها - فيما قبل أحداث إغارات الجراد - تصدر زيوتها العالية الجودة إلى المناطق المجاورة بل وأوربا ، فمع تآكل أشجار الزيتون التى التهمها الجراد توقفت تلك المعاصر عن العمل(٩١) واحتاج الأمر إلى أعوام ، وأعوام من أجل زراعة أشجار جديدة مثمرة حتى يمكن حصادها وعصر ثمارها أو نفس الأمر يقال بالنسبة لمطاحن الحبوب لاسيما القمح ، إذ من المتصور أنها أصيبت هى الأخرى من جراء تلك الكوارث ، وينطبق القول على صناعة الخبز ذاتها التى لم تعد بنفس وضعها السابق .

أما على المستوى التجارى ؛ فالأمر المؤكد أن إصابة الزراعة بتلك الخسائر ، وكذلك الصناعة انعكس بالضرورة على التجارة نظراً لدخول العديد من المحاصيل الزراعية والمصنوعات دائرة التبادل التجارى الداخلى فى نطاق بلاد الشام ، وكذلك خارجها فى نطاق التجارة الدولية. وأمام قلة إن لم يكن ندرة المعروض من الحبوب وازدياد الطلب عليها نظراً لدخولها فى غذاء السكان ، ارتفعت معدلات أسعارها بصورة غير مسبوقة ، على نحو شكل ما يشبه الأزمة الاقتصادية الخانقة ، وزاد أمرها من خلال نقص معدل سقوط الأمطار فى بعض الأعوام التى شهدت كوارث إغارات أسراب الجراد ، وأمام ذلك الوضع كان اللجوء إلى إصدار أوامر سياسية عليها من أجل تسهيل حركة تجارة الحبوب لاسيما من المناطق المجاورة لأملاك الصليبيين - عندما نكبوا بتلك الأحداث - إلى مناطق سيادتهم ، وزاد بالتالى اعتماد الكيان الصليبى حينذاك على القوى الخارجية سواء المحلية المجاورة أو البيزنطية أو الغرب أوربية من أجل مواجهة النقص الحاد فى الحبوب ، ومن المفترض أن تلك المناطق التى قامت بتصدير فائض إنتاجها إلى المناطق المنكوبة بأغارات الجراد ؛ نالت عوائد مالية وفيرة من خلال تزايد الاعتماد عليها فى ذلك النطاق المنكوب .

وهنا ينبغى ملاحظة حقيقة أكدتها وقائع التاريخ خلال ذلك العصر ؛ وهى أن الوجود الصليبى ذاته ولد ليعتمد على الغرب الأوربى الذى كان بمثابة الرحم الذى منه ولد المشروع الصليبى ، وكلما زاد ضغط حركة الجهاد الإسلامى ضد الغزاة ؛ زاد ارتباط الصليبيين بالغرب طلبًا للعون المادى ، والبشرى ، والمعنوى ، وجاءت تلك الإغارات من جانب الجراد لتدعم ارتباط الوجود الصليبى بالآخرين - سواء كانوا من الأعداء المسلمين الذين اضطروا لطلب المحاصيل منهم - أو من الحلفاء الأصليين فى الغرب الأوربى .

وما يقال بالنسبة للصليبيين من ناحية التجارة يمكن أن يذكر ما يماثله بالنسبة للمسلمين ؛ إذ تأثرت أوضاعهم فى ذلك المجال من جراء تلك الإغارات ، وأصيبت أسواقهم بذات الارتفاع

فى أسعار الحبوب ، ومن المفترض أن بلاد الشام الإسلامية زاد اعتمادها على المناطق المجاورة لها والتى لم تنكب بذات الضرر من جراء تلك الإغارات مثل العراق حيث سهول وديان دجلة والفرات التى عرفت بخصوبتها التقليدية .

أما على صعيد الآثار السياسية ؛ فمن الملاحظ أن تلك الكوارث الطبيعية التى أصابت الأخضر واليابس كانت بمثابة اختبار عسير لكل من القوى السياسية الصليبية فى عهود الملوك الأربعة بلدوين الأول ، والثانى ، وفولك أوف أنجو ، وبلدوين الثالث ، وبالنسبة للجانب الإسلامى الدولة البورية ، ومن بعدها الدولة النورية ، وأمكن الخروج من تلك المحن من خلال إدارة تلك الأزمات التى عصفت أحيانًا باقتصاديات كل من الطرفين . وقد تنبهت القيادات السياسية القائمة - ولنأخذ الجانب الصليبى كمثال - إلى ضرورة تعديل السياسة الضرائبية الصليبية لضمان سهولة تدفق الحبوب على مناطق الغزاة ؛ على نحو عكس مرونة وواقعية تلك القيادات ، وهنا تبرز زاوية مهمة ؛ وهى أن القيادة الصليبية - لاسيما فى عهد الملك بلدوين الثالث - استماتت فى سبيل إسقاط مدينة عسقلان الساحلية ليس فقط من أجل توجيه ضربة عسكرية وسياسية قوية لمصر الفاطمية الضعيفة ، وإكمال السيادة الصليبية على الساحل الشامى ودعم حدود المملكة الصليبية الجنوبية ، وكذلك حماية مدينة بيت المقدس - العاصمة الصليبية - من إغارات حاميتها التى طالما أذاقت الصليبيين الهوان على مدى مازاد على النصف قرن من الزمان(٩٢) ، بل كان من بين أهداف ذلك ؛ الإفادة من مخزون الحبوب لدى تلك المدينة التى دعمتها مصر الفاطمية بالمؤن والأمدادات كل ستة أشهر(٩٣) بل هناك من يقرر أن تلك المدينة احتوت على كميات ضخمة من الحبوب كانت تكفيها نحو خمسين عامًا تالية(٩٤) ، ومن المرجح أن الظروف القاسية التى مرت بمملكة بيت المقدس الصليبية كانت من العوامل المهمة التى ودفعتها نحو مواصلة البحث عن فائض الحبوب الذى وجد فى عسقلان ، ومن المعروف أن إغارات أسراب الجراد وقعت عام ١١٥٢م / ٥٤٧هـ ، وفى العام التالى مباشرة ؛ تمكن بلدوين الثالث من الاستيلاء على تلك المدينة وضمها نهائيًا للسيادة السياسية الصليبية ، ويقرر المؤرخ الصليبى وليم الصورى صراحة أن ما وجده الصليبيون فيها قد أعانهم على مواجهة نقص الحبوب الذى أصيبوا به (٩٥).

ويكشف لنا ذلك الوضع عن حقيقة جلية تتمثل فى أن مملكة بيت المقدس الصليبيين كان عليها إخضاع تلك المدينة الغنية بالحبوب بأى ثمن ، وفى أسرع وقت ممكن لمواجهة الظروف المتردية التى صارت تعانى منها فى أعقاب إغارات أسراب الجراد ، ولاريب فى أن الأخيرة - بالإضافة إلى الدوافع العسكرية ، والسياسة الأخرى التى لا سبيل لإغفالها بطبيعة الحال -

كانت من بين العوامل التى وجهت الصليبيين بإلحاح نحو حسم مشكلة حدود المملكة الصليبية الجنوبية مع مصر الفاطمية فى تلك المنطقة على نحو خاص .

وهنا تبرز لنا زاوية لا تخلو من أهمية ؛ تثبت لنا أن عسقلان كانت بمنأى عن أسراب الجراد وآثارها التدميرية ، ففى حالة إصابتها بما أصاب المناطق الأخرى التى كانت من قبل خاضعة للسيادة الصليبية ، لما فكر الغزاة فى ضمها بمثل ذلك الإلحاح ، ولما قرر عمدة مؤرخيهم - وأعنى وليم الصورى -أن الصليبيين ؛ وجدوا فيها كميات ضخمة من الحبوب .

ولا ريب فى أن ذلك يؤكد لنا أن إغارات أسراب الجراد عام ١١٥٢م/٥٤٧ هـ ؛ لم تكن ذات تأثير شامل فى مناطق فلسطين المختلفة، بل إن هناك مناطق لم تصب بها مثلما وجدنا فى عسقلان على ما هو مرجح.

وهناك ملاحظة لاتخلو من أهمية وطرافة فى آن واحد ، وهى ترتبط بقطاع سكانى ذى طابع دينى وجد بالقرب من نهر الأردن شكله الصليبيون ، وكذلك المسيحيون الشرقيون وكانوا من الرهبان الذين عاشوا حياة قائمة على الزهد ، والتقشف ، وهم فى ذلك ساروا ذات المسيرة التى سارها السيد المسيح عليه السلام عندما أكل الجراد عند امتناعه عن أكل الخبز(٩٦). كذلك وجد منهم من اتجه إلى اتباع الأسلوب الذى سار عليه القديس يوحنا المعمدان John The Paptist(٩٧) عندما كان يأكل الجراد ، وكذلك عسل النحل البرى الذى وجد فى تلك المنطقة(٩٨). بالإضافة إلى بعض الأعشاب البرية (٩٩).

ومن الملاحظ أن ذلك القطاع من الرهبان وقد وصفوا بأن أعدادهم هناك كانت كبيرة (١٠٠)، لم يكن التهام الجراد للحبوب حينذاك يعنى له جانبًا كبيراً من الخسارة ، نظراً لكون طعامهم الأصلى قائم على الجراد نفسه ، والعسل ، وتلك الأعشاب المشار إليها .

وإذا نحينا جانبًا تلك التأثيرات السالفة الذكر ؛ نجد أن إغارات أسراب الجراد تركت آثارها - وإن كانت بصورة محدودة بالطبع - على الكتابة التاريخية التى وصلت إلينا من عصر الحروب الصليبية ، ويلاحظ هنا : أن ذلك العصر شهد ثراءً كبيراً فى مجالات الكتابة التاريخية فى صورة كتب الحوليات ، والتراجم ، والسير ، والطبقات ، والوفيات بالنسبة للمسلمين ، وكذلك الحوليات ، وسير الملوك ، والقديسين ، وغيرها لدى الصليبيين(١٠١) .

غير أن الاهتمام بالأحداث ذات البعد الاقتصادى ندر الاهتمام بها لدى مؤرخى تلك المرحلة ، ونجد أن إغارات أسراب الجراد اهتم بها قلة من المؤرخين الصليبيين ، والمسلمين - كما أسلفت الإشارة من قبل - وورودها لديهم تعكس أنها كانت من الأهمية بحيث فرضت نفسها

عليهم فخصصوا لها قسمًا من مؤلفاتهم - مهما كان حجمه محدوداً - وفى تصورى أن غياب البعد الاقتصادى لدى العديد من مؤرخى تلك المرحلة كان من عوامل تجنب الإشارة إلى مثل تلك الكوارث الطبيعية الفتاكة .

وبصفة عامة ؛ ينبغى ألا نتوقع من كافة المؤرخين المعاصرين أن يكون اهتمامهم بتلك الظاهرة الجغرافية واحداً ، فهناك من أوردها وهناك من تغاضى عنها وشغل بزوايا أخرى رآها أكثر أهمية من غيرها .

وعلى مستوى الكوارث الطبيعية ؛ كان اهتمام أولئك المؤرخين متجهًا نحو الزلازل ، ثم احتباس الأمطار ، وبصورة أقل إغارات أسراب الجراد وذلك أمر يمكن ملاحظته دون عناء من خلال مطالعة المصادر التاريخية المعاصرة سواءً لدى الصليبيين أو المسلمين .

ولا نغفل ضمن دراسة آثار أسراب الجراد ، أنها أحدثت آثارها على المستوى النفسى ، فقد زاد ارتباط المعاصرين بالناحية الدينية سواءً المسلمين أو أعدائهم ، فإذا كان المؤرخون الصليبيون المعاصرون وجهوا الأنظار نحو التفسير الدينى لتلك النكبات ، فمن المتصور أن ذلك الاعتقاد من جانبهم لم يكن منفصلاً عن اعتقاد معاصريهم الذين اتجهوا إلى الناحية الدينية كرد فعل لما حل بهم من ابتلاء رأوه دومًا أنه من جانب الله سبحانه وتعالى ، وبالقياس لنوازل ، وكوارث ، ومحن أخرى، ورد فعل المعاصرين الدينى حيالها (١٠٢)؛ ندرك أن تلك الإغارات ، وآثارها التدميرية عمقت اتجاه المعاصرين للزاوية الدينية من صلاة ، وابتهال ، وتسبيح إلى نحو ذلك ، على نحو يثبت لنا أن المحن والشدائد تجعل المرء يتجه صوب قوة كبرى بحثًا عن الخلاص ؛ فى صورة الخالق جل شأنه .

ويلاحظ أن من التأثيرات التى أحدثتها تلك الإغارات أنها أدت إلى اتجاه عناصر من الصليبيين نحو التشاؤم وتوقع حدوث أحداث سيئة تحل بالمملكة الصليبية ، ومثال ذلك أن الإغارات التى وقعت عام ١١١٧م / ٥١٢هـ عندما حدثت وصاحبتها بعض الظواهر الفلكية الأخرى مثل خسوف القمر، وكسوف الشمس فى شهر ديسمبر من العام المذكور ، توجس الصليبيون شراً واعتبروها علامات منذرة بكل شر ، وعندما توفى بلدوين الأول عام ١١١٨م / ٥١٣هـ فى نفس العام الذى توفى فيه الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨١ - ١١١٨م / ٤٧٧ - ٥١٣هـ)، والبابا باسكال الثانى Paschal II (١٠٩٩- ١١١٨م / ٤٩٢ - ٥١٣هـ) ؛ فسر الصليبيون الأحداث التاريخية المذكورة بأنها سبقت بتلك المؤشرات التى جعلتهم يتشاءمون حيالها (١٠٣).

ويلاحظ ؛ أن هناك مثال سابق دال على نفس ذلك الاتجاه ؛ فعندما بدأت الحملة الشعبية في القدوم إلى مناطق الإمبراطورية البيزنطية ظهرت فيها أسراب الجراد التي عدها البيزنطيون نذير شؤم عليهم(١٠٤).

كذلك أثرت إغارات الجراد في المعاصرين من زاوية بحثهم عن حلول ناجحة من أجل مواجهة ما يصاحبها من تدمير ، ومن ذلك أنهم لجأوا إلى القضاء على بيض الجراد في كل مكان وجدوه ، وتم اعتبار ذلك بمثابة عمل وقائي ، أما عندما كان الجراد يشن إغاراته فقد سعوا إلى وقف تقدمه أو قتله عن طريق حفر الحفر ، أو رش السموم - ومنها النباتية، والحيوانية، والمعدنية - أو استعمال السواتر ذات العجل ، وكذلك معدات تقوم بقذف اللهب(١٠٥) للفتك بأكبر عدد من أسراب الجراد. ولأن الحاجة - دومًا - أم الاختراع ، لذلك تسابق المعاصرون من أجل التوصل إلى وسائل أكثر صلاحية لمواجهة ذلك الخطر الداهم الذي يتهددهم .

زد على ذلك ؛ أثرت تلك الحشرة الفتاكة في معتقدات المعاصرين الشعبية ، إذ يذكر البعض إشارة مفادها الاعتقاد بأن أهل القرية التي يتجه إليها الجراد بالإغارة عليهم أن يتواروا حتى لا يظهر أحد منهم ، ذلك إنه إذا لم ير الجراد الناس تجاوز القرية ، ولم يقع بها شيء من الأضرار التي يلحقها بالمناطق التي يمر بها (١٠٦). وهو أم لا سند علمي يدعمه من قريب أو بعيد ، غير أن فائدته أنه يعكس لنا كيف كان الخيال الشعبي يتوجس كل خيفة من تلك الإغارات ، وتصور الموروث الشعبي أن ذلك الأسلوب في الاختفاء عن نظر الجراد يمكن أن يبعد الخطر الناتج عنه . وفي هذه الحالة ، من المفترض لجوء المعاصرين في تلك القرى إلى لزوم بيوتهم ، وعدم الظهور في نطاق تلك الأسراب .

وهكذا ؛ تركت تلك الحشرة الصغيرة التي عظم تأثيرها على العديد من المستويات ، تركت انطباعًا بأهمية دراستها في بلاد الشام ، وأن إهمال العديد من المؤرخين المعاصرين لها لم يكن معبراً بصدق عن واقع تاريخي معاش ، وذلك خلال المرحلة من ١١١٤ - ١١٥٩م / ٥٠٩ - ٥٥٤هـ ، وإن استمرت(١٠٧) فيما بعد محدثة آثارها المخربة كعهد تلك المنطقة بها .

ذلك عرض عن إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خلال المرحلة من ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩-٥٥٤هـ .

الهوامش

* أود أن أعبر عن شكرى وتقديرى للأستاذ الدكتور / بلال أحمد سليمان أستاذ علم الحشرات بكلية التربية جامعة قناة السويس نظراً للمناقشات العلمية التى أفدت منها فى التعامل مع البحث ، وكذلك القائمين على مكتبات كلية العلوم جامعة عين شمس ، وكلية الزراعة جامعة القاهرة .

١ - عن الجراد بصفة عامة انظر : الجاحظ ، الحيوان ، جـ٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٤٣م ، ص ٥٤٩ - ص ٥٦٧ ؛ الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، جـ١ ، ط القاهرة ١٣٠٦هـ ، ص ١٦٩ - ص ١٧٣ ، القزوينى : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ط بيروت ب - ت ، ص ٣٨٨ ، محمد على عسيرى ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى اليمن العصر الأيوبى ٥٦٩ - ٦٢٦هـ ، ط ، جدة ١٩٨٥م ، ص ٢٧٤ ، رئيسة عبد الفتاح العزة ، نابلس فى العصر المملوكى ، ط نابلس - فلسطين ١٩٩٩م ، ص ١١٢ .

Ency. Amer, "Grasshopper", Vol. XIII, U.S.A. 1985, p. 200 - 201 .

Ency. Brit., "Grasshopper", Vol. IV, U.S.A. 1976, p. 685 .

Acad. Amer. Ency., "Grasshopper", Vol. IX, Princeton 1981, p. 298 - 299 .

Lex. Univ. Ency., "Grasshopper", Vol, IX, p. 298 - 299 .

٢ - كلود كاهن ، " الجراد " دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١٢ ، ت . خورشيد وآخرين ، ط. القاهرة ب - ت ، ص ١٥٨ .

٣ - فوشيه الشارترى عنه انظر : المقدمة التى أعدتها ريتا ريان فى الترجمة الإنجليزية لتاريخه :

- Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Frauces Rita Riau, Tennesse U.S.A. 1969 .pp. 3 - 56.

السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ، ط القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٣٧- ص ٤٤ ؛ نور الدين خاطوم ، المدخل إلى التاريخ ، ط . دمشق ١٩٦٥م ، ص ٤١١ ؛ على أحمد السيد ، الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧م / ٤٩٢ - ٥٨٣هـ) ، ط . القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٢٨ ، حاشية (٢) .

٤ - وليم الصورى عنه انظر :

Hammad (M.) , Latin and Muslim Historiography of the Crusades: A comparative Study of William of Tyre and Izz addin Ibn Al Athin , University of Pennsy lvaniy 1987 .

وهى دراسة ممتازة ويوجد فصل منها مترجم إلى العربية فى منى جمعه حماد ، وليام الصورى والصراع الفرنجى الإسلامى ١٠٩٩-١١٨٤م ضمن كتاب أبحاث ودراسات فى التاريخ العربى مهداه إلى ذكرى مصطفى البارى ١٩٣٦-١٩٩٨ عـزر صالح الممارسة ط. الجامعة الأردنية عمان، ٢٠٠١م، ص٢٥٣-٢٧٥ .

- Krey, " William of Tyre The Making of An Historian in the Middle Ages", Speculum, Vol. XVI, 1941, pp. 149 - 166 .

- Crawford, " William of Tyre and The Maronites ", Speculum, Vol, XXX, 1999, pp. 222 - 228 .

- Davis, " William of Tyre" , in Relations between East and West in The Middle Ages, ed. Derck Baker, Edinburgh, 1971, pp. 64 - 75 .

- Vissey, " William of Tyre and The art of Historiography:, M.S., Vol. XXXV, 1973, pp. 433 - 455 .

- Edbury and Rowe, " William of Tyre and The Patriarcal election of 1180", G.H.R., XCII, 1979, pp. 1 - 25 .

عمر كمال توفيق ، "المؤرخ وليم الصورى" ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧م ، ص ١٨١ - ص ٢٠٠ ، تقديم أ.د. حسن حبشي للترجمة العربية لتاريخ وليم الصورى بعنوان : الحروب الصليبية ، جـ١ ، ت ، حسن حبشي ، ط. القاهرة ١٩٩١م ، ص ١٠ - ص ٤٠ ، محمد مؤنس عوض : وليم الصورى مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية فى المرحلة من (١١٣٧ - ١١٥٠م / ٥٣٢ - ٥٤٥هـ) ، سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، القاهرة ١٩٩٥م ، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ، ط . عمان ١٩٩٩م ، ص ٦٣ - ص ١٠٤ .

٥ - جاك دى ڤترى عنه انظر : عبد اللطيف عبد الهادى السيد ، الحركة الصليبية خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى من خلال كتابات جاك دى ڤترى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٩٧م ، ص ٣٦ - ص ٤١ ؛ تقديم الترجمة العربية لكتاب جاك دى ڤترى ، تاريخ بيت المقدس ، ت . سعيد البيشاوى ، ط . عمان ١٩٩٨م ، ص ١٣ - ص ١٩ .

٦ - العظيمى الحلبى عنه انظر : ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، القسم الخاص بالأمراء السلاجقة ، تحقيق على سويم ، ط انقرة ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٨ - ص ١٢٨ .

- Alpetkin, Dinask Atabigligi (Tog-Toginliler) , Istanbul 1985 p. XVIII

- Cahen, La Chronique A Breyêe d'Al-Azimi", J.A., Juillet Septembre 1938, p. 354 .

- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، جـ ٦ ، ت ، رمضان عبد التواب ، ط . القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٣٩ ؛ السيد الباز العرينى ، المرجع السابق ، ص ١٩٤، فرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ت . صالح العلى ، ط . بيروت ١٩٨٣م ، ص ٢١٥ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ط بيروت ١٩٨٠م . ص ٢٣٩ .

٧ - العماد الأصفهانى عنه انظر: محمد مؤنس عوض ، البستان الجامع مصدراً لتاريخ الإسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، ط . القاهرة ١٩٨٠م ، نعمان جبران

و محمد طعانى ، إضافات حول كتاب البستان الجامع لجميع تورايخ أهل الزمان ونسبته للعماد الأصفهانى (٥١٩ - ٥٩٧هـ / ١١٢٣ - ١٢٠٠م) ، المؤرخ المصرى ، العدد (١٧) ، يوليو ١٩٩٦م ، ص ٢٣٣ - ص ٢٦٣ .

٨ - ابن قاضى شهبة عنه انظر : يوسف درويش غوانمه ، التاريخ السياسى لشرق الأردن فى العصر المملوكى، ط . عمان ١٩٨٢م ، ص ١٧٠ .

٩ - القزوينى عنه انظر : ابن القوطى ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد ، ط . بغداد ١٣٥١هـ ، ص ١٢٨ - ص ١٣٠.

١٠ - الدميرى عنه انظر :السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ١٠ ، ط القاهرة ١٣٥٥هـ ، ص ٥٩ - ص ٦٢ .

١١ - الدميرى ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

١٢ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

١٣ - شاكر حماد وأحمد لطفى ، الحشرات الاقتصادية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص٨٣ .

١٤ - عبد العزيز المنشاوى وعصمت حجازى ، الآفات الحشرية والحيوانية وعلاقاتها بالنبات والإنسان والحيوان وطرق مكافحتها ، ط . الإسكندرية ١٩٩٤م ، ص ٣٤٢ .

١٥ - نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

- وعن الجراد الصحراوى انظر : شاكر حماد ، علم الحشرات التشريح العملى والتصنيف ، ط . القاهرة ب.ت ، ص ٣٤ - ص ٤٨ .

١٦ - عبد العزيز المنشاوى وعصمت حجازى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

١٧ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ٣٤٨ .ويلاحظ أن الجراد يوصف بأن قدرته كبيرة للغاية على الطيران انظر :

- كارم السيد غنيم ، جوانب من حياة الجراد ، ط . القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٩٦ .

١٨ - شاكر حماد وأحمد لطفى ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .

١٩ - كويف ، الجراد ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١١ ، ص ١٥٧ ؛ وانظر أيضًا : الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، جـ ٧ ، ط . القاهرة ١٩٤٥م ، ص ٦٧ حيث يشير إلى كثرة بيض الجراد .

٢٠ - عبد العزيز المنشاوى وعصمت حجازى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

٢١ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ٣٤١ .

وعن أسراب الجراد انظر : موريس بيرتون ، حياة الحشرات ، ت . على المرسى ، ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص٩ .

٢٢ - يس عثمان ، الوقاية من آفة الجراد ، ضمن كتاب الكوارث الطبيعية آفة الجراد ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، ط . الرباط ١٤٠٩هـ ، ص ٦٧ .

٢٣ - حسن عبد الرحمن خطاب ، الآفات الزراعية ووقاية النبات فى مصر القديمة ، وزارة الزراعة نشرة فنية رقم (٩) ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٤٥ .

٢٤ - سورة القمر ، رقم ٥٤ ، آية ٧ ؛ ومن أمثلة الإشارات في الأحاديث النبوية انظر : ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، جـ٢ ، ط . بيروت ١٩٧٥م ، ص ١٠٧٣ - ص ١٠٧٤.

٢٥ - ابن النديم ، الفهرست ، ط . بيروت ب . ت ، ص ٨٣ - ص ٨٧ ، ص ١٢٣ .

٢٦ - ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، جـ٢ ، تحقيق سامي الدهان ، ط . بيروت ب.ت ص ١٨٩ ؛ محمد الحبيب الخوجة ، الجراد بين الدراسات الحديثة وبين التصورات الموروثة ، ضمن كتاب الكوارث الطبيعية آفة الجراد ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، ط . الرباط ١٤٠٩هـ ، ص ٦٥ .

٢٧ - ناصر الدين الأسد ، مقدمة لدراسة الجراد فى تراثنا ضمن كتاب الكوارث الطبيعية آفة الجراد ، ص ٢٧ .

٢٨ - الحيوان ، جـ٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط . القاهرة ١٩٤٣م ، ص ٥٦٥.

ويلاحظ أن التحاليل العلمية على الجراد أثبتت أن فى تكوينه توجد المركبات الفسفورية ذات القيمة الحيوية المعروفة ، كذلك يحتوى على نسب لها قيمتها من المواد البروتينية والدهنية وذلك بالإضافة إلى الفلائين والريبوفلائين (فيتامين ب) ، عن ذلك انظر : محمد الحبيب الخوجة ، المرجع السابق ، ص ٦٦.

٢٩ - الدميرى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٧٣ ؛ أيضاً : القزوينى : عجائب المخلوقات ، ص ٣٨٨ .

٣٠ - كمال السامرائى ، مختصر تاريخ الطب العربى ، جـ٢ ، ط . بغداد ١٩٨٥م ، ص ٢٧٦ .

٣١ - نفسه : نفس المرجع ، ص ٢٧٧ ؛ والراوند أحد النباتات المفيدة فى علاج بعض الأمراض وهو نوعان ، الراوند الصيني واسمه العلمي Rheum officinale Polygonacene ، وهناك نوع آخر اسمه العلمى هو Rheum Rhapondicum ، ويقرر أحد علماء النباتات الطبية المسلمين فى العصور الوسطى أنه كان يزرع بكثرة فى الصين وجزائر سرنديب ، وأجود أنواعه الصينى ؛ وهو الأحمر الضارب إلى الصفرة ويفيد الراوند فى علاج أمراض الكبد ، وأنواع الاستسقاء ، والطحال ، والكلى ، كذلك يفيد فى علاج الأمراض الصدرية مثل السعال المزمن ، والربو . عن الراوند انظر : ابن سينا ، القانون فى الطب ، الكتاب الثانى ، الأدوية المفردة ، تحقيق عليه حسنين حنفى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٧١م ، ص ٦٢ ، الغسانى : حديقة الأزهار فى ماهية العشب والعقار ، تحقيق محمد العربى الخطابى ، ط. بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢٥٤ - ص ٢٥٦ ، ناصر حسين صقر ، النباتات الطبية عند العرب ، ط . بغداد ١٩٨٥م ، ص ١١٣ ؛ محمد مؤنس عوض ، من إسهامات الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٧٦ ، حاشية (١) .

٣٢ - عن إغارات أسراب الجراد فى ذلك العام انظر : Fulcher of Chartres A History of the Expedition to Jerusalem p. 210 .

٣٣ - عن ذلك انظر : العظيمى ، تاريخه ، تحقيق على سويم ، الجمعية التاريخية التركية ، ط . أنقرة ١٩٧٦م ، ص ٣٤ .

٣٤ - William of Tyre, A History of The Deeds done beyond the Sea, Trans. by Babcok and krey, Vol. I, New York 1942, p. 37 .

٣٥ - عن ذلك انظر : ابن قاضى شهبة : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط . بيروت ١٩٧١م ، ص ١٠٥ .

٣٦ - عن إغارات عام ١١٤٧م / ٥٤٢ هـ انظر ، نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٢٤؛ عن إغارات عام ١١٥٢ - ١١٥٩م / ٥٤٧ - ٥٥٤هـ انظر : العماد الأصفهانى: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ، م (٧) ، (٨) B.E.O., T. VII - VIII , 1937 - 1938 ، ص ١٣٠ ؛ ابن أيبك الدوادارى : الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط . القاهرة ١٩٦١م ، ص ٥٦٠ .

٣٧ - Fulcher of Chartres, p. 210 .

٣٨ - Ibid, p. 210 .

٣٩ - Ibid, p. 210 .

٤٠ - عن زلزال عام ١١١٤م / ٥٠٨ هـ انظر : ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ط . القاهرة ب.ت جـ١٠ ، ص ٥٠٨ ، ابن الجوزى ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ط . حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٩هـ ، ص ١٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ١ / جـ٨ ، ط . حيدر أباد الدكن ١٩٥٠م ، ص ١٦٨، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ط. القاهرة ب.ت ، ص ١٧٨، ابن الحنبلى الحلبى ، الزبد والطرب فى تاريخ حلب ، تحقيق محمد التولجى ، ط . الكويت ١٩٨٨م ، ص ٣٢ ، الياهو اشتور ، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطي ، ت . عبد الهادى أبو عبلة، ط . دمشق ١٩٨٥ ، ص ٢٨١ ؛ محمد مؤنس عوض ، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٩٥م ، ص ٦٣ - ٦٤ .

٤١ - Fulcher of Chartres, p. 210 .

والقديس لورنس St. Lawrence : يعتقد المسيحيون أنه استشهد فى روما بعد أربعة أيام من وفاة القديس سكستيوس الثانى Sixtus II فى عام ٢٥٨ م ، وتم دفنه فى مقبرة على الطريق الدائرى إلى تيفولى Tivoli حيث تقع حاليًا كنيسة القديس لورنس Church of St. Lawrence ، ويقال أنه تم إعدامه بنفس تلك الطريقة التى تم إعدام القديس سكستيوس الثانى بها ، ويلاحظ أنه خلال القرن الرابع الميلادى اعتبر

أكثر الشهداء المسيحيين شهرة فى تاريخ روما ، وتم وضع اسمه بجوار اسم القديس سكستيوس الثانى فى القداس الرومانى ، عن ذلك القديس انظر : Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, London 1977, p. 214 .

٤٢ – عن سقوط عكا فى قبضة الصليبيين انظر : William of Tyre, Vol. I, p. 455 ؛ محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، ط . الإسكندرية ١٩٩٥م ، ص ٣٧ – ص ٣٨ .

٤٣ – عن سقوط بيروت انظر : ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٩ ؛ William of Tyre, Vol. I, p. 484

٤٤ – عن سقوط صيدا انظر : ابن القلانسى ، المصدر السابق ، تحقيق سهيل زكار ، ص ٢٧٤ .

٤٥ – Fulcher of Chartres, p. 218 .

٤٦ – Ibid, p. 218 .

٤٧ – Ibid, p. 218 .

٤٨ – Ibid, p. 218 .

٤٩ – Ibid, p. 218 .

وأيضًا : عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط. الإسكندرية ١٩٥٨م ، ص ٩٤ .

٥٠ – العظيمى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

٥١ – نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٥٢ – William of Tyre, Vol. I, p. 535.

وعن إغارات عام ١١٢٠م / ٥١٥هـ ، انظر : Richard " Agricultural Conditions in The Crusader States", in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, Wisconson 1985, p. 263 ؛

وأيضًا : عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس ، ص ٩٦ .

٥٣ – William of Tyre, Vol. I, p. 535 .

٥٤ – عن المجاعة التى واجهها الصليبيون خلال حصار أنطاكية انظر : Gesta Francorum, in Peters The First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and Other Source Materials, Pennsylvania 1971, pp. 33 - 38; Raymond d'Aguilers, in peter, The First Crusade, pp. 159-163; Fulcher of Chartres, in peters, The Frist Crusade, pp. 95 - 98 ؛ جمال الدين الزنكى، مؤيد الدين ياغى سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٧٧ – ٤٩١هـ / ١٠٨٥ – ١١٩٨م ،

حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت الحولية (١٨) ، الرسالة (١٢٦) ، الكويت ١٩٩٨م ، ص ١٢٧ - ص ١٢٨ ، قاسم عبده قاسم : الحروب الصليبية نصوص ووثائق ، ط . القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٢٠٣ - ص ٢١١ .

٥٥ - عن معركة البلاط أو ساحة الدم انظر : Fulcher of Chartres , p. 226 - 227 ; William of Tyre, Vol. I, p. 530 - 531 ; Walter The Chancellor. Bella Antiochena, in R.H.C., Hist. Occ., T.V, P.100 - 101 ؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ط . القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٥٠٤ - ص ٥٠٦ : Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987, p. 79 ; Tate, The Crusades and The Holy Land, Trans. by Lory Frankel, New York 1996, p. 78 .

٥٦ - عن مجلس نابلس انظر : William of Tyre, Vol. I, p. 535 - 536; Rohicht, Regesta Regni Hierosolymitani, Innsbruck 1893, p. 20 ; Mayer, " The Concordat of Nablus" J.E.H., Vol. XXXIII, 1982, pp. 531 - 543 ؛ حسين عطية ، مجلس نابلس (٢٣ يناير ١١٢٠م) وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية ، ضمن كتاب حولية التاريخ الإسلامي والوسيط ، م(١) ، ط . القاهرة ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م ، ص ٣٦ - ص ٦٩ ، جان ريتشارد ، وضع المرأة فى الشرق اللاتينى ، ضمن كتاب حسن عبد الوهاب ، مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية ، ط . الإسكندرية ١٩٩٧م ،ص ١٦٤ ؛ Richard, " The Political and Ecclesiastical Organization of the Crusader States", in Setton, A History of the Crusades, Vol. V, Wisconson, 1985, p. 207, p. 212, p. 227 ; Prawer, Crusader Institutions, Oxford 1980, pp. 15 - 16 ; Runciman , A History of the Crusades, Vol. II, London 1977, p. 156 .

٥٧ - William of Tyre, Vol. I, p. 535 .

٥٨ - Ibid, p. 536 .

٥٩ - حسين عطية ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

٦٠ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ٤٧ ، وانظر أيضًا : عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص٩٧ ، حيث يقرر أنه تم فرض عقوبات صارمة فى المجلس المذكور على عقوبات الزنا والسرقة ، وعن قرارات المجلس المذكور انظر ، سعيد البيشاوى ، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٩ - ١٢٩١م ، ط . عمان ١٩٩١م ، ص ٨١ .

٦١ - حسين عطية ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

٦٢ - نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

٦٣ - نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

٦٤ - نفسه ، نفس المرجع ، ص ٤٨ .

٦٥ - عن التحلل الجنسي لدى الصليبيين : نعرف أن من رجال الدين من كان يؤجر أماكن للعبادة من أجل ممارسة الرذيلة لما تدر عليهم من دخول مرتفعة ، كذلك يقرر جاك دى فترى أن عناصر الأفراخ أو البولانى انتشر الزنا في صفوفهم، ويندر أن يوجد شخص منهم ليست له انحرافات أخلاقية . كذلك من الملاحظ أن أسامة بن منقذ قد ذكر في كتاب الاعتبار أن الصليبيين ليست لديهم غيرة جنسية ، وبصفة عامة احتوت مدينة عكا كمدينة ساحلية على جنسيات مختلفة قدمت من الغرب الأوربى ، احتوت على أماكن لممارسة الدعارة ، بل أن هناك من يقرر أن الحى الأحمر فيها اشتهر بذلك ، ومن زاوية أخرى ، أشارت المصادر التاريخية الصليبية إلى وجود العاهرات في الجيوش الصليبية ، ويشير العماد الأصفهانى المعاصر لأحداث الحملة الصليبية الثالثة إلى قدوم سفن محملة بالعاهرات قادمة من الغرب الأوربى لخدمة الجنود الصليبيين في بلاد الشام : عن الجانب الجنسي في حياة الصليبيين انظر : أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط . بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١٧٤ : العماد الأصفهانى ، الفتح القسى في الفتح القدسى ، ط . القاهرة ب.ت، ص ١٧٠ ، ; Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, p. 64 Prundage, "Prostitution, Miscegenation and Sexual purity in The Frist Crusade", in Crusade and Settlement, ed. by P.W. Edbury, Cardiff 1985, pp. 57 - 65 ; زكى نقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٥٨م، ص ١٥٢، يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ت . قاسم وخليفة ، ط . القاهرة ١٩٨١م ، ص ٢٢١ ، جمعة الجندى ، حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ميلادى ، دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م ، ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠ ، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩ - ١١٨٧م ، ط . القاهرة ١٩٩٢م ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

٦٦ - حسن عبد الوهاب ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية ، ط. الإسكندرية ١٩٩٧م ، ص ١٧٥ .

٦٧ - عن سياسة بلدوين الثاني في هذا الشأن انظر : Fulcher of Chartres, p. 232 ; William of Tyre, Vol. I, p. 537 .

٦٨ - Ibid, p. 537 ; Runciman, Vol. II, p. 156 .

٦٩ - الرحلة ، ط . بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٢٦٠ . ويلاحظ أن المصادر الصليبية أشارت كذلك إلى العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين ، عن ذلك انظر : Fetellus, Description of The Holy Land, Trans. by J.R. Machpherson, P.P.T.S., Vol. V, London 1897, p. 24 ; Theoderich, Description of The Holy Places, Trans. By Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896, P. 65 ; Burchard of Montsion, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey

Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1896, p. 163 ; Ludolph Von Suchem, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart , P.P.T.S., Vol XII, London 1895, p. 5

انظر أيضًا ، على السيد على ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ط . القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٩٢ .

٧٠ - حاتم الطحاوى : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

٧١ - حاتم الطحاوى ، المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

انظر أيضًا : Sivan "Refugies Syro-Palestiniens au Temps des Croisades" , R.E.I, T. XXXV, 1967, pp. 135 - 147 .

٧٢ - عن نقش باب الصغير ، انظر : Compe, Wiet, Sauvaget, Repertoire Chronologie d'Epigraphie Arabe, T.IX, p. 10 ; Wiet, " Notes d'Epigraphie Syro. Musulmane" Syria, Année 1925, p. 164 ; Van Bercham, " Inscriptions Arabes de Syrie", M.I.E., T.III, Le Caire 1922, p. 453 - 454 .

٧٣ - ابن قاضى شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

٧٤ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة ؛ ويلاحظ أن الغرارة الدمشقية كانت تساوى (١٢) كيلاً وهى تعادل بالنظام المترى حوالى ٢٠٤،٥ كغم ، ومن المقرر أن وزن الكيل كان (١٧) كغم ، عن ذلك انظر :

ڤالترهنس : المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها فى النظام المترى ، ت . كامل العسلى ، ط . عمان ١٩٧٠م ، ص ٧٠ - ص ٧٢ ، طه ثلجى الطراونة ، مملكة صفد فى عهد المماليك ، ط . بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٨٧م ؛ عيسى العزام ، أسعار المواد الغذائية فى مصر خلال العصر الفاطمى (٣٥٨هـ / ٩٦٨م- ٥٦٧هـ / ١١٦٧م) ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٧٢) ، السنة (١٨) ، خريف ٢٠٠٠م ، ص ٧٢ حاشية (٣٠) .

٧٥ - ابن قاضى شهبة : المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

٧٦ - سلامة محمد الهرفى ، دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسية وحضارية ، ط. بيروت ١٩٨٥م ، ص ٢٨٣ .

٧٧ - عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى ، ط. بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٨٥ .

- ومن أمثلة إغارات الجراد فى الغرب الإسلامى انظر : النعمان بن حيون ، كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقى وإبراهيم شبوح ، ومحمد اليعلاوى ، ط. بيروت ١٩٩٧م ، ص ٤٣٥ .

٧٨ - العظيمى ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

٧٩ – عن زلزال عام ١١٣٨م / ٥٣٣هـ انظر : ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط . دمشق ١٩٨٣م ، ص ٤٢٠ .

٨٠ – ابن قاضى شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

٨١ – نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

٨٢ – العماد الأصفهانى : البستان الجامع ، ص ١٣٠ .

٨٣ – نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

– ويلاحظ أن مدينة دمشق عانت عام ١١٥٤م / ٥٤٩هـ من ظروف مجاعة أورد أمرها ابن القلانسى ، غير أنه ذكر أن ذلك مرجعه حصار نور الدين محمود لها وحرمانه وصول الإمدادات لها من الشمال ، ولم يشر ذلك المؤرخ إلى أمر الجراد ، كذلك حدثت مجاعة لدى الصليبيين في ذات العام أشار إليها وليم الصورى ، عن ذلك : ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط . دمشق ١٩٨٣م ، ص ٥٠٢ ، William of Tyre, Vol. II, p. 236

٨٤ – سعيد البيشاوى ، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩ – ١٢٩١م ، ط . عمان ١٩٩١م ، ص ٢١٥ .

٨٥ – سعيد البيشاوى ، "الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الخليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢ – ٥٨٣هـ / ١٠٩٩ – ١١٨٧م" ، المجلة التاريخية الفلسطينية ، م (١) ، العدد (٢) مارس ٢٠٠٠م ، ص ١٢٣ .

٨٦ – ابن العديم ، بغية الطلب ، تراجم السلاجقة ، ص ٢٦٣ .

٨٧ – ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨م ، ص ٣٠٧ ؛ محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى – الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤٧ – ٥٦٩هـ / ١١٤٦ – ١١٧٤م ، ط . القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٢٥٦ .

٨٨ – عن تعريف التصحر انظر : عبد المنعم بلبع وماهر جورجى ، تصحر الأراضى مشكلة عربية وعالمية ، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م ، ص ١١ .

٨٩ – Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialation in The Middle Ages, London 1973, p. 24

حيث يصف الصحراء بأنها كانت صمام الأمان لكل حدود المملكة الصليبية .

٩٠ – فتحى عبد الله فياض " فلسطين الموقع والموضع دراسة جيوبولوتيكية" ، ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ ؛ إشراف أ.د. حامد زيان ، ط . القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٣٩ ؛ شكرى مقبل ، الأحوال السياسية والحضارية فى فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٢هـ ، ص ٩ .

٩١ - عن إغارات حامية عسقلان انظر : Fulcher of Chartres, p. 265 - 266 ; William of Tyre, Vol. I, p. 547

وعن سقوط عسقلان في قبضة الصليبيين انظر : Anonymous Syriac Chronicle The First and Second Crusade, Trans. by Tritton, J.R.A.S., Vol, 1933, p. 301 ، مصطفى عبد العزيز العسقلاني ، عسقلان ودورها في الصراع الإسلامي - الصليبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٩٢م ، محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ط . القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م ، ص ١٨٥ - ص ١٨٦.

٩٢ - عن تلك المعاصر انظر : Benvenisti, The Crusaders in The Holy Land, Jerusalem 1976, p. 257 .

٩٣ - ابن ميسر ، أخبار مصر ، تحقيق هنري ماسيه ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ط . القاهرة ١٩١٩م ، ص ٩٣ .

٩٤ - Richard, Agricultural Conditions in The Crusade States, p. 263 .

أيضاً : ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

٩٥ - William of Tyre, Vol.II, p. 236 .

٩٦ - جاك دي فتري ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

٩٧ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة ، ويوحنا المعمدان John The Paptist أحد رجال الدين من يهودا ، عاش خلال المرحلة التاريخية التي سبقت ظهور السيد المسيح عليه السلام مباشرة ، وكان والده يدعى زكريا ، وهو كاهن يهودي ، وقام يوحنا المعمدان بالتبشير بقدوم السيد المسيح عليه السلام ، وقام بتعميده فيما بعد ، وقد لقي يوحنا المعمدان مصرعه على يد هيرودس ، ويلاحظ أن العهد الجديد - ولاسيما الجيلي متى ومرقس - يحتوي على إشارات مهمة عن دوره التبشيري، عنه انظر : متى : الإصحاح (١) من ١ إلى ٦ ؛ الإصحاح (٣) من ١٣ إلى ١٧ ؛ مرقص : الإصحاح (٦) من ١٤ إلى ٢٩؛ لوقا : الإصحاح (٩) من ٧ إلى ٩ : Hastings, Dictionary of the Bible, New York 1952, p. 509 - 510 ; Grant, Historical Introduction to The New Testament, New York 1963, p. 309 . 312 ; Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1944, p. 599 - 600 ؛ سامي سعد الأحمد : تاريخ فلسطين القديم ، ط . بغداد ١٩٧٩م ، ص ٣٧١ - ص ٣٧٢ .

٩٨ - جاك دي فتري : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

٩٩ - نفسه ، نفس المصدر والصفح .

١٠٠ - نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

١٠١ - عن ذلك انظر بالتفصيل : بيرل سمايلى ، المؤرخون فى العصور الوسطى ، ت : قاسم عبده قاسم ، ط . القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٥٩ - ٢٠١ ؛ هاردى إلمز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ت : محمد عبد الرحمن برج ، ط . القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٨٥ - ص ١٤٢ .

١٠٢ - ابن القلانسى ، المصدر السابق ، تحقيق سهيل زكار ، ص ٥٢٨ .

١٠٣ - عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٩٤ ، والبابا باسكال الثانى تولى المنصب البابوى من ١١ أغسطس عام ١٠٩٩ إلى ٢١ يناير عام ١١١٨م ، عنه انظر : Kelly, Oxford Dictionary of Popes, Oxford 1996, pp. 160 - 161 .

١٠٤ - Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by E.R.A. Sewter, London 1982, p. 309 ; Mayer, The Crusades, p. 12 .

١٠٥ - كلود كاهن ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

١٠٦ - القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ٣٨٨ .

١٠٧ - من ذلك حدوثها عام ١٢٢٣م / ٦٢٠هـ ، وفيما بعد عام ١٤٠٠م / ٨٠٣هـ ، عنها انظر : المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١/ق١، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط . القاهرة : ١٩٥٦م ، ص ٢١٤؛ عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية فى الجزيرة والشام (٤٦٥ - ٨١١هـ / ١٠٧٢ - ١٤٠٩م) أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر ، ط. بيروت ١٩٨٠م ، ص ٤٤٦ ، مما يعكس أن تلك المنطقة كانت بمثابة نطاق جغرافى تقليدى لإغارات أسراب الجراد .

(95) About Medicine in Andalusia, see this study: M. Al Khattabi, *At tibb wa al-atibba fi al-andalus al islamia,* 2vols.. Beirut 1988.

(96) *Al Ifada wal I'tibar fil omour al moshahada wal hawadess al moa'yana bi ard Misr.* , p. 150.

(97) *Ekhbar Al Hokama' bi akhbar Al olama,*p. 210.

(98) K. Al Samerra'i, *Mukhtasar tarikh al tebb al Arabi,* p. 56.

(99) A. Al Rooby , *East meets West,* p. 18.

(100) S. Chae'chou'e, *Al Asr Al Zhahabi..* p. 213.

(101)About the School of Salerno see: G.W. Corner, "*The rise of Medicine at Salerno in the twelfth Century*", A.M.H., Vol. III, Jan. 1931, pp. 1-16;A.G. Chevalier, "*The beginnings of the School of Salerno*" C.S., Vol. V, 1941, pp. 1719- 1724; P. O. Kristeller " *The School of Salerno, its development and its contribution to the History of Learning.* ", B.H.M., Vol. XVII, 1945, pp. 138- 194.

------

(69) K. El Samerra'i, *Mokhtasar tarikh el tebb el Arabi,* p. 60.

(70) A. Zidan, *Mussa Ibn Maimun and his mission,* p. 385.

(71) Ency. Jud., Vol XI, p. 779.

(72) *Al Hadara al Arabea,* Arabic trans. by: K.A. Khalil, Beirut 1993, p. 209.

(73) William of Tyre, *A History of deeds done beyond the Sea,* Engl. trans. by: E. Babcock & A. C. Krey, Vol.1, New York 1943, p. 128, p. 239, M. Awad, *Al Horoub al Salibiya, Dirasat tarikhiya wa naqdia,* Amman 1999, pp. 119-120.

(74) A. Badawi, *Al mawsou'a al falsafeya,* p. 498.

(75) K. El Samerra'i, *Mokhtasar tarikh al tebb al Arabi,* p. 58.

(76) M. Kassem, *Al Mougaz lima adafaho Al Arab fi Al tebb wal Oloum Al Mota'alleqa bihi,* Baghdad 1974, P. 86.

(77) Ency. Jud., Vol. XI, p. 777.

(78) *Musa Ibn Maimum, Sharh asma'e al Uqqar* ed. M. Meyerhof, Cairo 1939, p. 4.

(79) Ibid. p. 4.

(80) M. Kassem, *Al mugaz lima adafaho al Arab,* p. 93., T. Fahd, *Elm al nabat wal zera'a,* within *Mao'sou'et tarikh al oloum alarabia,* p. 1044.

(81) M. Kassem, *Al mugaz lima adafaho al Arabia,* p. 93.,

(82) Ibn Al Bitar, *Al Game'a limofradat al adweya wal aghzeya,* Vol.I, Beirut n.d., p. 124 , p. 125, p. 127.

(83) Mussa Ibn Maimun, *Maqala fi tadbir al sehha,* trans. by A. Zidan A.F.A.A.U., 1996-1997, pp. 363- 455.

(84) Ibid, p. 401.

(85) Ibid, p.402.

(86) Ibid, p. 404.

(87) Musa Ibn Maimun, *Makala fi tadbir as- sehha,* p. 405.

(88) Ibid, p. 405.

(89) Ibid, p. 406.

(90) Ibid, p. 417.

(91) Ibid, p. 420.

(92) Ibid, p. 490.

(93) Al Ifada wal I'tibar fil omour al moshahada wal hawadess al moa'yana bi ard Misr. , ed. By Spano, Damascus, 1983, p. 150.

(94) G. Kanawaty, *Tarikh Al Saydala wal aqaqirr fil Asr al Kad'im wal asr al Wasit* Cairo 1959, p.166.

(43) S. Goitein, *A Mediterranean Society, The Jewish communities of the Arab World as portrayed in the documents of the Cairo Geniza*, vol. IV, California 1983, p. 12.

(44) M. Cohen, *The burdensome life*, p. 125.

(45) M. Meyerhof, *"Medical Work of Maimonides", in Essays on Maimonides* New York 1940, p. 271.

(46) O. Galal, *Al Adab Al Ibry Al Kadim wal wasit*, Cairo 1978 , p. 127.

(47) M. Meyerhof, ,*Medical Work of Maimonides* p. 275-276, A. Al Mahy *Mokaddema Fi Tarikh Al Tebb Al Arabi*, Al Khartoum 1959 p. 12.

(48) S. Shae'sho, *Al asr al zhahabi, safahat min al taawon Al Ya*houdi Al Arabi fil Andalus, Shafa Amr – Israel 1990, p. 211.

(49) Ibid.

(50) S. Shae'shoue, *Al asr al zhahabi* p. 211.

(51) I. Wilfenson, *Mussa Ibn Maimun ,hayato wa musannafato* , Cairo 1936, p.143

(52) S. Shae'shoue, *Al asr al zhahabi*, p. 211.

(53) I. Wilfeson, *Mussa Ibn Maimun,hayato wa musannafato*, p. 143.

(54) Ibn Abi Ossaiba', *Oyoun el anba'e fi tabakat al atebba'e*, p. 583, M. Meyerhof, *"Medical work of Maimounides"*, p. 283. And, about this book see:; H. Ne'matalla and E. Melekha, " *Mawsou'et Olama'e el tebb*".. Beirut 1985 , p. 2; E.T. El Mahi *"Mokaddema fi tarikh El tebb el Arabi"* p. 125.

(55) M. Meyerhof ,*Medical work of Maimounides*, pp. 281-283.

(56) I. Wilfenson, *Mussa Ibn Maimun,hayato wa musannafato*, p. 146.

(57) M. Meyerhof , *Medical work of Maimounides*, pp. 285-287.

(58) Ibid , pp. 278-279.

(59) K. El Samerra'i, *Mokhtasar tarikh al tebb al Arabi* ,vol II, Baghdad 1985, p. 58

(60) M. Meyerhof ,*Medical work of Maimounides*, pp. 274-275.

(61) K. El Samerra'i, *Mokhtasar tarikh el tebb el Arabi*, p. 59.

(62) A. Zidan, *Mussa Ibn Maimun and his mission*, B.F.A..A.S.U.1996/97 p. 384.

(63) Ibn Abi Ossaibe, *Ouyoun AEl Anba'e* p. 583.

(64) *Akhbar El Hokama* p. 210.

(65) M. Meyerhof , *Medical work of Maimounides* , p. 278.

(66) K. El Samerra'i, *Mokhtasar tarikh al tebb al Arabi*, p. 59.

(67) S. Shae'shoue, *Al asr al zhahabi* p. 212.

(68) M. Meyerhof , *Medical work of Maimounides*, pp. 283-285.

(22) For example see: Benjamin of Tudela, p. 173.

(23)Ency. Jud., *"Maimonides"*, vol. XI, p.757.
about this position, see: M. Cohen *Jewish self Government in Medieval Egypt, The origins of the office of Head of the Jews1065- 1126,* Princeton 1980.

(24) Al Qifty, *Ekhbar El hokama'* p. 209.

(25) Ibid.

(26) Ibn Al Ebry, *Tarikh mokhtasar Al Dowal,* Beirut 1992., p. 239.

(27) Ency. Jud. Vol. XI, p. 756.

(28) Ibn Al Ebry, *Tarikh Mokhtasar El Dowal*, p. 239
El Qifty, *Akhbar El Hokama'*, p. 210

(29) Ibn Al Ebry, *Tarikh Mokhtasar El Dowal*, p. 242.

(30) Y. Levy, *Saladin in Egypt*, Leiden, 1999, p. 189.

(31) M. Cohen, *Al Mogtama'e Al Yahudy fi Misr Al Islamiya* trans. by N. Mirar & S. Naccash, Tell Aviv 1987, p. 66

(32) Ibn Abi Ossaiba', *Oyoun al anba'e fi tabakat al atebba'e,* ed. N. Reda, Beirut 1965, p. 242.

(33) A. Al Qosy, *"Salah Al Din Wal Yahoud"*, E.H.R., Vol. XXIV, 1977 pp. 44- 45.,.

(34) Al Gebaly, *"Musa Ibn Maimun min kanawat intishar al ghazaliah fi oroba"* within *"Halaket wasl"*.p. 378.

(35)About Richard Heart of Lion, see: Ambroise, *Richard Heart of Lion, Engl.* trans. By Hubert, New York 1943 Geoffey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion,* in Chronicles of the Crusades, London 1908; Richard of Devizes, *Crusade of Richard Coeur de Lion,* in Chronicle of the Crusades, London 1908; *Chronicle of the Third Crusade,* a translation of Itinerarum Peregrinorum et Gesta Regis Recardi, trans. By Helen Nicholson, London 1997.

(36) A. Al Qosy, *Al Yahud fi dhel al hadara al islamey,* Cairo 2001, p. 149.

(37) For more details see: B. Lewis, *"Maimonides, Lionheart and Saladin"*, Eretz-Israel, vol. VII, Jerusalem 1964, pp.70- 75.

(38) E. Savage-Smith, *"Al Tebb"* within *"Tarikh al oloum al arabeya"*, ed. By: Rushdi Rashed, Beirut 1997, p. 1186.

(39) A. Al Rooby, *"East meets West, a panorama of Arabian Medicine"*, in lectures in History of Arabian Medicine, Riyad 1988, p. 18.

(40) Ibn Abi Ossaiba', *Oyoun el anba'e fi tabakat al atebba'e,* p. 582.

(41) About this letter see: J.R. Marcus, *The Jews in the Medieval World,* New York 1960, pp. 307-309

(42) M. Cohen, *"The burdensome life of a Jewish physician and communal leader :* A Geniza fragment from the Alliance Israelite Universelle Collection", J..S.A.I., vol. XVI, Jerusalem 1993, p. 125.

NOTES

(1) S. *Rosenberg " Risalet Ibn Maimun ila ahl haza'l asr"* UNESCO issue no. (304), September 1986, p. 21.

(2) H. Al Za'farany *"Ael masader ael Arabia wa is'hamatiha fi takween wa tatwir alfikr wal takalid elthakafa elyahoudiya"* – Within the book of *"Halakat wasl bain elshark wal gharb"* Abu Hamed Al Ghazali wa Musa Ibn Maimun – Al Akademeya al Maghrebeya – Aghadir 1985, p. 395.

(3) E. Ashtor, *" Saladin and the Jews."* H.U.C.A.,Vol.XXVII, 1956, p. 312.

(4) Musa Ibn Maimun. ***Dalalet El Ha'erin*** prep. by H. Itay, Cairo, n. d, p. 23 A. R. Badawi, ***Al Maw'soua Al Falsafeya,*** Beirut 1984, p. 497; Z. El ***Khodairy Athar Ibn Rochd Fi Falsafet Al O'sour Al Wosta.*** Cairo, 1983, p. 31.

(5) Da'eret Al Maaref Al Islamiya, ***"Ibn Maimun"***, Part 1, Cairo, n.d., p. 4002

(6) Ibid.

(7) J.C. Sornia, ***Tarikh Al Tebb,*** Trans. by: I. El Yeglaty, Kuwait 2002, p. 81.

(8) Benjamin of Tudela, ***Al Rehla,*** Trans. by: E. Haddad, Beirut 1996, p. 40.

(9) Ency. Jud., ***"Maimonides",*** vol.II, Jerusalem, 1974, p. 753.

(10) Al Qifty, ***Ekhbar Al hokama' bi akhbar el Olama,*** Cairo n.d, p. 209.

(11) Ibid.

(12) A. H. Eltazi, ***"Ibn Maimun bi Fez"*** Within the book ***"Halakat wasl bain elshark wal gharb"***, p. 206.

(13) M. K. Arnandez ***"Ibn Rochd wa ibn Maymoun fil Andalus"***- UNESCO issue, p. 6.

(14) M. Ben Sharifa,. ***"Hawla eltasamoh el diny wa Ibn Maimun wal Mowahhedin"***., Within the ***book "Halakat wasl.."***, p 29.

(15) M. Ben Sharifa. ***"Hawla eltasamoh al diny"***, p. 29.

(16) A. R. Bechir, ***Al Yahoud fil Maghreb Al Arabi,*** 22- 462 H. / 642- 1070 A.D., Cairo 2001 .p. 77.

(17) Ibid

(18) F. Sezgin, *"Nakl Al Fikr Al Arabi ila Oropa Al Latiniya",* Within the book *"Halakat wasl..",* p. 296.

(19) S. Chafei,*Ahl Al zhemma fi Masr fil asrAl Fatimy Al thany,* Cairo , p.106.

(20) S.D. Goitein, "*Contemporary letters on the capture of Jerusalem by the Crusaders"*, J.J.S., Vol. X, 1952, pp. 162-177.

(21) Benjamin of Tudela, p. 99 –See also: J. Prawer *"The settlement of the Latins in Jerusalem",* Speculum, Vol.XXVII, p. 494 note (21) and Petachia of Ratisbon, *"Tour du Monde, ou voyage de Rabbi P*

physicians previous to his era, specially Ibn Sina (Avicenna), the writer of "*El Qanoun fil Tibb*", was much more brilliant and well known, as his work were translated into Latin and reprinted in Europe several times. That book remained the principal main reference in its Universities until the 18th Century, and was considered as well a documental reference by the Salerno Medical School(101) in Italy.

From the foregoing argument, we can assure that what Ibn Ossaybe' had exaggeratedly mentioned in the evaluation of Musa Ibn Maimun, when he described him as the unique scientist of his era in the medical field. This assessment is certainly exaggerated and far from accuracy.

-- ----

It is noticed that Musa Ibn Maimun refused eating fruits, some kind of vegetables and fish. This is where he got wrong; specially that many Moslem physicians in the Middle age, before and after his era, always advised to eat them for their nutritional value to the human body. As for his notion about alcohol moderate drinking, again the medical fact assures too, that it has bad effects on the digestive organs, specially the liver, the neuro-system and other organs of the human body. Some scholars has claimed the following: " *Maybe this book is the most original and important of all Ibn Maimun's writings*[94)) ". Yet this verdict is not accurate. The reason is that by checking this writing we can notice that its medical level is mediocre; and doesn't represent any novelty or innovation, but repeats what have been previously issued and have been previously published by Al Razi, Ibn Sina, and others. Although Ibn Maimun's publications might have reflected his wide medical experience, which was various without doubt, but it came as a repetition to what was really known before.

There is no doubt, that the researcher and the scholar of Ibn Maimun's writings, will remark that the explanations referred to in " Asma'e Al Uqqar", "Tadbir Al Sehha", lack originality, and that they are a Jewish adjusted version from the medicine of Apocrates and Galinos, not to mention the contributions of Andalusia Physicians that enriched his medical knowledge[(95)].

Some of his contemporaries, like Abdel Latif Al Baghdady, realized his lack of innovation and novelty, by showing that some of his writings were gathered from Galinos books, and that the copying was without any change, but that he copied chapters of his choice[(96)]. Also Al Qifty, criticized him, and assured the same remark[(97)], as well as some researchers too. A modern scholar has this to say: "Most of his practice to this profession was very traditional without any innovation, and referring to Apocrates and Galinos' books[(98)]". Another scholar saw that :"The medical writings of Ibn Maimun were not on the same level of importance as his Philosophical and Dogmatic writings[(99)]".

Some of the Jewish writers, see that Musa Ibn Maimun's writings were widely circulated distribution in the Arab Orient, and declared the following: "We didn't know of any Arab physician besides him, from which such a contribution in his medical specialties, has been so widely spread [(100)]. However, we believe that this is clearly an exaggerated opinion.

It is a fact that modern Jewish writers' have overestimated Musa Ibn Maimun's contribution as a physician. Also it is of my opinion that Moslem

The truth is that Ibn Al Bitar, has profited from Ibn Maimun's work by explaining the drug names, whereas he added several additions which made it by far the choicest of the two. Also he was keen to depict the different medical advantages of the plant variety; This without lessening the importance of Musa Ibn Maimun's contribution in the same field.

As for his work: *"Maqala fi tadbir al sehha "*, we can highlight it through its Arabic translation by "Aicha Zidan[83]", where we discover that it contained a great number of medical advice, which he wrote at the request of the Sultan Al Afdal Noureddine, to moderate his appetite and overcome flatulence, and to get small quantities of food[84]. Also he advised him to perform physical activity which leads to the metabolism of food stuff. He saw, that through physical activity, one can get rid of the ailments of indigestion [85]

We see him passing in review some of his most important observations about different foods, and he decides that all fats are bad, as they spoil the digestive operation, and tends to cut-off the appetite[86]. He mentioned that fish, from his medical point of view, is mostly bad[87], and the same thing about onions, garlic, cabbage, cauliflower[88]. He also extended his observations to the fruits, which he considered to be equally harmful.[89]

He also advised the Sultan to the necessity of inhaling clean non-polluted air, and stated that by comparing the towns' air and the deserts' air, was like comparing spoiled waters with clean ones[90]. This reflects his early warning of the dangers of pollution, at a time people were hardly aware of pollution issue.

In another remark, he advised to drink spirits (wine), and saw that it is of great benefit, but in limited quantities, and remarked that it is the cause of good health; but he was against giving wine to children[91].

We can realize that his analysis of some foods and drinks, was based on Jewish religion; and in spite of that we found out some cases in which he contradicted his religion[92] on this point.

Musa Ibn Maimun's message is a continuity to what was written before by Galinos in more than a place, whereas Galinos medicine was not always right in many of its aspects. This is enough proof to certify that the Iraqi Physician Abdel Latif Al Baghdady (d. 1213 / 629A.H.) has corrected some of the mistakes done by this great Greek physician specially what concerned the lower jaw in the human mouth[93], which Galinos wrongly believed that it was composed of two pieces.

one of them was Al Razi (deceased in 1010 /404 A.H.) and his book *"Sirr el Asrar" "The secret of secrets"* , and Al Bayrouny (d.1048/448A.H.) and his book *"El Saydana", "Pharmacology"* and Aly Ibn Al Abbas Al Magousy (d. 994/ 326A.H.) and his book *"Kamel El Sena' a al tebbeyya" "The Perfect in Medical industry"*. and Ibn Sina (Avicenna) (d.1038/ 428A.H.) and his book, *"Al Kanoun fil Tebb", "The canon in medicine"*, thereafter there is Ibn Al Bitar (d. 1248/ 646A.H.) and his book *"Al Game'e li mofradat ael adweya wal aghzia" "The Comprehensive in the vocabulary of medecine and foods"*[76]. .

We notice that Musa Ibn Maimun in his explanation of what is the uqqar (drug), he names them not only in Arabic, but also in Mauresque and Spanish[77]. We notice that he got its original constituent from Andalusia and Maghreb, which reflects the importance of this period of his life, and its reflection on his medical writings,.Also he admits that he relied on the writings of his predecessors, like Ibn Golgol (d. 987/ 377 A. H.), and Al Ghafiky (d. 1164/ 560 A.H.), and others…. Also to add their knowledge to what is well known to the public in the Maghreb country, without contradicting in that any of the well known physicians[78]; as to whatever he specifies the name of drugs in his work.[79]

In general, in his compositions he was overwhelmed by abbreviating, and summarizing, while the value of his works comes from his denomination of each single plant in every different country from Andalusia to Egypt; and what helped him in this is his philological background. In spite of this positive side, he has not been described as a philologist or as an erudite in this specialty.

When we compare the explanation of drug names which Ibn Al Bitar has written in the form of a compiled book of *"The Comprehensive in the vocabulary of medecine and foods"*..we notice that the later has supplied in a detailed way 1500 drugs[80], of which 400 were unknown to the Greeks[81], and he relied on his composition on what Dioscorides – the greatest of Greek herbalists- and Galinos have provided; whereas he first inserts the compatible Dioscorides and Galenus wordings first, then he presents in this respect the Moslem scientists, like Al Ghafeky or whoever came thereafter[82].

A panoramic vision about the volume of contribution of Musa Ibn Maimun and Ibn Al Bitar, reveals to us that the latter has surpassed by far the former in a distinguished way. In fact the latter's book book is described as referential and complete, not to mention the relevant additional details.

that time of political rivalry, as people, even by the aid of poison, were using all kind of weapons to keep their enemies away. in this respect Musa *Ibn Maimun* was not the only one to write about poisons, as there were other previous writings in this field, and what is supposed to be his contribution in this respect is merely a completion to what his predecessors have previously achieved in this matter.

We cannot omit that poisons in this era, have been known with all their various kinds and effects, whether they were by plants, by animals, or chemicals. The contemporary sources of the crusade era have shown many cases of death by food poisoning[73].

Fourth: Musa Ibn Maimun directed his way by summarizing medical writings of prominent Hellenic physicians like Apocrate and Galinos, as in his writings *"Sharh Fusul Apocrate"* and summarizing the sixteen books of Galinos; and when we compare that quality of medical contribution, we see that he did not prefer to go on in the process of summarizing, and that his greatest contribution was in the form of writing medical books and medical short dissertations.

Fifth: The contribution of Musa Ibn Maimun is various in many aspects of the medical science; whether in internal or chest diseases, and even in psychological matters. If the previous writings show us clearly his contribution in the two first domains, the psychological side he dealt with in his *Al Afdalia message*. In it he deals with cases of anger, sadness, joy and other psychological disorders... and their effects on the general health; again, his book of *"Dalalet Al Ha'erin"* is supposed to have a psychological goal, through the reconciliation between moral and physical sides, together with his own interpretation..

Here comes another side related to the evaluation of Musa Ibn Maimun's medical writings, between imitation and innovation, which in reality shows that the subjects of his medical writings which he performed were not innovations but merely an extension to previous writings; and in order to prove this we can refer to the title: *"Sharh Asma'e al uqqar"*, where we notice the existence of a unique handwriting specimen about it in Istambul, which the German Orientalist, Max Meyerhof, published. Some claim that it did appear in 1940[74], others said that it was in 1957[75], but the truth is that this work was issued in 1939.

In this respect Musa Ibn Maimun was not the only physician to write about drugs, since many previous scholars did write on the same domain,

within the medical knowledge of that time, and in which he advised patients to indulge in eating useful vegetables compatible with their illness.

We can sum up Ibn Maimun's medical contribution in the following:

First: It is noticed that some dedication of his writings, were to the ruling Ayyubid leaders and officials, as in the case of his dissertation on *Gima'e* which he wrote- as previously stated- to the Sultan Of Hama *Al Malek Al Modhaffar Abi Said Omar Ibn Noureddine;* also his dissertation *"Fi Tadbir El Sehha"* which he wrote for *Al Malek Al Afdal Noureddine Ali.* We cannot ignore that some of his writings were for prominent personalities in the Ayyubid rule, such as his dissertation of *"As-sumum wa'l mutaharriz min al adweya al qattala"* which he wrote for *Al Kadi Al Fadel.*

It is obvious that the relationship of Ibn Maimun with the Ayyubid rulers, and his work as a physician for them and their sons, motivated him to dedicate some of his writings , namely the small dissertations, to those personalities. As for *Al Kadi Al Fadel,* and the well known strong relationship between the two men, made him dedicate one of his writings to him.

Thus, Ibn Maimun dedicated some of his works to specific persons, while others were without dedication to anyone; such as the following books: *"Fousoul Al Kortobi"* and *"Sharh Fousoul Abocrate"* and *"The Extracts of the sixteen books of Galinos"* and *"Sharh Asma'e Al Uqqar",* and there is no doubt that most of his books were of the second. As we cannot disregard here, the difference between those both writings, as we see that the writings for officials, are generally short, and contained some kind of medical advice, but for the others, they were large writings or more elaborate in their content category, and were not intended for dedication.

Second: Ibn Maimun stressed in his *"Makala Fil Gima'e"* about useful and harmful foods related to intercourse, and which could cause a reverse action. It is also remarked that his work about this subject was not confined to him only, as the same theme was previously existing before his era.

Third: We can notice from his writing of *"Kitab as-sumum wa'l mutaharriz min al adweya al qattala"*- which Jack Ressler imagined that it was a book of quality about drugs [72], while in fact it was only a short paper. This was caused by the political conditions prevailing at

4-*"Sharh asma'e al-uqqar*[57]*"* *" Glossary of drug names"* which is a book of herbs of different varieties, with its original names in Arabic, and its Greek, and its Andalusian popular names. Henceforth, we will comment on this book for its value.

5-*"Maqala fi'r rabw*[58]*"* *" Discourse on asthma"* which was written for a personality in Alexandria, who suffered from this illness, and in it he advised him to change his residence and come to Cairo[59]. Cairo is more suitable than Alexandria for asthmatic patients because of its dry weather conditions.

6-*"Sharh Fusul Apocrate*[60]*"* "Commentary on Hippocrates' Aphorisms"; he wrote this book about explanations and comments of *"Hunayn Ibn Ishak*[61]*"* the translator and well known physician during the flourishing translation in the first Abbasid era. Some claim that he referred to Appocrates' chapters in healing matters, therefore he went to insert his notes and comments[62], with a remark that the time difference that separated him from *Hunayn Ibn Ishak* has provided him with a variety of sickness cases, and a more elaborate medical knowledge, in a way that enabled him to comment and explain.

7-A summary of the sixteen books of Galinos[63] *"Al Mukhtasarat"* "The extracts" and it is noticed that *Al Qafty,* criticized him, and mentioned that it came in a very concise form and without any benefit;[64] which reflects that even his contemporaries criticized him.

8--*"Maqala Fil Gima'e*[65]*"* "An essay on sexual intercourse"which he wrote to the Sultan of Hama, *Al Malek Al Modhaffar Omar Ibn Noureddine*[66] (1179- 1192A.D. / 575-588A.H.) we notice that he referred to some prominent Moslem physicians in Islamic Orient or Occident, like *Ibn Sina, Ibn Golgol, Al Ghafeki and Ibn Zahr*[67]; and he divided the previous article into nineteen chapters dealing with a number of sexual affairs, useful and harmful foods for intercourse.

9-*"Makala fi bayan Al A'rad*[68]*"* *"Discourse on the explanation of symptoms"* which he wrote for the Sultan *"Al Afdal Ali Ibn Salah Eddine"* after his suffering from a health ailment, and the divergence of physicians to identify his illness[69]; Some state that this article was the last he wrote[70]

10-*"Makala fil Bawasir"* "An Essay on hemorrhoids"[71] which he wrote for a noble Cairene family, where he divided his article into seven chapters in which he worked in the study of hemorrhoids through its different aspects

1192A.D./592A.H., for the reason that the said year of his letter writing, the ruler in Egypt was his son *El Afdal Nour El Din Ali* who ruled only for two years *1198- 1200A.D./595-597A.H.*[45]. We cannot be sure that *Musa Ibn Maimun's* work remained the same during the reign of his successors. It is supposed too that the skill of that Jewish physician, and the great renown he achieved, persuaded many people to regard him as a medical authority.

In spite of his role as an official and popular physician, *Musa Ibn Maimoun* could also write several medical topics in the shape of large books or short memos. Some even refer that his writings were written during the prolonged period between years 1167 to 1200A.D[46]. 563 to 598A.H. in Egypt i.e. four years before the fall of the Fatimid rule, and after about three decades from the foundation of the Ayyubid dynasty, and more precisely on year 1200A.D./597A.H. This has some indications, as it reflects to his continuity in writing until four years only before he passed away, and most probably that the nature of his work and his old age prevented him from pursuing his medical writings.

About his medical writings, we can sum it up as follows:

1-"*Fousoul Al Kortoby*[47]" or what is sometimes called *"The Medical Aphorisms of Moses"*. by which he achieved a great reputation[48], and is considered the largest of his medical writings.. It contains about 1500 medical principles that has been condensed from the writing of *Galinos*[49] and other old Hellenic physicians, in which he joined 42 comments and analysis[50]. It was written between the years of 1187- 1190 A.D./ 583- 586A.H.[51]; it contained also, various medical knowledge in anatomy, physiology, internal diseases, and ways of auscultation, as well as the physicians' methods of healing different diseases[52]. We notice also the influence of Moslem physicians, specially those he studied or read their writings in Andalusia and in Egypt, where there are references in the mentioned book about *Ibn Zahr*, who was mentioned 26 times, and *Ibn Radwan* whom he mentioned three times[53].

2-*"Kitab as-sumum wa'l mutaharriz min al adweya al qattala"*[54] "Poisons and the protection against deadly remedies" which was dedicated to *Al Kadi Al Fadel* and therefore was known as *"Al Maqala Al Fa'diliya"*

3-A dissertation *"Fi tadbir as-sihha*[55]*"* "On the regulation of health" which was written for *El Malik El Afdal Noureddine Ali,* at his request, he was described as being quickly vulnerable to tension [56], and affected by various diseases.

physicians working for the Ayyubid Sultan, specially that there are no historical sources to confirm such information.

With all what has been related, one can take advantage of its contents by emphasizing that the Sultan was tolerant with regard to others' religions in his court where the Moslem, the Jew and the Christian, worked side by side in an era that has seen many aspects of religious intolerance and intrigues.

In general, *Ibn Abi Ossaiba* declares that this Sultan was following Musa's advice and accepting his medical care, so was also, his son *Al Malik Al Afdal Ali*[40]" This means that his medical role extended to include the sons of Saladin the Ayyubid after he proved, of course, his ability in attending medication to their father.

Referring to his medication to the common people, we know about him, having a private clinic in *Al Fustat* where he used to receive his patients regardless of their religions.

One of the *Geniza* documents reveals the nature of work of that famous physician, which is represented by a letter sent by him to another Jew, *Samuel Ibn Tibbon*[41], who translated the book *"Dalalet Al Ha'ereen"* (The book of the perplexed) and this letter was sent in September 1199A.D. /596A.H., and through this document he enumerated his daily duties which were various and arduous; that every day he was keen to go to the Sultan in the early morning, and that he was obliged to stay for a long part of the day in the palace[42], and at the same time he had to go daily to *Al Qahira*[43] even in the perspective that nothing unusual has happened, and he could not return to *Al Fustat* but in the evening[44], and when he returned, he used to find his patients, whether Moslems, Christians or the Jews, the wealthy or the poor,; and that his work continued to the middle of the night. This proves that he spent in his healing duties most of the hours of the day..

The above mentioned *Geniza* document reveals several aspects; and it presents us with clear facts about the healing work of *Musa Ibn Maimoun*. It shows that a lot of work was imposed on him in a way that makes us say that his official ties to the Ayyubid family meant that he consecrated to its members a great part of his morning hours; and therefore we can realize that the large scale reputation he achieved from that, was because of that relationship which was at the expense of his daily rest.

We cannot ignore that the year 1199A.D. / 596 A.H. in which he wrote that letter, and before five years of his death, The Sultan of Egypt was not *Saladin the Ayyubid*, whom we know was deceased in year

the non Moslem side there were *Ibn Gamee'e* the Jew, and *Abal Bayan Almedawwar,* and *Al Raees Hebat Allah,* and *Al Moaffak Ibn Shoha,* and *Abul Maali Ibn Tammam,* and *Abul Barakat Ibn She'eya,* and *Al Assa'd Al Mahally,* and *Youssef Ibn Said Ibn Khalaf Al Samery*[33], and from the Moslems we mention *Abdel Latif Al Baghdady,* and others.

We can notice that the refined political position that Ibn Maimun had gained through his engagement with the Ayyubids had an influence on the imaginaton of *Ibn Abi Ossaiba's* previous evaluation.

The relationship between the Sultan Saladin the Ayyubid and this Jewish physician was described as stable, and one of the historians claimed that it even reached friendship[34]. However, we did not find any proof from the sources to substantiate this verdict. It is assumed that this relationship did not exceed the limits of medical formalities and mutual consideration; and in case of its development to the extent described, there is no doubt that eminent historians of the Ayyubid period, like *Al Imad Al Asfahany, Ibn Shaddad, Ibn Al Athir* and others, would have mentioned that.

Some have even mentioned that the English King *Richard Lion- Heart*[35] (1189-1194 A.D./ 585- 595A.H.) has offered Musa Ibn Maimun, during the third Crusade, to become his private physician, but Musa could not feel safe with the Crusaders, and he preferred to remain under the Ayyubid reign[36]. In fact this story is some kind of a fiction that was intended to show a relation between Musa Ibn Maimun and the English King, but the whole story tends to be untrue [37].

We can realize that the medical contribution of Musa Ibn Maimun consists of two axial perspectives; the first is his healing role which he performed whether for the reigning Ayyubid family, or also for the common people; The second is his medical writings of which some have reached us, and which are considered as material proofs of his contributions.

Considering his healing role, he was supposed to give treatments to the Sultan *Saladin the Ayyubid.* Some historians confirm that there were no less than eighteen other physicians working for him, eight from them were Moslems, five Jews, four Christians, and one Samerit[38]. Another historian claims that no less than twenty one physicians worked for him, eight of them Moslems, eight Jews, and five Christians[39].

In reality, this is considered a controversial issue between historians, and there is a remote possibility that there was such a large number of

contact gave him a high rank. Thereafter, when Saladin overthrew the Fatimid rule, Musa still worked as one of the physicians of this Ayyubid selective court, and he became also the head of the Jewish community of Al Fustat, in 1177A.D / 573 A.H.[23].

There is an important debateful point, which refers to the religion of Musa Ibn Maimun and his embracing Islam or not. As some have indicated, he was Jew at heart but pretended to be a Moslem[24] out of piety, whereas he remained a "renegade infidel", this means that his following the Islam was only for appearance, and that only after his arrival in Egypt, he could reveal his proper religion[25].

Whatever the reality is, he most probably faked of being Moslem, and kept his Jewish religion secret. From another point, he was an erudite in the Jewish religion; therefore his famous book *"Dalalat Al Ha'erin"*[26] in which he concords religion with mind in Judaism, as a classic, and which would be out of question if he were other than a Jew. Also we must not omit his writing of a message about the compulsory transfer from a religion to another, which he named in Yiddish" *Iggeret Kiddush ha Shem*", and wrote it in Hebrew in Andalusia, where he urges the Jews to migrate to where they could freely perform their rituals[27]without fear.

We cannot omit that *Musa Ibn Maimun* ,when his days were coming to an end, as he died in year 1204 A.D./602 A.H. asked in his will to be buried in *Tiberia*[28] where the graves of the greatest Jewish personalities stand. Therefore this is an assurance that he faked Islam, while he was from inside an innate Jewish. We can also notice that on this same track, many other Jews followed this concept, of whom we can mention *Yehia Ibn Ishak Al Sabty* the Maghrebian (died in 1220 A.D./ 620 A.H.) who concealed his religion and traveled to Egypt[29].

We must observe, that the transfer to Islam, was not a condition to reach high positions in Saladin's time[30] . Therefore it is sure that Musa Ibn Maimun reverted to his Jewish religion, and as an other historian stated that the Ayyubid epoch was, in general, tolerant and procuring a real security for the Jews[31].

Musa Ibn Maimun became famous and distinguished in the medical profession of that time, and *Ibn Abi Ossaiba* was saying about him that *"He was the unique scientist of his era in the medical profession*[32]*"*. However, there is some kind of exaggeration in this saying, for the reason that in the Ayyubid Period in Egypt, there were many physicians, involving Jews, Christians and Moslems, who contributed to the Science of medicine. From

From another side, we cannot deny, that the transfer of scientists, between Andalusia and Northern Africa or from them to the Islamic Eastern Countries, was a normal procedure in that time where there were no political border dividing the Islamic world[15].

Anyway, the family of Musa Ibn Maimun moved to the confines of Maghreb, and specifically to Fez. It is obvious that this choice was not a haphazard one; for the city was a developed and flourished one. This was due to its strategic commercial location and its position, as being before then, the Capital of the Idrisses, and its having an effective Jewish community which was not isolated from the town citizen[16], also we must not disregard the Jews ability, generally in the Maghreb countries, in the medical science, in particular. This became one of their specialty, taking into consideration the preparation of potions, and medical herbs[17].

Things were not limited to the transfer to the confines of Maghreb, whereas the Oriental countries also were part of the transfers of Musa Ibn Maimun, and particularly Palestine, where he dwelled in Acre, and also moved to Jerusalem[18], where he lived for a short period not exceeding six months.[19] There is no doubt, that the bad situation of the Jews under the Crusader rule was one of the decisive factors that made Musa Ibn Maimun leave Palestine; we cannot omit also, that the Jews suffered from Crusaders' oppression in Orient where many were killed in the well-known slaughter of Jerusalem in the year 1099A.D. / 492 A.H. during the events of what is known as the first Crusade[20]; therefore it is not strange of those Jewish travelers who visited the Latin kingdom of Jerusalem in the 12th century A.D. / 6th century A.H. to deplore the slimness of their numbers there[21].

Those situations made Musa Ibn Maimun direct his way to the neighboring country of the Orient which was Fatimid Egypt, and this happened in 1163 A.D. / 559 A.H.

There were many motives that made him come to Egypt, one of which was its neighborhood to the Holy Land, and therefore on the way of pilgrimage, where it was one of the aims of Jewish pilgrims. Thereafter, there was the care of the Fatimid Caliphs to "Zimmeh" people of Jewish and Christians as their need for a balance of powers between Sunnites, Shiites and the Zimmeh, not to mention that the large Jewish community in Egypt was referred to, through the Jewish travelers of the Middle ages.[22].

It is noticed that the Kadi Al Fadel, who worked at Al Aded court, the last of the Fatimide Caliphes, has given his support to Musa Ibn Maimun and made him work in the court of that Caliph. And there is no doubt that this

Add to that, the existence of several controversial sides upon which the historians differed about, concerning this Jewish scientist, in which each party has its own sustainable views.

Anyway, Musa Ibn Maimun was born in Cordoba in Andalusia on the 30th of March 1135 A.D.[4] ca.. 531 A.H.; His father's work was Judge in the Synagogue courts[5], and he studied through him the aspects of the Jewish religion, also, he studied Arabic Sciences at the hands of Arab scientists.[6] Also he studied Medical science in Andalusia, and in general he enjoyed – according to some researchers - a large religious, philosophical and medical knowledge[7].

The Jews called him Hermime [8] and sometimes they named him Rambam, which is an abbreviation of the first voyels of Rabbi i.e. the professor or the rabbin and from Mosche or Musa and from Ben meaning the son of and from Maimoun.[9]

The family of Ibn Maimun remained in Cordoba until the "Mowahhedin" requested from Jews and Christians elements, to quit Andalusia[10]. This exodus happened during the Caliphate of Abdel Moe'men El Mowahhady.[11]

Some declare that this transfer has taken place in the specific date when the Caliph crossed from Tangier to Gibraltar in December 1160A.D. / Dhil Ke'da 555 A.H.[12], and despite this, the researcher cannot confirm the said date, because of the sources' silence and unveiling of the date of transfer of Ibn Maimun's Family from Andalusia to the confines of Maghreb.

The newly involved Jewish researchers' books, and others, are keen to show up the side of Moahhedin's persecution against the Jews in Andalusia at that time, for the purpose of deepening the complex of persecution, in general. Also to show the degree of suffering of the Jews at that time; and as a back up to their imagination of Anti-Semitism; and the reality is that the Mowahhedin procedures were exceptionally dictated by suspicions and politics, and reverted the fears of the Mowahhedin about the strengthening of Spanish opposition (Reconquesta) to the Islamic existence there; specially that the occupants backed up those raids driven by King Alfonso the seventh on Islamic Centers[13].

Therefore we can say that this matter did not reflect a general Islamic attitude whether it be in Andalusia or abroad, and most probably the desire to retaliate from the Mowahhedin in their defense of Andalusia, was part of this attitude[14]

-7-

Highlights on
The Medical Contribution of
Musa Ibn Maimun (1135- 1204 A.D. / 525- 602 A.H,)
During the Ayyubid Rule in Egypt. *

This paper deals with the medical contribution of the Jewish physician and philosopher Musa Ibn Maimun in Egypt during the Ayyubid Rule.

It also refers to the difficulty of research, its definition, and the healing role on both official and popular levels; it also deals with Ibn Maimun's medical authorship, with a study of some samples of his writings to enhance our view on those related contributions.

It is noticed that the researcher is facing several difficulties in studying this subject, some of which are related to the scarcity and rarity of the Egyptian historical material which is stated by the Moslem historians about Musa Ibn Maimun, whether before his arrival to Egypt , or after his residence and working there. Henceforth, the researcher backed the Geneza documents, in order to highlight sides of his life which the Arabic historical sources have omitted

We cannot omit that the interest of researchers has stressed, basically, upon his contribution as a Philosopher more than as a Physician Therefore the latter needs more emphasis in this study.

In addition, it has been found out that a lot of controversial subjects were a source to divergence among researchers. One of the historians stated: *"Musa Ibn Maimun still is, after eight hundred and fifty years of his birth, a mystical personality in different ways"*[1]. Another historian relates in that subject by saying: *"Ibn Maimun belongs to history and myth at the same time; he is a complicated personality, with a difficulty to analyze, for the shadows in his life, covers until this day the reality of*

his life and his works."[2].

We cannot deny that because of his Jewish status, the Jewish writers have overestimated his scientific value, and the Jewish media has –most probably- performed its role in this respect, and as a clear sample of this, his evaluation by one of the outstanding Jewish historians as being *"The Great Eagle of Jewish History."*[3]

• I would like to express my deepest gratitude and thanks to my colleague Dr. Mahassen Al Wakkad in the Faculty of Arts- Ain Shams University , who provided me with an amount of references and studies which helped me in preparing this research.

ملاحــــق

ملحق البيرة

قالمه باسماء المستوطنين الاوربيين فى مستوطنة البيرة الصليبية كما وردت فى الوثيقة رقم (١١٧) المؤرخه فى فبراير ١١٥٦ م من وثائق كنيسة الضريح المقدس وعددهم (١٤٢) رجلا

١. يوحنا جيتارد	Johannes guitardus
٢. اند ريا من سان جوتيرو	Andreas de Sancto Gauterio
٣. بطرس جوديوس	Petrus Judeus
٤. بطرس من ا لفرنيا	Petrus de alvernia
٥. رينالد من بارليت	Rainaldus de Barlet
٦. جوفرى كلارى	Gaufridus Claire
٧. همبرت من يوشفاط	Humbertus de Josophat
٨. ارنولف من يافا	Arnulfus Ggopensis
٩. ايميريك جوتاردى	Aimericus Guitardi
١٠. بطرس اورجيوس	Petrus Orgeius
١١. جيرالد روفوس	Giralds Rufus
١٢. روبرت فابر	Robertus Faber
١٣. مارتينوس النجار	Martinus Carpentarius
١٤. ا ربرت فابر	Arbertus Faber
١٥. بطرس البروفنسالي	Petrus provintialis
١٦. هيوجومن من سانتو هيليا	Hugo de Sancto Helya
١٧. هيلياس اللومباردى	Helyas Lumbardus

١٨. يوحنا القطالوني	Johannes Catalanus
١٩. بارثلوميو	Bartholomeus
٢٠. روبرت مالفيس	Robertus Malvais
٢١. يوحنا بيسوت	Johannes Pissot
٢٢. وليم من فابريكا	Willelmus de Fabbrica
٢٣. فرومنتيوس	Fromentius
٢٤. وليم من توسكيت	Willelmus de Tuschet
٢٥. انسلينوس اللومباردى	Anselinus Lombardus
٢٦. جيربرت البرجندى	Girbertus Burgundio
٢٧. اودو فرالسجينا	Odo Francigena
٢٨. بونتيوس بونارى	Pontius Bonari
٢٩. وليم الإكليركي	Willelmus Clericus
٣٠. جيرودوس لومبرتى	Giraudus Lomberti
٣١. مورينوس	Maurinus
٣٢. ستيفان من لينيدان	Stephanus de Linedan
٣٣. مايوس	Maius
٣٤. برنارد البرجندى	Bernardus Burgundio
٣٥. برونوبكتافنسي	Bruno Pictavensis
٣٦. وليم البروفنسالي	Willelmus Provintialis
٣٧. ايميريك البكتافنسي	Aimericus Pictavensis
٣٨. بطرس بونيل	Petrus Bonel
٣٩. جودفرى اللومباردى	Godefridus Lombardus
٤٠. رادولف سينوس كيمنتاريوس	Radulfus Senus Cementarius

٤١. يوحنا كورتيلياروس	Johannes Cortiliarius
٤٢. برنارد	Beranardus
٤٣. بونتيوس ميلى	Pontius Milii
٤٤. برنارد كورفيسر	Beranardus Corveser
٤٥. رينالد جايق	Rainaldus Gaite
٤٦. جيربرت	Girbertus
٤٧. روبرت بلانتا فيجنا	Robertus Plantavigna
٤٨. أرنولد تاردي	Arnaldus Tardi
٤٩. برنارد من يوشفاط	Bernardus de Josaphat
٥٠. بطرس من رماتا	Petrus de Ramatha
٥١. دوراند ماكون	Durandus Machon
٥٢. بطرس القطالوني	PetrusCatalanus
٥٣. جالاردوس ابن أنالدي	Gallardus Filius Analdi
٥٤. برنارد كورفيسر	Bernardus Corveser
٥٥. جالتير ماكون	Galter'us Macon
٥٦. كرستيان	Christianus
٥٧. كليمنت	Clementius
٥٨. دروكو	Droco
٥٩. راد ولف من نواحي بابيلونيا	Radulfusde Curia Babilonia
٦٠. وليم روفوس	Wilielmus Rufus
٦١. روبرت شقيق جيدونيس بطريركا	Robertus,Frater Guidonis Patriarcha
٦٢. برنارد شقيق رينالدي جايني	Bernardus,Frater Rainaldi Gaite
٦٣. برنارد شقيق بارثومي	Bernardus, Frater Borthomei

٦٤. بطرس النجار	Petrus Carpentarius
٦٥. بطرس من بلنيس	Petrus de Balneis
٦٦. ستيفان والد جيلبرت	Stephanus, Pater Gilberti
٦٧. ستيفان ابن جارسينسس	Stephanus, Filius Garsensis
٦٨. روبرت فرانكجينا	Robertus Francigena
٦٩. أوليفر أخ برتي بوني	Olivertus, Frater Perti Boni
٧٠. بونوس فاليت	BonusValet
٧١. دوراند	Dorandus
٧٢. بونتيوس البروفنسالي	Pontius Provintialis
٧٣. جودويت	Godoet
٧٤. جوفري مونوكلوس (الأعور)	Gaufridus Monoclus
٧٥. لورنت	Laurentius
٧٦. وليم بوكا كافا	Willelmus Bucca Cava
٧٧. إيمريك الكبير	Aimericus Magnus
٧٨. برونو	Bruno
٧٩. فالنتيوس	Valentius
٨٠. يوحنا البروفنسالي	Johannes Provintialis
٨١. ثيوبالد	Theobaldus
٨٢. وليم بوتلر	Willelmus Boteller
٨٣. ثيوبولد روفوس	Theobaldus Ruffus
٨٤. بطرس من الفرنيا	Petrus de Alvernia
٨٥. برنارد جينر برناردي جيريم	Bernardus, Gener Bernardi de Gerim
٨٦. وليم جاسكو	Willelmus Gasco

٨٧. ستيفان بتروسينسيس	Stephanus Bituricensis
٨٨. برنارد اللومباردي	Bernardus Lombardus
٨٩. برنارد من سانتو ألبينو	Bernardus de Saneto Albino
٩٠. جالتيري الصغير	Galterius Parvus
٩١. برنارد من مونت جودي	Bernardus de Monte Gaudii
٩٢. جوتر يوس دو منيكوس من مونت جودي	Gauterius Dominicus de MonteGaudii
٩٣. امبرتو فابر	Umbertus Faber
٩٤. روبرت النابلسي	Robertus de Neaploi
٩٥. ماجستر لوكاس فينيتيكوس	Magister LucasVeneticus
٩٦. سجنوريت	Segnorct
٩٧. البرت فرانكجينا	Albertus Francigena
٩٨. ريموند تورتوس	Raimundus Tortuus
٩٩. كليمنت ماكون	Clementus Machon
١٠٠. جيبرت ماكون	Gibertus Machon
١٠١. وليم من بيسوت	Willelmus de Pissot
١٠٢. وليم من تور	Willelmus Turonensis
١٠٣. مارتين جاسكو	Martinus Gasco
١٠٤. بطرس بيكتافينوس	Petrus Pictavinus
١٠٥. ستيفان ابن بطرس جودي	Stphanu, Filius Petri Judei
١٠٦. اندرياس من فالي كورسوس	Andreas de Valle Cursus
١٠٧. اينالدوس كافيلوم	Ainaldus Cavaillum
١٠٨. ريموند تسيرانت	Raimundus teissaerant

١٠٩. بونتيوس البورجوني	Pontius Borgoniensis
١١٠. بطرس بودينوس	Petrus Bodinus
١١١. ستيفان ابن اندريه من سان جالتيرو	Stephanus, Filius Andree de Sancto Galterio
١١٢. امبروز	Ambrosius
١١٣. جيرالد فورنر	Giraldus Forner
١١٤. أوتجيريوس من سان أجيدي	Otgerius de Casali Sancti Egidii
١١٥. الدبيرتوس	Aldebertus
١١٦. جوفري بوكر	Gaufridus Bocher
١١٧. جيرالد كورفيزر	Giraldus Corvesier
١١٨. أرنالد ذو اللحية	Arnaldus Cum Barba
١١٩. وليم من سانتا ماريا	Willelmus de Casali Sancte Marie
١٢٠. رامبنولف شقيق بطرس من يافا	Rampnulfus, Frater Petri Joppensis
١٢١. قسطنطين	Constantinus
١٢٢. إيميريك البكتافي	Aimericus Pictaviensis
١٢٣. بطرس ابن رينالد من بارليت	Petrus, Filius Rainaldi de Barlet
١٢٤. اردوينوس	Arduinus
١٢٥. وليم من سان ايجيديوس	Willelmus de Casali Sancti Egidii
١٢٦. امبرت بتروسينسيس	Umbertus Bituricensis
١٢٧. جوردان ابن بطرس أوريفابري	Jordanus, Filius Petri aurifabri
١٢٨. يوحنا من كافا	Johnnes de Cava
١٢٩. فنسنتيوس	Vincentius
١٣٠. ريمبولد	Raembaldus

١٣١. برنارد الخزفي	Bernardus Cum testa
١٣٢. رادولف	Radulfus
١٣٣. جيرارلد بن بليناس	Giratus de Belinas
١٣٤. بطرس ليموفيكوس	Petrus lemovicus
١٣٥. أرنولف	Arnulfus
١٣٦. قسطنطين بوكر	Constantine Bocher
١٣٧. لومبرت بورجونينسس	Lombertus Borgoniensis
١٣٨. جالتيريوس النجار	Galterius Carpentarius
١٣٩. رينولد من جبل البرت	Rainaldus de Monte Alberti
١٤٠. لامبرت بتروسينسيس	Lambertus bituricensis
١٤١. بولتيوس	Pontius
١٤٢. بطرس بتروسينسيس	Petrus Bituricensis

ويلاحظ أن هناك عدة ملاحظات على الأسماء المذكورة ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً : ظهر من القائمة السابقةعدد من الأشخاص عملوا بحرفة النجارة ، وهي التي كان لها أهميتها في مستوطنة البيرة الصليبية خاصة عند تشييد مساكن جديدة للمستوطنين، ومن اولئك النجارين نذكر مارتينوس(رقم ١٣) ، بطرس (رقم ٦٤) وكالتيريوس (رقم ١٣٨).

ثانياً : تكشف لنا القائمة السابقة عن وجود عدد من المستوطنين الأوربيين سكنوا مستوطنة البيرة ، ولم يقدموا إليها مباشرة من الغرب الأوربي ، بل من مناطق في الضفة الغربية لنهر الأردن مثل وادي يوشفاط ، وكذلك من نابلس كبري مدن الضفة ، ونجد ذلك واضحاً في صورة الأسماء التالية برنارد من يوشفاط Bernardus de Josaphat (رقم ٤٩)، وهمبرت من يوشفاط Humbertus de Jasaphat(رقم٧)، ورويرت النابلسي Ropertus de Neapoli(رقم ٩٤)، وذلك يكشف لنا عن أن مستوطنة البيرة الصليبية كانت منطقة جذب بالنسبة للصليبيين من أنحاء فلسطين ذاتها.

ثالثاً : ترددت أسماء لأشخاص من إقليم واحد من قطر واحد كما نجد ذلك في أقليم لومبارديا

بإيطاليا، ومن أمثلتهم ، هيلياس اللومباردي Helyas Lumbardus(رقم ١٧)، وأنسلينوس اللومباردي Anselinus Lombardus(رقم٢٥) ، وجودفري اللومباردي Godefridus Lombardus (رقم٣٩)، وبرنارد اللومباردي Bernardus Lombardus (رقم ٨٨)، ولم يكن ذلك قاصراً على الإيطاليين بل تعداه إلى الفرنسيين، ولجد مثالاً دالاً في إقليم برجنديا بفرنسا حيث قدم منه أثنان من المستوطنين وهما جيبرت البرجندي Girbertus Burgundro(رقم٢٦) ، وبرنارد البرجنديBernardus Burgundio (رقم٣٤) ومن المتصور أن ذلك كان من عوامل ترابط أولئك المستوطنين بحكم كونهم من أقليم واحد من قطر واحد ومن أقطار الغرب الاوربي.

رابعاً : هناك عائلات وردت في الوثيقة ، ومن أمثلتها أسماء دوراند ماكون Durandus Machon (رقم ٥١)، وكليمنت ما كون Clementus Machon (رقم ٩٩) وجيبرت ماكون Gibertus Machon (رقم ١٠٠) ووليم جاسكو Willelmui (رقم ٨٦) ومارين جاسكو Matinus Gasco (١٠٣) وليس في الإمكان تصور إلى أي جيل ينتمون وهل ولدوا في الغرب الاوربي أم على أرض البيرة ، ومع ذلك من المفترض أن المرحلة الزمنية التي عاشتها تلك المستوطنين فيما بين ١١١٥- ١١٨٧م/ ٥-٥٨٣هـ كانت تعني وجود نحو جيلين ولدا على أرضها من أبناء المستعمرين الأوربيين الأوائل.

وتكشف لنا زاوية العائلية في تلك المستوطنة عن أن الأفراد الذين أنتسبوا إلى عائلات يعدوا قليلين إذا ماقورنوا بأولئك الذين لم ينتسبوا وبعبارة أخرى فإن أعداد الرجال العزاب فاقت إعداد المتزوجين والذين لهم أبناء ، بصورة دلت على أن تلك المستوطنة الصليبية احتوت الشكلين من السكان.

خامساً : إن رؤية متأنية للأسماء السابقة نلاحظ فيها أن بعضها يتم تحديده بالإنتساب إلى منطقة جغرافية ، بينما هناك من يرد إسمه دون ذلك ، ومن المفترض أن الأخيرين كانوا أقدم وصولاً إلى مستوطنة البيرة وبالتالي لم يكن هناك مايدعو إلى ذكر موطنهم الأصلي، أما الذين كانوا أحدث عهداً بالسكن فيها فقد تطلب ذكر المواقع الجغرافية التي قدموا منها ، وهكذا فمن المرجح – من خلال دلالات الأسماء – أن ماورد في الوثيقة المذكورة عكس العناصر الأقدم والأحدث في القدوم على تلك المستوطنة الصليبية مع ملاحظة تاريخ الوثيقة وهو عام ١١٥٦م/٥٥١هـ جاء بعد ثلاث أعوام فقط من سقوط عسقلان في قبضة الصليبين عـام ١١٥٣م/٥٤٩هـ والتي من المفترض أن أعداد المستوطنين بها تزايد بعد أن أمّن الصليبيون حدود المملكة الصليبية بإسقاط تلك المدينة ، وهذا هو التعليل الأرجح في كثرة الاسماء المنتسبة إلى مواقع جغرافية وفق ذلك الإفتراض.

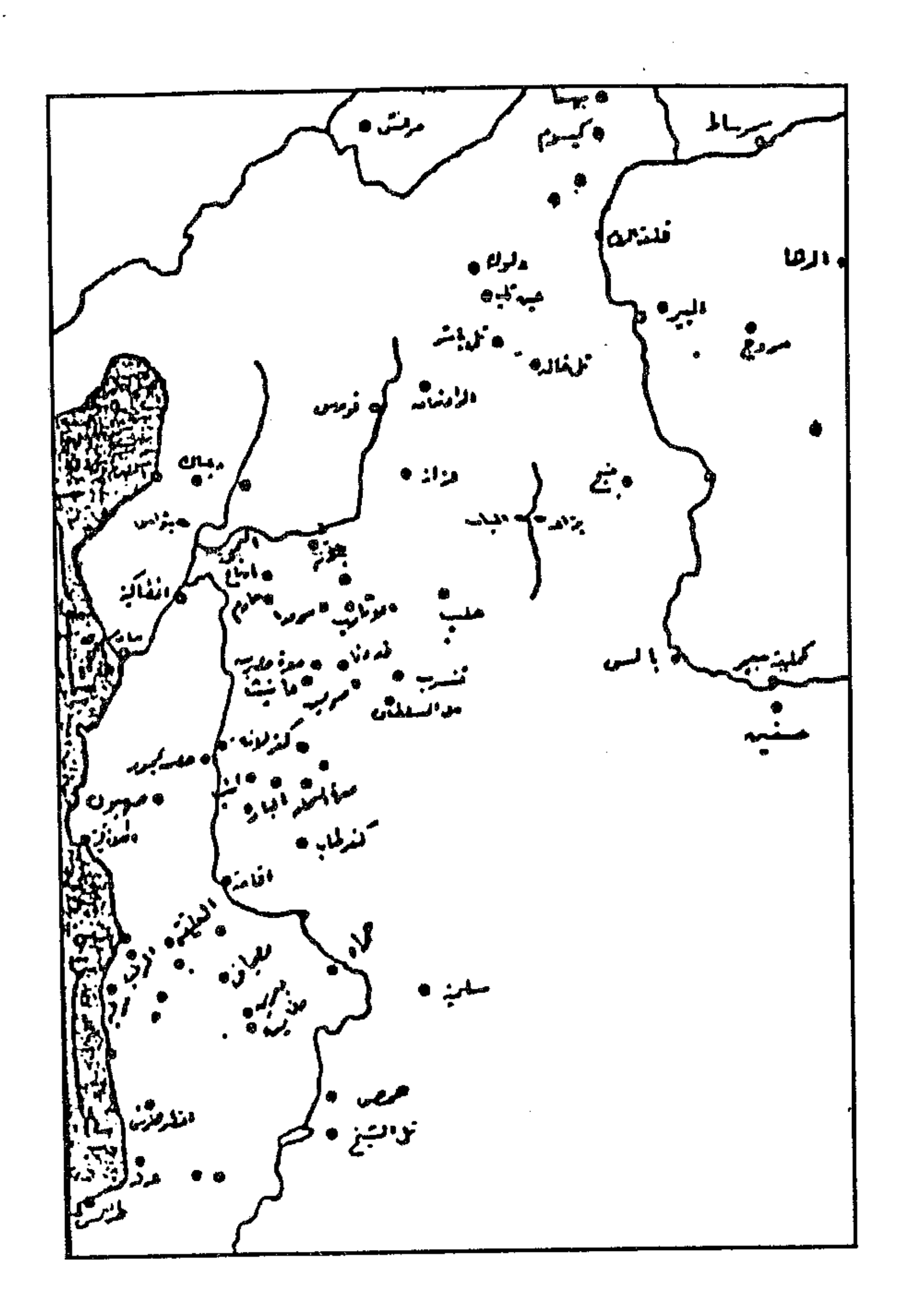
سادساً : وردت في الوثيقة أسماء (٣) أشخاص حملوا أسم إيمريك ، وهم أيميريك جوناردي Aimericui Guitardi (رقم ٩)، وإيميريك بكتافينسيس Aimericus Pictarensis (رقم ٣٧)، وإيميريك الكبير Aimericus Magnus (رقم ٧٧).

ومن المفترض أن الشخص الأخير كان أكبرهم سناً أو أعظمهم مكانة في المستعمرة المذكورة ومن ثم ورد اسمه على أنه الكبير Magnus وتمييزاً له عن سميه.

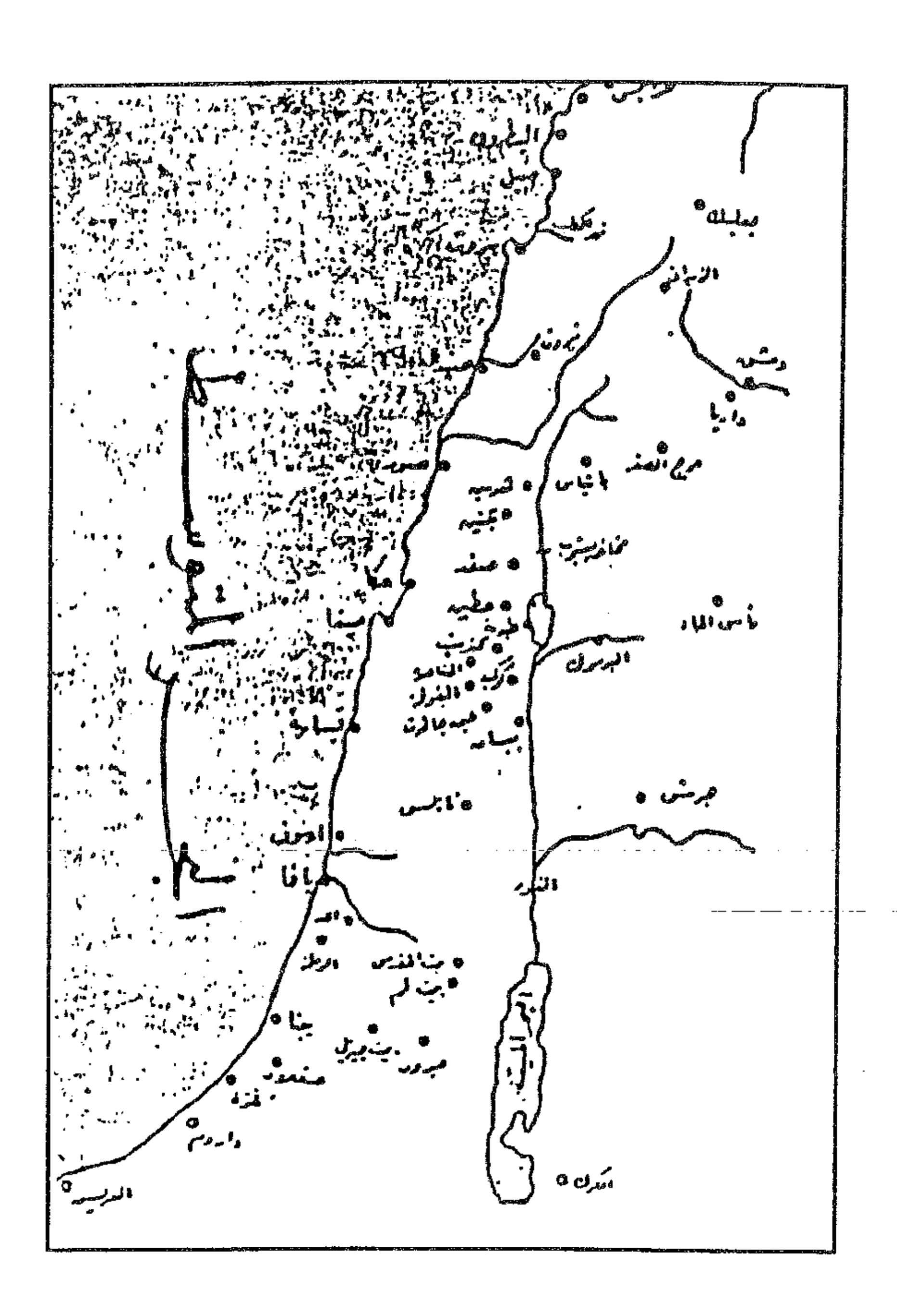
سابعاً : تسمى سكان مستوطنة البيرة الصليبية أحياناً بأسماء قديسين شهيرين كما في حالة القديس بطرس St. Petrus صخرة المسيح التي بنى عليها كنيسة كما يعتقد المسيحيون والقديس يوحنا` St.John وهو يوحنا المعمدان الذي بشر بقدم السيد المسيح ، وذلك الوضع يعكس لنا تنامي الظاهرة الدينية في ذلك العصر، على نحو جعل المعاصرين يسمون أبناءهم بأسماء قديسين.

ثامناً: ورد في الوثيقة اسم جوفري مونوكلوس (رقم ٧٤) وهو يعني جوفري الأعور وذلك يدل على أنه من سكان تلك المستوطنة الصليبية من كان معاقاً كما في حالة هذا المستوطن، ومن المحتمل بطبيعة الحال وجود أشخاص آخرين على نفس شاكلته.

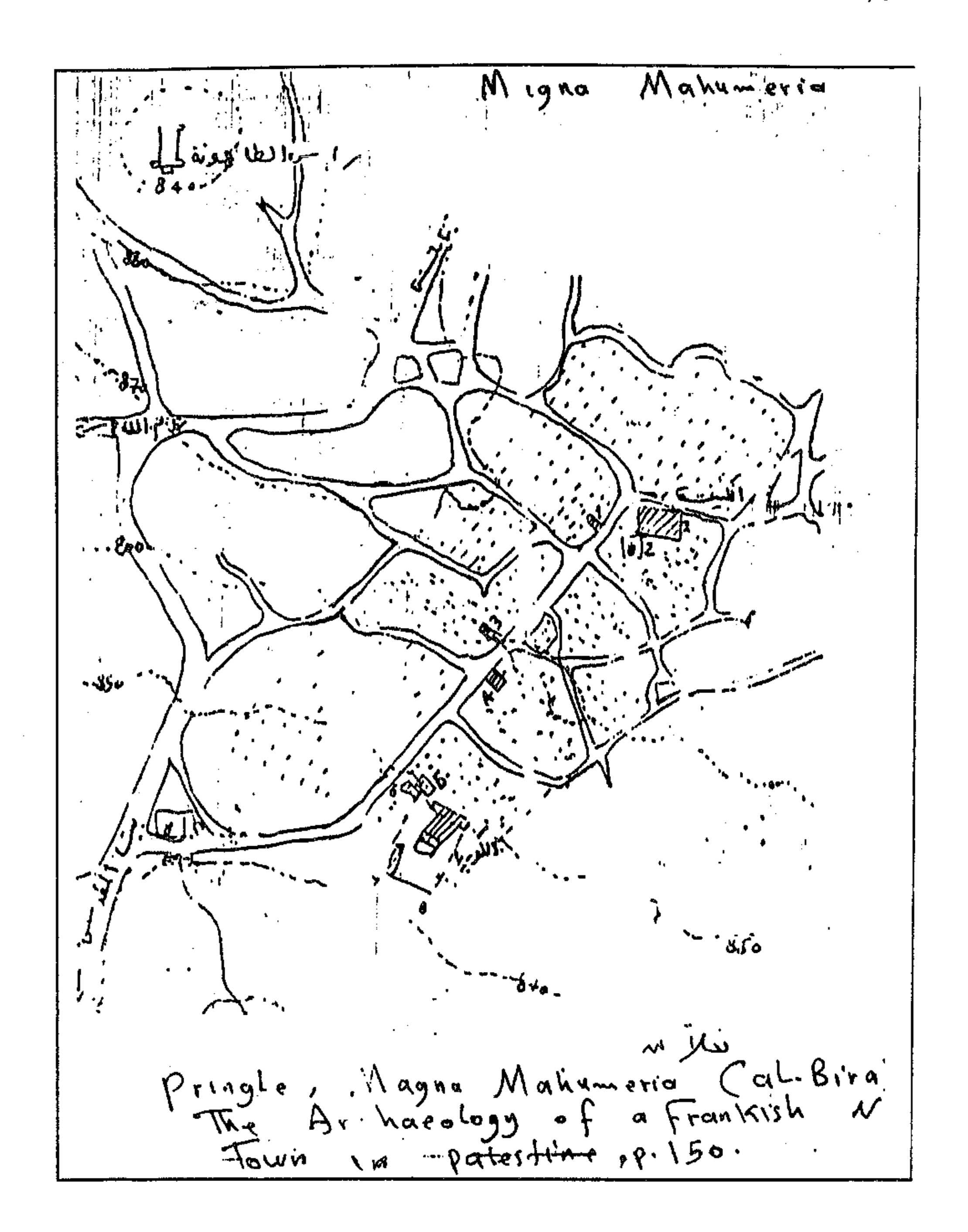
تاسعاً: خلت الوثيقة من أدنى إشارة إلى العنصر النسائي ، وهو أمر منطقي ومتوقع فالمؤرخون رجال، والعصر الذي إتسم بالطابع الحربي أبرز قيمة الرجل، وتوارت المرأة بعيداً ، وليس معنى ذلك عدم وجود دور لها بل المنطق يدعو إلى تصور عكس ذلك تماماً ، وقد وردت إشارة إلى العنصر الثاني من خلال هجوم المسلمين على المستوطنة المذكورة ولجوء الشيوخ، والنساء، والأطفال إلى البرج للإحتماء به، ولا ريب أن صمت المصادر التاريخية الصليبية عن تلك الزاوية؛ لا يتيح للباحث تسليط الضوء عليها والوثيقة التي بين أيدينا خير شاهد.



شمال الشام نقلاً عن العرينى ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية



فلسطين نقلاً العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية



خريطة مستوطنة البيرة الصليبية

الخاتمة

نتج عن الفصول السابقة عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً : شهدت المرحلة الباكرة عن تاريخ الصليبيات وعلى الأرض الأوربية وتحديداً فى حوض الراين بألمانيا مذابح صليبية لليهود هناك، وما كان ذلك إلا من خلال تعصب ودموية المشروع الصليبى ذاته ، وكذلك سلوكيات اليهود أنفسهم لاسيما فيما يتصل باتجاههم إلى الربا وكذلك التقوقع فى احياتهم الخاصة بهم التى عرفت بالجيتو. وهكذا كشفت الحركة الصليبية عن طابعها الدموى على الأرض الأوربية وهو أمر سيتواصل فى غربى اسيا وشمال شرقى أفريقيا من خلال امتداد الغزو الصليبى إلى بلاد الشام ثم مصر.

ثانيًا : أثبتت الدراسة أن الصراع الصليبى الإسلامى ارتبط بالمياه والأرض وقد سبقت لى البحث العنصر الأول فى دراسة سابقة ، أما الأرض شهدت إقامة العديد من المستوطنات الصليبية مثل البيرة وكفر مالك وأخزيف وغيرها ، وذلك على حساب سكان البلاد الأصليين من عرب فلسطين ، ولاريب فى أن حركة الاستيطان الصليبى تكشف لنا عن الطابع الاستعمارى (أى الاستخرابى) للحركة الصليبية ذاتها.

ولعل أهم ما تعرض له بحث مستوطنة البيرة الصليبية اثباته أن حركة الاستيطان الاسرائيلى غير المشروعة لاسيما فى الضفة الغربية لنهر الأردن وكذلك اطماع اسرائيل فى اقامة القدس الكبرى واحاطتها من كل جانب بالمستعمرات ما هى إلا تكرار حقيقى لما قام به الصليبيون من قبل ، وأود أن ألفت نظر القارئ إلى أن المؤرخ الاسرائيلى الكبير يوشع براور Joshua Prawer عمل مستشاراً للحكومة الاسرائيلية وافادها من خلال خبرته التاريخية العريضة فى تلك القضية على نحو خاص .

ثالثًا : كشفت الدراسة عن أن الأسماك مثلت عنصراً مهما فيما يتصل بالغذاء وكذلك التجارة فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ولذلك حرص البحث المذكور على تسليط الضوء عليها سواء من خلال المصادر العذبة وكذلك المالحة ، ثم اتجه إلى دراسة الوضع الاجتماعى لصيادى الأسماك الذى كان مترديًا فى نظر قطاعات المجتمع الأعلى مكانة.

رابعًا : القى البحث الخاص بدراسات التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية الضوء على نماذج المؤلفات فى المجال المذكور من خلال الطفرة التى حدثت خلال الربع قرن الأخير، وعلى الرغم من قلة مثل تلك الدراسات ، إلا أن تسليط الضوء من خلال دراسة بيبلوغرافية نقدية من شأنها إنارة الطريق للباحثين فى تلك الناحية ولقد كشف البحث المذكور عن المركزية

الأوربية واستعلائية بعض الباحثين الغربيين تجاه قضايا تاريخية متصلة بالاستعمار الأوربى في العصور الوسطى. من ناحية أخرى، أوضح البحث ضرورة إقامة مركز بحثي متخصص من أجل دراسة تاريخ الحروب الصليبية إذ بدونه تكون كمن يحرث في البحر .

خامسًا : أما البحث الخاص بالجراد : فقد أثبت أن بلاد الشام نكبت بالعديد من الكوارث الطبيعية فى ذلك العصر ، إذ حلت بها الهزات الزلزالية ، وكذلك احتباس الأمطار ثم الجراد واغاراته، وقد حرص البحث على تناول تأثير تلك الاغارات على الصليبيين ومواجهتهم لتلك الكارثة من خلال مجمع نابلس يناير ١١٢٠م ومناقشة كافة عناصر الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التى حلت بهم حينذاك.

لقد هدف البحث إلى اثبات أن تاريخ الحروب الصليبية لايقتصر على تاريخ البشر المتصارعين المختلفين دينيا وسياسيًا ، بل أن هناك كائنات أخرى، شاركت بدورها دون أن يسلط الباحثون عليها الضوء إلا ما ندر مثل عالم الحشرات، وعن أهمها النحل ودود القز والجراد ، ويعتزم كاتب هذه السطور تخصيص دراسة عن النحل ودود القز لما لهما من أهمية خاصة.

سادسًا : اتجه البحث الخاص بالطبيب والفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون إلى تسليط الضوء على التعريف بمؤلفاته الطبية والمكانة السامية التى بلغها فى العصر الأيوبى حتى صار أحد الأطباء الشخصيين للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، ولاريب فى أن البحث أثبت أن العصر الذهبى لليهود فى العصور الوسطى كان فى ديار الإسلام وتلك حقيقة اعرف بها بعض المنصفين من المستشرقين اليهود أنفسهم ، والتعليل المنطقى وراء ذلك أن تسامح الإسلام كدين سماوى قادر على الحوار مع الأديان الأخرى اعطى لذلك الطبيب والفيلسوف اليهود الفرصة السانحة من أجل الوصول إلى أعلى مكانة وبالتالى لم يكن للدين أو الجنس أو العرق أن يعيق مثل ذلك العالم اليهودى وغيره من تحقيق طموحاتهم .

وبعد ذلك عرض لأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والمعربة

- ابن أبى أصيبعة : (أحمد بن القاسم الخزرجى ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا ، ط. بيروت ١٩٦٥ .
- ابن الأثير : (عز الدين محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل تحقيق عبد القادر طليمات ط. القاهرة ١٩٦٣م ؛ الكامل فى التاريخ ط. بيروت ١٩٧٩م، ط. القاهرة ب-ت.
- ابن الأخوة : (محمد بن أحمد ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م) معالم القربة فى أحكام الحسبة تحقيق محمد محمود شعبان وصديق ، ط. القاهرة ١٩٧٦م.
- ابن البيطار : (أبو محمد عبدالله ت ٦٤٦ه / ١٢٤٨م) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج٣، ط. القاهرة ١٢٩١هـ .
- ابن ايبك الدواداري (أبو بكر بن عبدالله ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٦١م
- ابن بطوطة : (أبو عبدالله محمد ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) الرحلة ط. بيروت ب-ت .
- ابن جبير : (محمد أحمد الكتانى ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) الرحلة ط. بيروت ١٩٨٤م.
- ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبد الله ت ق ٤هـ / ١٠م) المسالك والممالك تحقيق دى جويه ط. ليدن ١٨٨٩م.
- ابن خلكان : (شمس الدين ت ق ٧ هـ / ١٣م) وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ط. القاهرة ١٩٤٨م.
- ابن سعيد المغربى : (على بن موسى ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٥م) كتاب الجغرافيا تحقيق اسماعيل العربى ط. بيروت ١٩٧٠م.
- ابن سينا (الشيخ الرئيس) القانون فى الطب ، الكاب الثانى الأدوية المفردة ، تحقيق عليه حنفى، رسالة ماجستير ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧١م.
- ابن شاهنشاه الأيوبى : (محمد بن تقى الدين ت ٦١٧هـ / ١٢٢٢م) مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشى ط. القاهرة ١٩٦٨م.

- ابن الشحنة : (أبو الفضائل محمد ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق الياس سركيس ط. بيروت ١٩٠٩م.
- ابن شاهين : (غرس الدين ت هـ / م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك تحقيق بول راڤيس ط. باريس ١٨٩٤م .
- ابن شداد : (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٢٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.
- ابن شداد : (عز الدين ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ج٢، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بدمشق ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- ابن عبدون : (أحمد بن عبدالله ت ق ٦هـ / ١٢م) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة تحقيق ليڤي بروڤنسال المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ط. القاهرة ١٩٥٥م.
- ابن عبد الرءوف (أحمد بن عبدالله بن عبد الرءوف) ق ٦هـ / ١٢م) في أدب الحسبة والمحتسب تحقيق ليڤي بروڤنسال المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط. القاهرة ١٩٥٥م.
- ابن العبري : (غريغوريدس الملطي ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٦م) تاريخ مختصر الدول ط. بيروت ١٩٩٢م ، ط. بيروت ب-ت .
- ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق سامي الدهان، ط. بيروت ب-ت ، ج٢ تحقيق سامي الدهان المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ط. دمشق ١٩٥٤م. ، ج٣ تحقيق سامي الدهان المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ط. دمشق ١٩٦٩م. ؛ الوصلة إلى الحبيب في ذكر الطيبات والطيب، تحقيق سلمى محجوب ودرية الخطيب، معهد التراث العلمي العربي، مادة حلب .ط. حلب ١٩٨٨م.
- ابن عبد الظاهر : (محيي الدين ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل، ط. القاهرة ١٩٦١م. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ط. الرياض ١٩٧٦م.

- ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م) تاريخ مدينة دمشق ، م (٢)، ج١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٤م.

- ابن الفرات : (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) تاريخ الدوول والملوك م ٤ / ج١ تحقيق حسن الشجاع ط. بغداد ١٩٦٩م.

- ابن قاضى شهبة : الكواكب الدرية فى السيرة النورية تحقيق محمود زايد ط. بيروت ١٩٧١م.

- ابن القلانسى : (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، تحقيق سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٣م.

- ابن القيم الجوزية : (شمي الدين أبو عبدالله ت ٧٥١هـ / ١٣٥٦م) معجم التداوى بالأعشاب ط. بيروت ب-ت .

- ابن منظور : (محمد بن مكرم بن على ت ٧١١هـ / ١٣١٢م) لسان العرب المحيط ط. نشر يوسف خياط ج٢، ط. بيروت ب-ت .

- ابن ميسر : تاريخ مصر. تحقيق هنرى ماسيه ، المعهد الفرنسى للآثار بالاقهرة ، ط. القاهرة ١٩١٩م .

- ابن النديم : الفهرست ط. بيروت ب-ت .

- ابن نظيف الحموى: (أبو الفضائل محمد بن علي ق ٧ هـ / ١٣م) التاريخ المنصورى تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ط. دمشق ١٩٨٢م.

- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩١هـ / ١٢٩١م) مفرج الكروب فى أخبار بني أيوب ، ج٤ ، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور ط. بيروت ب-ت.

- ابن الوردى : (زين الدين عمر ت ٧٤٩هـ / ١٣٥٠م) تاريخ ابن الوردى ط. النجف ١٩٦٩م .

- أبو الفداء : (اسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ، ط. باريس ١٨٤٠م.

- الإدريسى : (الشريف الإدريسى ت ٥٦٠هـ . ١١٦٥م) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ط. بيروت ١٩٨٩م.

- أسامه بن منقذ : (مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤هـ / ١١٨٥م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ط. بيروت ١٩٨١م أم ١٩٨٩م.
- أوليا جلبى : سياحتنامه ، ت كامل العسلى ضمن كتاب بيت المقدس فى كتب الرحلات عند العرب والمسلمين ط. عمان ١٩٩٢م.
- بطرس توديبود : (ث١٢ م / ٦هـ) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ت . حسين محمد عطية ط. الاسكندرية ١٩٩٨م.
- بنيامين التطيلى : (التطيلى النبارى ت ١١٧٣م / ٥٦٩هـ) الرحلة ت. عزرا حداد ط. بغداد ١٩٤٩م.
- بوركهارد أوف مونت سيون : (ق ١٣م / ٧هـ) وصف الأرض المقدسة ت . سعيد البيشاوى ط. عمان ١٩٩٥م.
- الجاحظ : (عمر بن بحر ت ٣هـ / ٩م) الحيوان ج١ ، ج٤ تحقيق عبد السلام هارون ط. القاهرة ١٣٥٧-١٣٥٩هـ .
- جاك دى فترى : (ق١٣م / ٧هـ) تاريخ بيت المقدس ت. سعيد البيشاوى ط. عمان ١٩٩٨م.
- الحميرى : (زبو عبد الله محمد ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م) الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس ط. بيروت ١٩٨٠م.
- دانيال الروسى (ق ١٢م / ٦هـ) رحلة الحاج الروس دانيال فى الديار المقدسة ت. سعيد البيشاوى ، ط. عمان ١٩٩٢م.
- الدمشقى : (أبو الفضل جعفر بن على ق ٦هـ / ١٢م) الإشارة إلى محاسن التجارة تحقيق البشرى الشوربجى ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- الدميرى : (أبو البقاء جمال الدين ت ٨٠٨هـ / ١٤١٣م) . حياة الحيوان الكبرى ط. بيروت ب-ت.
- رايموند اجيل : (تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ت. حسين عطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ط. القاهرة ١٣٥٥هـ.
- السيوطى (جلال الدين ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ط. بيروت ١٩٨٧م.

- شيخ الربوة الدمشقى : (أبو طالب الأنصارى ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ط. بطرسبرج ١٨٣٥م، ط. ليبزج ١٩٢٣م.

- الشيزرى : (عبد الرحمن بن نصر ت ٥٧٩هـ / ١١٩٣م) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة تحقيق السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٤٦م.

- عبد اللطيف البغدادى (موفق الدين ت ٦٢٩هـ / ١٢١٣م) الإفادة والاعتبار فى الأمور الشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر تحقيق أحمد غسان سبانو ط. دمشق ١٩٨٣م .

- العثمانى : (القاضى شمس الدين العثمانى ق٨ هـ / ١٤م) تاريخ صفد تحقيق برنارد لويس تحت عنوان An Arabic account of the Province of Safed" B. S. O.A.S., vol . Xv London 1953 .

- العظيمى : (محمد بن على ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م) تاريخه ، تحقيق على سويم الجميعة التاريخية التركية ، ط. أنقرة ١٩٧٦م.

- العماد الأصفهانى : (القاضى محمد بن محمد ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) الفتح القسى فى الفتح القدسى تحقيق محمد صبيح ط. القاهرة ١٩٦٥م. ط. القاهرة ب-ت. تاريخ دولة آل سلجوق ط. بيروت ب-ت .

- العماد الأصفهانى (محمد بن محمد ت بعد ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية م (٧) ، (٨) عام ١٩٣٧ - ١٩٣٨م .
B.E.O., t.VII-VIII, Année, 1937-1938 .

- القفطى : إخبار الحكماء بأخبار العلماء، ط . القاهرة ب-ت .

- القلقشندى : (أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء. ط. القاهرة ١٩١٣، ١٩١٨م .

- الكتاب المقدس : ط. القاهرة ب-ت.

- مجهول : تاريخ سلاطين المماليك تحقيق زترشتين ط. ليدن ١٩١٩م.

- موسى بن ميمون: (ت ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ) المقالة الفاضلية ت. عائشة زيدان حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٩٦-١٩٩٧م، دلالة الحائرين ، تحقيق ايتاى، ط. القاهرة ب-ت.

- ناصر خسرو : (ناصر خسرو بن حارث القباديانى ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) سفر نامة ، ت. يحيى الخشاب ط. القاهرة ١٩٤٥م.

- الهروى : (أبو الحسن على ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م) الاشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق سورديل، ضمن كتاب كامل العسلى ، بيت المقدس فى كتب الرحلات عن العرب والمسلمين ط. عمان ١٩٩٢م.

- الوهرانى : (ركن الدين محمد ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م) منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله ، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- ياقوت الحموى: (شهاب الدين أبى عبدالله ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط. ليبزج ١٨٨٩م ، بيروت ١٩٨٦م المشترك وضعًا والمفترق صعقًا ، تحقيق ستيفيل ط. بيروت ١٩٨٦م.

- يوحنا أوف ورزبرج : (ق ١٢ م / ٦هـ) وصف الأراضى المقدسة فى فلسطين ، ت سعيد البيشاوى ط. عمان ١٩٩٧م.

ثانيًا : المصادر اللاتينية :

- Albert d;Aix in peters, The First Crusade The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadelphia 1971 .

- Ambroise, the Crusade of Richard Heart of Lion , Trans . by Hubert, New York 1943 .

- Anna Comnena , The Alexiad Trans. by E.R . A. Sewter,London 1969 , and in Peters The First Crusade, Chronicles of Fulcher of Chatres and other Source materials, Philadelphia 1971 .

- Anonymous Syriac Chonicle, The First and Second Crusade, Trans. by Tritton , J.R.A.S, 1933 .

- Anonymous , The deeds, of the Frauks and other pilgrims, Trans. by R. Hill, New York 1962 .

- Amonymous Chronicle of the Third Crusade A Translation of The Tinerarium Pergrinorum et Gesta Regis Ricard, Trans . by Helen J. Nicholson, London , 1997 .

- Baldric of Dol , in Louise and Jonathan Riley - Smith, The Crusades Idea and Reality 1095-1274 , London 1981 .

- Benjamin of Tudela , in Wright, Early Travels in Palestine , London, 1848.
- Burchard of Mount Sion, A Description of the Holy land Trans . by Aubry Stewart , P.P.T.S., vol . XII, London 1896 .
- Daniel, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Trans.by wilsa , P.P.T.S , vol VI , London , 1889 .
- Ekkharrd of Aura, in Peters , The First Crusade Chroniclet, of Fucher , of Chartres and other source Materials , Philadephia 1971 .
- Felix Fabri , The woderings of Feliz Fabri trans . by Aubrey Stewart , P.P.T.S., vol. VII, part II , London 1883 .
- Fetellus , Description of the Holy trans . by J.R. Macpherson P.P.T.S., vol . V , london 1897 .
- Fulcher of Chartres , A History of the Expedition to Jerusalem, trans . by . Rita Rian , Tennesse 1971 , and in Peter , the First Crusade Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source Materials Philadlphia 1971 .
- Geoffrey of Vinsauf , Crusade of Richard Coeur de Lion, in Chronicles, of the Crusades London 1908 .
- Guilbert of Nogent , in Louise and Jonatha- Riley - smith , the Crusades Idea Reality 1095 - 1274 , London 1981 .
- Jacob Ha Cohen Itinerary of Rabbi ben Nathaniel Ha Cohen , in Adler, Jewish Travellers, New York 1987 .
- Jacques de Vitry , History of Jerusalem trans . by Aubrey Stewart , P.P.T.S., vol . XI , London 1890 .
- John of Wurzburg, Description of the Holy Land , Trans . by Aubrey Stewart , P.P.T.S., vol V, London 1896 .

Le Cartulaire du Chapitre de Saint Sepulchre de Jerusalem, ed. par Gen-vieve , Paris 1984 .

- Ludolph von Sachem, Description of the Holy Land, trans . by Aubrey Stewart , P.P.T.S., London 1895 .

- Nicetas Choniates , O'city of Byzantium, Annales of Nicetas Choniates , Trans . by Harry Magolias wayne State University , Detriot 1984 .
- Petachia of Ratisbon, Tour du Monde ou Voyage de Rabbi Petachia , J.A., T. VIII, Paris 1881 .
- Raymond d'Aguiliers , in Peters , The First Crusade the Chronicles of Fulcher of Chartres and Other Source materials, Philadelphia'a 1971 , Hisoria Francorum qui ceperut Iherusalem , Trans . by John Hugh Hill and Laurite L.Hill , the Amercian Philosophical Society, 1968 .
- Ralph Glaber , in Lyon (B.) the High Middle Ages 1000-1300 , U.S.A., 1964 .
- Robert the Monk, in Peters, the First Crusade , the Chronlicle of Fulcher of Chartres and other soure Materials , Philadelphia 1971 .
- Samuel Ben Samson, Itinerary of Rabbi Samuel Ben Samson, in Adler Jewish Travellers, New York 1987 .
- Sefer Zekhirah or The Book of Remembrance of Rabbi Ephraim of Bonn, in Eidelberg , the Jews and the Crusaders, the Hebrew Chronicles of the First and Second Cresades, Wisconson 1977 .
- The Chronicle of Solomon bar Simson, trans . and ed. by Eidelberg (S.) , Jews and the Crusaders, Wisconson 1977 .
- Theoderich , Description of the Holy Places Trans. by Aubrey Stewart , P.P.T.S., vol ., London 1896 .
- The Narrative of the old Persecution , trans . and ed. by Eidelberg (S.) , Jews and the Crusaders, Wisconson 1977 .
- The Old French Continuation of William of Tyre 1194 -1197 , in the Conquest of Jerusalem and Translation, ed. by P.W. Edbury Hamp.shire 1990 .
- The Saga of Sigurd thee Crusader (1107-1110), in Wright, Early Travels in Palestline London 1848 .
- William of Tyre, History of the deeds done beyand the Sea, Trans. by Babcock and Krey , New York 1943 .

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة

- آمال هاشم اللقانى (د.) المرقب وقلعتها ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى فى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م / ٤٨٧-٦٩٠هـ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٧م.
- آماندیز ، ابن رشد وابن ميمون فى الأندلس ، مجلة رسالة اليونسكو عدد (٣٠٤) سبتمبر عام ١٩٨٦م.
- إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية ط. عمان ١٩٦٧م.
- ابراهيم خميس (د.) دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م.
- ابن شريفه «حول التسامح الدينى» ، ضمن كتاب حلقة وصل أبو حامد الغزالى وموسى بن ميمون ، ط. طنجه ١٩٨٥ م.
- أبو الفرج العش : آثارنا فى الاقليم السورى ط. القاهرة ١٩٦٠م.
- أحمد حماد الحسينى (د.) هجرة الحيوان ، ط. القاهرة ,١٩٥٨
- أحمد رمضان (د.) شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ط. القاهرة ١٩٧٧م. المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٧٧م. حول رسائل الصراع المسلح الإسلامى الصليبى فى العصور الوسطى، المستقبل العربى العدد (١٠٢) اغسطس ١٩٨٧م.
- أحمد بشير (د.) اليهود فى المغرب العربى ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- أحمد شلبى (د.) اليهودية ، ط. القاهرة ١٩٨٤م.
- أحمد عبد الجواد الرومى : صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله ط. بيروت ب-ت.
- إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته . ط. القاهرة ١٩٣٦م.
- اسيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية ت. حسن بيومى ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- الياهواشتور ، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ت. عبد الهادى عبلة ط. دمشق ١٩٨٥م.
- اميل لودفيج : نهر النيل ت. عادل زعيتر، ط. القاهرة ب-ت.
- أنتونى بردج : تاريخ الحروب الصليبية ت. غسان سبانو ونبيل الجيرودى ط. دمشق ١٩٨٥م.

- أنور عبد العليم ((د.) ثروتنا المائية ط. القاهرة ١٩٦٥م.
- أنيس فريحة (د.) أسماء المدن والقرى اللبنانية ط. بيروت ١٩٥٦م.
- باوندز وكنجزيرى : أطلس أوربا ،ت. محمد فاتح عقيل ط. الاسكندرية ١٩٧٦م .
- تسيبون : «البيرة»، دائرة المعارف الإسلامية، ت. الشنتاوى وأخرين ، ج٤ ط. القاهرة ب-ت.
- جاك ، يسلر ، الحضارة العربية ، ت . أبوخليل ط. بيروت ١٩٩٣م.
- جمال حمدان (د.) اليهود ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- جمال محمد الزنكى (د.) : مؤيد الدين ياغى سيان ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.صاحب انطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٤٧-٤٩١هـ / ١٠٨٥-١٠٩٨م. حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت: الحولية (١٨) ، الرسالة (١٢٦) .
- جمعة الجندى (د.) ط. الكوتي ١٩٩٨م حياة الصليبيين ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس الصليبية رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس ١٩٨٥م.
- جنفياف شوفيل : صلاح الدين بطل الإسلام ت. جورج أبى صالح ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- جوان كوماى : دليل إسرائيل ت. وزارة الإعلام، هيئة الاستعلامات سلسلة كتب مترجمة. ط. القاهرة ب-ت .
- جوده حسنين جوده (د.) جغرافية أوربا الإقليمية ط. الاسكندرية ١٩٧٧م. جغرافية البحار والمحيطات ط. الاسكندرية ١٩٥٤م.
- جورج قنواتى (د.) تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط، ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- جوزيف نسيم يوسف (د.) «الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية م (١٦) ، ٣٧ ، ١٩٦٣م.؛ معركة حطين خلفياتها ودلالاتها عالم الفكر ، م (٢٠) ، الكويت ١٩٨٩م.

- جى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ت. كوركيس وبشير فرنسيس ط. بيروت ١٩٨٥م.

- حاتم الطحاوى : بيزنطة والمدن الإيطالية ، العلاقات التجارية (١٠٨-١٢٠٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- حسن عبد الرحمن خطاب : الآفات الزراعية ووقاية النبات فى مصر القديمة، وزارة الزراعة ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

- جوناثان رايلى سميث : الاسبتارية فرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠، ت . صبحى الجابى ط. دمشق ١٩٨٤م.

- حسن أبو العينين (د.) جغرافية البحار والمحيطات الأوقيانوغرافية ط. الاسكندرية ١٩٨٢م.

- حسن حبشى (د.) الحرب الصليبية الأولى ط . القاهرة ١٩٥٨م.

- حسن ظاظا (د.) الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

- حسن عبد القادر : أسماء المواقع الجغرافية فى الأردن وفلسطين ط. عمان ١٩٧٣م.

- حسن عبد الوهاب (د.) المحاولات التبشيرية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط. الاسكندرية ب-ت . مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية ط. الاسكندرية ١٩٩٧م. الجريمة والعقوبة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٧م) ٤٨٨-٥٨٣هـ) ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحضارة الأوربية فى العصور الوسطى (المجتمع الصليبى فى بلاد الشام) ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م.

- حسين مؤنس (د.) نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، الربا وخراب الدنيا ، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

- حسنين ربيع (د.) دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٣م.

حسين محمد عطية (د.) دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م. مجلس نابلس ٢٣ يناير ١١٢٠ وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية ضمن كتاب حولية التاريخ الإسلامى والوسيط ط. القاهرة ٢٠٠٠-٢٠٠١م.

- خليل أبو رجيلى : الزراعة اليهودية فى فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث منظمة التحرير
- الخطابى : تاريخ الطب فى الأندلس الإسلامية جزءان ، ط. بيروت ١٩٨١م.
الفلسطينية ط. بيروت ١٩٧٠م.
- ديفيد جاكسون : «معركة حطين والاستيلاء على القدس» ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد. ط. القاهرة ١٩٨٩م.
- رأفت عبد الحميد (د.) «الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى» ندوة التاريخ الإسلامى» والوسيط ، م (٢) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. «السمو البابوى بين النظرية والتطبيق» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م(٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- رأفت النبراوى (د.) النقود الصليبية فى الشام ومصر ، ط . القاهرة ١٩٩٦م .
- رئيسة العزة عبد الفتاح : نابلس فى العصر المملوكى ط. نابلس ، فلسطين ١٩٩٦م.
- رشاد الشامى (د.) جولة فى الدين والتقاليد اليهودية لمحات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة ، ط. القاهرة ١٩٧٩م الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ، ط. القاهرة ١٩٩١م.
- روبرت لوبيز : ثورة العصور الوسطى التجارية، ٩٥٠هـ / ١٣٥٠م . محمود أحمد أبو صوة ، ط. مالطة ١٩٩٧م.
- روبرت كاون : البحار وما فيها قصة الكشوف العلمية البحرية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ت . عبد الحافظ حلمى ، ط. القاهرة ١٩٦٧م.
- روزنبرج : «رسالة ابن ميمون إلى أهل هذا الزمان» ، مجلة رسالة اليونسكو عدد (٣٠٤) سبتمبر عام ١٩٨٦م.
- روجيه جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ت محمد هشام ، ط . القاهرة ٢٠٠٢م.
- ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت، ١٩٨٥م.

- ريموند شانيدلين : «اليهود فى اسبانيا» المسلمة ضمن كتاب بحوث ندوة الأندلس تاريخ وحضارة مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الجيوشى، ط. بيروت ١٩٩٧م.

- زكى نقاش (د.) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية. ط . بيروت ١٩٥٨ م.

- زينب الخضيرى (د.) أثر ابن رشد فى فلسفة العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨٣ .

- ستانلى لين بول : صلاح الدين وسقوط مملكة المقدس ت. فاروق سعد ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

- سامر مخيمر وخالد حجازى (د.) أزمة المياه فى المنطقة العربية ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.

- سورينا : تاريخ الطب ت. البجلانى ، سلسلة عالم المعرفة ط. الكويت ٢٠٠٢م.

- سرور عبد المنعم (شقيف ارتون فى عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا عام ١٩٩٧م. السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الانجوى (١١٣١-١١٤٣م / ٥٢٦-٥٣٨هـ). رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م.

- سعيد البيشاوى (د.) نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م . ط. عمان ١٩٩٠م. الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م ؛ الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى العصر الفرنجى المجلة التاريخية الفلسطينية ٢٠٠٠م ، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين ٤٩٢-٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م ضمن كتاب مؤتمر بلاد الشام فترة الصراع الإسلامى العربى ٤٩١-٦٩٠هـ / ط. جامعة اليرموك ٢٠٠٠م.

- سعيد برجاوى : الحروب الصليبية فى المشرق ، ط. بيروت ١٩٨٤م.

- سعيد عاشور (د.) الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٣م. أوربا العصور الوسطى ج١، التاريخ

السياسى ط. القاهرة ١٩٨١م.اليهود فى العصور الوسطى دراسات مقارنة بين الشرق والغرب ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط. بيروت ١٩٨٧١م ملامح المجتمع الصليبى فى بلاد الشام ، مجلة المستقبل العربى ، العدد (١٢) ، أغسطس ١٩٨٧م.

«قالوا طريق الحرير .. ونقول طريق الفلفل محور التجارة فى العصر الوسطى ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ ، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- سلامة الهرفى (د.) دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف بن تاشفين دراسات سياسية وحضارية، ط . بيروت ١٩٨٥م.
- سليمان حزين (د.) توسع العرب وانتشار الإسلام ، ضمن كتاب إسلاميات لمجموعة من الباحثين ، ط. القاهرة ب-ت.
- سليم شعشوع : العصر الذهبى صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس، شفا عمر ، إسرائيل ١٩٩٠م.
- سميل : فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشر ١٠٩٧-١١٩٣م ط. دمشق ١٩٨٢م.
- سنى الدين محمد صادق (د.) علم تفريخ الأسماك ، ج١ الأساسيات ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- سنى اللقانى (د.) الاقليم السورى واقتصادياته ط. القاهرة ب-ت .
- سونيا هاو (د.) : فى طلب التوابل ، ت ، محمد عزيز رفعت، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- السيد أحمد أبو العينيين (د.) دراسات فى جغرافية لبنان ط. بيروت ١٩٦٨م.
- السيد الباز العرينى (د.) مؤرخو الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٦٢م.
- السيد عبد العزيز سالم (د.) تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ط. الاسكندرية ١٩٨٦م.
- سيد فرج راشد (د.) القدس عربية اسلامية ، ط. الرياض، ١٩٨٦م. القدس عربية إسلامية الدارة العدد (٣) السنة (١٨) يناير ١٩٨٤م.

- شاكر مصطفى (د.) التاريخ العربى والمؤرخون ، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- صبحى طوقان : الموسوعة الفلسطينية ط. القاهرة ١٩٦٩ م.
- صلاح الدين نوار (د.) العدوان الصليبى على العالم الإسلامى ٤٩٠-٥١٥هـ / ١٠٩٧-١١٢١م ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م.
- طه ثلجى الطراونة (د.) مملكة صفد فى عهد المماليك ط. بيروت ١٩٨٢م.
- ظفر الاسلام خان (د.) التلمود تاريخه وتعاليمه ، ط. بيروت ١٩٧١م.
- عادل زيتون (د.) العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م.
- عادل عبد الحافظ : العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامى ١١٥٢-١٢٥٠م ٥٤٧-٦٤٨هـ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.
- عادل غنيم (د.) حائط البراق أم المبكى ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- عبد الرحمن بدوى (د.) الموسوعة الفلسفية، ط. بيروت ١٩٨٤م.
- عبد الرحمن زكى (د.) القلاع فى الحروب الصليبية المجلة التاريخية المصرية م (١٥) عام ١٩٦٩م.
- عبد الحميد زايد (د.) القدس الخالدة سلسلة تاريخ المصريين ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- عبد الغنى عبد العاطى (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور الكسيوس كومنين ١٠٨١-١١١٨م ط. القاهر ، ١٩٨٣م.
- عبد القادر اليوسف (د.) علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، ط. صيدا ١٩٦٩م.
- عبد المنعم بلبلع وماهر جورجى: تصحر الأراضى مشكلة عربية وعالمية، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.
- عبد المنعم شميس : التلمود كتاب إسرائيل المقدس ط. القاهرة ١٩٦٨م.
- عبد المنعم ماجد (د.) العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٦م.
- عبد الواحد ذنون طه (د.) الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال أفريقيا ، ط. بغداد ١٩٨٧م.

- عبد الوهاب الكيالى (د.) الكمبيوتر أو المزارع الجماعية فى فلسطين مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية ط. بيروت ١٩٦٦م.
- عبد الوهاب المسيرى : اليد الخفية دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- عبد النعيم حسنين (د.) دولة السلاجقة ، ط. القاهرة ١٩٧٥م.
- عبد الهادى التازى : «ابن ميمون فى فاس» ضمن كتاب حلقة وصل بين الشرق والغرب أبوحامد الغزالى وموسى بن ميمون ، ط. طنجة ١٩٨٥م
- عزيز سوريال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب تجارية ثقافية صليبية ت. فيليب.
- عطيه القوصى (د.) اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- على أحمد السيد (د.) وثيقة عهد البابا الكسندر الثالث لدير صهيون فى القدس عام ١١٧٨م (عرض - دراسة - تحليل) مؤتمر فلسطين على ضوء أوراق البردي، جامعة عين شمس عام ١٩٩٨م. الخليل والحرم الابراهيمى فى عصر الحروب اللصيبية ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ ط. القاهرة ١٩٨٨م. أدب الرحلة مصدرٌ لتاريخ الحروب الصليبية ٤٨٨-- ٦٩٠هـ / ١٠٩٥-١٢٩١م . ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م.
- على عبد الواحد وافى (د.) اليهود واليهودية بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم من نظامهم الاجتماعى والاقتصاية ط . القاهرة ب-ت.
- على السيد على (د.) القدس فى العصر المملوكى، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، ملامح الجانب العربى الإسلامى فى المواجهة ضد الغزو الفرنجى ، المستقبل العربى عدد (١٠٢) اغسطس ١٩٨٧م .
- على عودة الغامدى (د.) حصن بفراس ودوره فى عصر الحروب الصليبية ضمن ندوة الاطار التاريخى للحركة الصليبية ، اتحاد المؤرخين العرب ط. القاهرة ١٩٩٥م.
- عمر كمال توفيق (د.) مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م.
- عليه الجنزورى (د.) إمارة الرها الصليبية ط. القاهرة ١٩٨٦م. الحروب الصليبية المقدمات السياسية ط. القاهرة ١٩٩٩م.

- عيسى العزام (د.) أسعار المواد الغذائية فى مصر الفاطمية ٣٥٨هـ / ٩٦٨م / ٥٦٧هـ / ١١٦٧م .

- فالترهنس ، «المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى، ت. كامل العسلى ط. عمان، ١٩٧٠م.

- فايد حماد عاشور (د.) العلاقة بين البندقية والشرث الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبى ط. الاسكندرية ، ١٩٨٠م.

- فرنان بروديل (د.) البحر المتوسط المجال والتاريخ ، ت. يوسف شلب ، الشام ، ط. حمص ٢٠٠١م.

- فتحى فياض (د.) «فلسطين الموقع والموضع دراسة جيوبوليتيكة» ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ إشراف أ.د. حامد غنيم زيان ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- قاسم عبده قاسم (د.) النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ط. القاهرة ١٩٧٨م ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى دراسة وثائقية ط. القاهرة ١٩٧٩م. الاضطهادات الصليبية ليهود أوربا خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م(١) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ط. القاهرة ١٩٨٢م، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، (١٠) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م.، ماهية الحروب الصليبية ط. الكويت ١٩٩٣م م. فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. القاهرة ٢٠٠١ .

قاسم عبده قاسم وعلى السيد على : الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

قدرى قلعجى : صلاح الدين الأيوبى قصة الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ط. بيروت ١٩٧٩م.

- كامل العسلى (د.) بيت المقدس فى كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، ط. لبنان ١٩٩٢م.

- كلود كاهن (د.) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ت . أحمد الشيخ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، «الجراد» دائرة المعارف الإسلامية. الترجمة العربية ط. القاهرة ب-ت.

- كمال السامرائى (د.) مختصر تاريخ الطب العربى، ج٢ ط. بغداد ١٩٨٥م.

كوبر (د.) جغرافية النقل البحرى ، ت. محمود ربيع ط. الاسكندرية ١٩٧٨م.

- ليلى عبد الجواد (د.) بلاد المجر فى الحملة الصليبية الأدنى ، ضمن الكتاب التذكارى لتكريم سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.

- مارك كوهين : المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية ت. ميرار ونقاش ط. تل أبيب ١٩٨٧م.

- ماكسويل ريد وويلفريد بروتسون (د.) قصة البحر، ت . محمود محمد رمضان ط. القاهرة ١٩٦٣م.

- مالكوم ليونز وجاكسون (د.) صلاح الدين الأيوبى ، ت على ماضى مراجعة نقولا زيادة وفهمى سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.

- محاسن الوقاد (د.) اليهود فى مصر المملوكية ، ط. القاهرة ، محمد إبراهيم أبى النيل الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى، ط. الرياض ١٩٩٥م.

- محمد الحافظ (د.) التغيرات الادارية والعمرانية والسكانية فى بيت المقدس، جامعة اليرموك ٢٠٠٠م. بيت المقدس ، فى فترة الاحتلال الفرنجى ٤٩٢-٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى الفترة ٤٩١-٦٩٠هـ جامعة اليرموك عام ٢٠٠٠م.

- محمد حمدى المناوى (د.) نهر النيل فى المكتبة العربية ط. القاهرة ١٩٦٦م.

- محمد على عسيرى (د.) الحياة السياسية ومظاهر العمارة فى العصر الأيوبى ط. جده ١٩٨٥م.

- محمد عوض محمد (د.) نهر النيل ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

- محمد محمود الصياد (د.) معالم جغرافية الوطن العربى ط. القاهرة ب-ت.

- محمد مؤنس عوض (د.) الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية ٥٤١-٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٤م الدارة، العدد (١٣) السنة ١٦ عام ١٤١١هـ . الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧ ميلادية ط. القاهرة ١٩٩١م. الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٥م. وليم الصورى مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية فى المرحلة من عام ١١٣٧-١١٥٠م / ٥٣٢-٥٤٥هـ دراسات شرق أوسطية - مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م. فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م. الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م. من إسهامات الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م فى الصراع الإسلامى الصليبية السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١-٥٦٩هـ ١١٤٦-١١٧٤م ، ط. القاهرة ١٩٩٨م. الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م الحروب الصليبية السياسة - المياه - العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩-٥٤٤هـ ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- محمود الحويرى (د.) الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩م.

محمود سعيد عمران (د.) الحملة الصليبية الخامسة ط. الاسكندرية ١٩٨٥م. السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م. الهدنة بين المسلمين والصليبيين فى عهد الدولة الأيوبية ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٦م. الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١ ط. الاسكندرية ١٩٩٥م.

- مرجرجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية ط. بيروت ١٩٨٧م.

مرفت سعيد: حصن الأكراد ودوره فى الصراع الصليبى الإسلامى ٥٨٩-٦٩٠هـ / ١١٩٣-١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٢م.

مروه أديب جبر : «القدس تحت الاحتلال الاسرائيلى جغرافيا وديموغرافيا» ، ضمن أعمال

ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة بإشراف أ.د. حامد غنيم زيان، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- موريس كين : حضارة أوربا العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

محمد سامي عسل (د.) أوربا دراسة فى جغرافية القارة الطبيعية والبشرية ، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م .

- محمد خليفة حسن (د.) عروبة فلسطين فى التاريخ القديم ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ ، مركز البحوث والدراسات التاريخية جامعة القاهرة، باشراف أ. حامد زيان ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- موريس لومبار : الإسلام فى مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥ هـ / ٨-١١م . ت. إسماعيل العربى، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م.

- مصطفى الحيارى (د.) مدينة بانياس فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى دراسات م (١٣) العدد (١٢) عمان ١٩٨٦م . القدس زمن الفاطميين والفرنجة ط. عمان ١٩٩٤م .

- مصطفى الدباغ «بلادنا فلسطين» ج٣ / ق٢ ، ج١، ق٢ ط. عمان .

- مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد اليهود فى العالم القديم، ١٩٩٥ م.

- مصطفى طلاس ووليد الجلاد قلعة الحصن حصن الأكراد ، دمشق ١٩٩٠م.

- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ط. الرياض ١٩٨٩م.

- مولر : القلاع أيام الحروب الصليبية ت. محمد وليد الجلاد ط. دمشق ١٩٨٤م .

- ميخائيل زابوروف : الصليبيون فى الشرق ت. عباش شاهين ط. الاسكندرية ١٩٨٦م.

- ناتالى رين : المرأة اليهودية الماضى والحاضر والمستقبل ، ط. القاهرة ١٩٨٧م.

- نبيل عبد العزيز (د.) المطبخ السلطانى ، ط. القاهرة ١٩٨٩م رياضة الصيد فى عصر سلاطين المماليك ط. القاهرة .

- نظير حسان سعداوى (د.) الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى ط. القاهرة ١٩٦١م.

- نعيم زكى فهمى (د.) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ط. القاهرة١٩٧٣م.

- نبيله مقامى (د.) فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- نعمان جبران ومحمد طعانى (د.) إضافات حول كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان للعماد الأصفهانى المؤرخ المصرى ، عدد (١٧) يوليو ١٩٩٦م.
- نقولا زيادة (د.) رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ط. بيروت ١٩٨٦م.
- نور الدين حاطوم (د.) المدخل إلى التاريخ ، ط. دمشق ١٩٦٥م.
- هادية دجانى شكيل (د.) القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى العسقلانى ٥٢٦-٥٩٦هـ / ١١٣١-١١٩١م) ودوره التخطيطى فى دولة صلاح الدين وفتوحاته ط. بيروت ١٩٩٣م.
- هايد (د) تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ج١ ت. محمد رضا ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- هدى عبد السميع حجازى (د.) بعض كلاسيكيات الرفض اليهودى للصهيونية عالم الفكر ، م ١٤ ، العدد ١ ، أبريل ، مايو ١٩٨٣م.
- هنرى بيرين (د.) تاريخ أوربا فى العصور الوسطى العام ١٩٦١م (الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ت. عطيه القوصى ، ط. ١٩٦١م .
- هيلين فوجل وجارى كاروزو : حصاد المحيط مستقبل علوم البحار ت . زكريا فهمى ط. القاهرة ب-ت.
- يسرى الجوهرى (د.) جغرافية البحر المتوسط ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.
- يواكيم برنز : بابوات من اليهودى ت. خالد سعد عيسى ط . دمشق ١٩٨٣م.
- يوسف الشدياق : أخبار الأعيان فى جبل لبنان ، ط. بيروت ١٩٥٤م.
- يوجينى كلارك وحامد عبد الفتاح جوهر: اسماك البحر الأحمر : الأسماك المعقوفة الفكين (البكتوخبانى) معهد علوم البحار- جامعة القاهرة محطة الاحياء المائية بالغردقة ، ط. القاهرة ١٩٥٣م.
- يوسف درويش غوانة (د.) التاريخ السياسى لشرق الأردن فى العصر المملوكى ،ط. عمان ١٩٨٢م.
- يوشع براور : عالم الصليبيين : ت . قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ط. القاهرة ١٩٩٩م.

رابعا : المراجع الأجنبية

- Abel F.M), les deux Mahumeria El - Birah , El qoubeibeh" R.B., T. XXXV, 1926.
- Abulafia (A.S.), Invectives againest Christianity in the Hebrew Chronicles of the First Crusade , in Crusade and Settlement ", ed . by Peter W. Edbury, Cardiff 1985.
- Alptekin: (C.), The Reign of Zangi (521-541 / 1124-1146), A taturk University , Erzurum 1978.
- Armstrong (K.) Holy war , the Crusades and their impart on Today's Word , New York 1992.
- Atiya (A.S.), The Crusade , Historiograpgy and Bibliography London 1962.
- Attwater (D.), Dictionary of Saints, London 1977.
- Barker (E.), The Crusades , London 1949.
- Beazly, The Dawn of Modern Geography , vol II, London 1901.
- Becher (A.), Papst Urban II (1088-1099), 2 vols , Stuttgart 1988.
- Benvenisti (M.) , The Crusaders in the Holy Land , Jerusalem 1976.
- Bond (C.E.) , Biology of Fishes, Philadelphia 1976.
- Bradford (R.) Shield and The Sword, The Knights of St. John in Jerusalem , Rhades and Maltar New York 1973.
- Brooke(Z.N.), A History of Europe From 911 to 1198 , London 1938.
- Cahen (C.) , La Syrie du nord a L'epoque des Croisades et la Princepaute Frnque de Antioch, Paris 1940.
- Cohen (J.), The Decline of Europe Jewry", in The Middle Ages, vol II , Readrings in Medieval History , ed. by Brian Tierney , New York 1963.
- Christiansen (E) , The Northern Crusades The Baltic and the Catholic Frontier 1100-1525, Minneapolis 1980.
- Cross Cultural Convergences in the Crusader period , Essays .Presented to

Aryeh Grabois on his Sixty- fifth Birthday , ed. by Michel Goodich , Sophia Menacho and Sylvia Schein , New York 1995 .

- Duncalf ( ) the First crusade : Clermont to Constantinople , in Setton A History of the Crusades, vol I , Wisconson 1969 .
- Dussaud (R.), Topographie Historique de Syrie Antique et Medievale, Paris 1927 .
- Eidelberg (S.) , the Jews and the Crusaders, the Hebrew Chronicles of The First and Second Crusades, Wisconson 1977 .
- Ellenblum (R.), " Construction Metuods in Frankish Rural Settlement" in the Horns of Hattin , ed. by B.Z. Kedar , Jeruslem 1992 , Frankish Rural Settlement in the latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge 1998 .
- Elton (C.) , Animal Ecology , London 1968 .
- France (J.) , Victory in the East , Amilitary History of the First Crusade , Cambridge 1996 .
- Fischel (W.), Jews in The Econonmic and Political life of Medieval Islam, London 1987 .
- Genevieve (B.B.) la Cartulaire du chapitre de Saint Sepulchre de Jerusalem , Paris 1984.
- Gibb (H.), Zengi and The Fall of Edessa " , in Setton , A History of The Crusades , vol I, Wisconson 1969 .
- Godnight (M.L.), Gray (P.) General Zoology , Oxford 1964 .
- Goitein (S.), " Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by the Crusaders", J.J.S., 1952 .
- Saladin and The Jews, H. U. C.A., vol . XXVII, 1965 .
- Geniza Sources for the Crusader Period Survey ", in Outremer Studies in the History of the Crusading kingdom of Jerusalem , Presnted to Joshua Pruwer , ed. by B.Z. Kedar , H.E.Mayer , R.C. Smail , Jerusalem 1982 .
- Moses Maimonides man of action a Revision of the Master's Biography in

light of the Geniza documents ", Homage a Geovge vayda , ed. by Nahom and ch. Louvain 1980 .

- Hagenmeyer (H.), Chronologie de la Premiere Croisade , R . O. L., T. VII , Année 1899 .
- Hamilton (B.) The Latin Church in the Latin States London 1980 .
- Herald (E.S.) Living Fishes of the Work , New York , 1961 .
- Hill (J.), Raymond IV Count of toulouser, Syracuse 1962 .
- Kedar (B.) , The Battle of Hattin : Revised" , in The Horns of Hattin, ed . by B.Z. Kedar , Jerusalem 1992 .
- Kelly (J.N.) Oxford dictionary of Popes , Oxford 1996 .
- King (D.), "The Taking of le krak des Chevaliers 1271", A., vol . XXII, 1949 .
- Lamb (H.) The Crusades, Iron Men and Saints London 1950 .
- La Monte (J.) Feudal Monarchy in the latin kingsom of Jerusalem, New York 1975 .
- Le Strange (G.), Palestine under the Moslem , Beirut 1969 .
- Lev (Y.), Saladin in Egypt, Leiden 1999 .
- Louise and Jonathan Riley - Smith , the Crusades Idea and Reality , London 1981 .
- Lloyds (S.), " The Crusading Movement 1096 - 1276 ", in Oxford illustrated History of the Crusades, ed. by Jonathan Riley Smith , Oxford 1995 .
- Lyon (B.) , The High Middle Ages 1000-1300 , U.S.A. 1964 .
- Maniutes (G.) The Organizational Setup and Functioning of the Fish Market in the Tenth - Century Constantinople ", D.O.P. vol . LIV 2000 .
- Mayer (H.E.), The Crusades , Trans. by John Gillingham Oxford 1987 .
  Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1965 .
- Mayer (H.E.) and Joyce Mclellan Select Bibliography of the Crusades in Setton , A History of the Crusader vol II, Wisconson 1989 .

- Mcneal (E.H.), "The fourth Crusade ", in Setton A History of the Crusades, vol II, Madison 1969 .
- Meyerhof (M.), Medical work of Maimonides in ssays on Maimonides, New York 1940 .
- Montjoie Studies in Crusade History in Honer of Hans Eberhard Mayer ed. by Benjumin Z. kedar , Jonathan smith and Rudolf Hiestand , Hampshire 1997 .
- Munro (D.), " The Speech of Pope Urban II at Clermont ", A. H. R., vol . XI , Janury 1905 .
- Nelson (T.S.), Fishes of The World , New York 1970 .
- Nicholson (R.) Tancred: A Study of his Career and Work and thier relation to the First Crusade and the establishment of the Latin States in Syria and Palestine Chicago 1940 .
- Norman (T.R.), A History of Fishes , London 1957 .
- Oldenburg (Z.), The Crusades , trans. by Anne Corder , New York 1960 .
- Outremer Studies in The History of the Crusading Kingdom of Jerusalem , Presented to Joshua Prawer , ed . By B.Z. Kedar , G.E. and Mayer , R.C. Smaot, Jerusalem 1982 .
- Painter (S.), A History of the Middle Ages 284-1500 , New York 1984 .
- Parisse ( ) " Godfrey de Bovillon , Le Croisade examplaire ", H. T. XIVII, Année 1982 .
- Pax (W.) , Sur les chemins des Jesus , Tell Aviv 1970 , with Jesus in the Holy land Tell Aviv 1979 .
- Pernoud (R.), The Crusades , Trans . by Enid Mcleod , London 1960 .
- Peters (E.), The First Crusade , the Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source Materieals , Philadelphia 1971 .
- Poliakove (L). The History of Anti - Semitism from Mohammed to The Maranos , vol . II Trans from the French by Natalie Gerardi, London 1974 .

- Prawer (J). The Latin Kingdom of Jerusalem , European Colonialism in the Middle Ages, London 1973 .

Crusader Institutions , Oxford 1980 , Social Classes in Latin Kingdom: The Franks ", in Setton A Hisotry of the Crusades , vol . IV , Wisconson 1989 .

- Pringle (D.), " Magna Mahumeria (al- Biva) The Archaeology of a New Town in Palestine ", in Crusade and Settement , ed. by Peter W. Edbury , Cardiff 1985 .
- Survey of Castles in Crusader Kingdom of Jerusalem 1998 .
- Prelininary Report", L. XXIII, 1991 .
- Richard (J.), Saladin defait l'Occident" , L' Histoire , T. XLVII, Année 1982. Agricultural Conditions in the Crusader States ", in Setton , A History of the Crusades, vol . V , Wisconson 1989 .
- Richaoui (A.), Le Crae des Chevaliers Guide Touristque et Archaeologique , Damas 1974 .
- Ruhricht (R.), Geschichte des Konrgriechs Jerusalem, Innsbruch 1889 .
- Riley - Smith (J.) "Some Lesser officials in the latin Syria ", E.H.R. vol LXXVII, 1972 .

"The Survival in the latin Palestine of Muslin administration ", in The Eastern. Nediterranean Lands in the Period of the Crusades, ed. by Holt, Worminista 1977 .

- Schatzmiller (T.), Jewish Converts to Christianity in Medieval Europe 1200-1500", in Cross Cuttural Convergences, New York 1995 .
- Sharf (A.) Byzantine Jewry from Justinian to the Fourth Crusade, London 1971 .
- Siegfried (A.), The Mediterramean , Trans . by Poris Hemmings, London, 1948 .
- Smail (R.), " Cousader Castles of the the Twelfth century ", E.H.R., 1951 .

The Crusaders in Syria and the Holy Land London 1973 .

, The International Status of the Latin Kingdom of Jerusalem 110-1192 , in

the Eastern Mediterramea Lands in the Period of The Crusades, ed. Peter Edbury , and, GHolt , Warminister 1977 .

- Stevenson (W.), The Crusaders in the East, Beirut 198 .
- Tibble (S.) Monarchy and Lordship in The latin kingdom of Jerusalem 1099- 1291), Oxford 1998 .
- Van Cleve (T.C.), " The Crusade of Frederich II ", in Setton, A History of the Crusades, vol II, Madison 199 .
- Vincent (L.H), "Les Monuments de Qoubeibeh" R.B. T.X.I, 191 .
- Wright (J.) The Georgraphical Lore in the Time of the Crusades A study in the History of Medieval Sciene and Tradition in Western Europe, New York 196 .
- Wright (T.), Anglo Saxon and old English Voccabularies vol . Ι٢ , London 188 .
- Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848 .
- Yewdale (R.) Bohemond I Prince of Antioch, Amsterdam 1970 .
- Zemmernan (H.) The Hansa Towns, London 1889 .
- Ziegler (P.) The Black Death and the Jews ", in the Middle Ages vol, II, Readinge in Medieral History ed. by Brian Tierny , New York 1962 .

المحتويات

رقم الإيداع ١٨٠٩٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 149 - 0

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق

محمد مؤنس عوض

عالم الحروب الصليبية

بحوث ودراسات





للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية

FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES